أبو القاسم عمرو بن مسعود الكباوي

الربيع بن حبيب محدثا وفقيها

رسالة ماجستير

بإشراف

د. عمرو الكتومي الكشيباني

أشرف على طبعه الاستاذ

أبراهيم بن محمد بن مسعود علواني

352

ملك جمعية
أبي إسحاق إبراهيم الطفيش
لخدمة التراث

أبو القاسم عمرو بن مسعود الكباوى

الربيع بن حبيب محدثا وفقيها

رسالة ماجستير

جامعة الفتح - كلية التربية
قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية
ليبيا

بإشراف :
د . عمرو التومي الشيباني

1403 هـ - 1983 م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

﴿لقد منّ اللّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾

(آل عمران : الآية 164)

ويقول :

﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكّرون﴾

(النحل : الآية 44)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«نضّر اللّه امرؤا سمع منا حديثا فأدّاه كما سمعه فربّ مبلّغ أوعى من سامع»

(رواه البيهقي)

ويقول :

«من أحيى سنّتى أحبّني ، ومن أحبني كان معي فى الجنّة»

(أخرجه أبو داود والترمذي)

شكر وتقدير

إن الباحث لا يسعه – وقد انتهى ببحثه بعون من الله وتوفيقه إلى غايته . إلاّ أن يتقدم بوافر التقدير وجزيل الشكر لأمانة التعليم بالجماهيرية التي كانت السبب المباشر في تمكينه من هذه الغاية بإخلاء طرفه من العمل الرسمي وتفريغه كليًا مدة البحث ... ولجامعة الفاتح الموقرة التي احتضنته طالبا نظاميا كهلا، وباحثا منتسبا شيخا، مما ساعده على القيام بواجبه، والوصول إلى هدفه . ولأستاذه الفاضل الدكتور عمرو التومي الشيباني الذي تكرّم بالإشراف عليه – رغم كثرة أعماله، وعظم تبعاته ومسؤلياته العلمية والاجتماعية – لما أسداه له من خالص التوجيه، وحسن الإرشاد، حيث وضع قلمه السيّال على كل خطإ له في المنهج، وأشرق برأيه السديد على كل عتامة له في القدرة، إلى جانب ماأظهر له – طيلة مدة الإشراف – من رحابة الصدر في المناقشة والتحاور، وحنو الأبوة عند اختلاف وجهات النظر والتشاور، وكرم الضيافة وحسن الاستقبال في البيت عند التزاور، فقد جسّد – حفظه الله – بهذا العمل تلك الصفات التي كان يتحلى بها أجلة علماء سلفنا الصالح ... ويشكر أيضا أستاذه الدكتور محي الدين بالتاجي الذي تولّى الإشراف على الباب الأول من البحث عند غياب الدكتور الشيباني .

كما لا يفوته شكر وتقدير أستاذه – الذي يحب الخير للجميع – عبد الله الهوني رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية لما لاقاه منه من تشجيع ومساعدة معنوية . والدكتور علي الحوات رئيس قسم الدراسات العليا بكلية التربية . والدكتور صلاح الدين أحمد زارم أمين اللجنة الشعبية بكلية التربية ... والمسؤولين بمكتبتي كلية التربية والمركزية بجامعة الفاتح . وكل من ساهم في بناء هذا الموضوع بفتح مكتبته الخاصة والعامة وساعد على إخراجه بهاته الكيفية .

والله سبحانه وتعالى وجده عنده حسن الثواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم عليه أفضل الصلاة وأمثل التسليم وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا هداه وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد، فإن أشرف الحديث بعد كلام الله هو كلام رسول الله الذي أوتي القرآن ومثله معه وأشرف العلوم علم القرآن والسنة النبوية الشريفة وأعلى العلماء درجة الذين استعملهم الله في تفسير كلامه وتدوين سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي مقدمة هؤلاء المدونين للأحاديث إمامنا الرضيّ ثقتنا وتقينا وأميننا الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدى العمانى وطنا ومدفنا البصرى مسكنا حيث كان يغرف من مناهل العلم والعرفان ويقتبس أقباس الهدى من شيوخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدى وضام بن السائب وأبي نوح وأمثالهم ممن أنعم الله عليهم بأنوار علوم الشريعة فكانوا لعلماء هذه الأمة الطليعة . ولد هذا العالم الجليل في النصف الثاني من القرن الاول الهجري فى غضفان من أعمال صحار حيث توفي وهو يناهز المائة في الثانية والسبعين بعد المائة ودفن في مسقط رأسه فى غضفان رحمه الله . وقد انتقل إلى البصرة في مستهل شبابه ليغرف العلم من مناهله فمكث فيها زمانا طويلا متعلما وواعظا ومفتيا . وفي هذه الاثناء دون مسنده الذي رواه عن إمامه وشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وهو أعلى الأسانيد سندًا جمع فيه ألف حديث ونيفا وتركه في أيدى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه يتدارسونه ثم رتبه العالم الجليل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدارتى الوارجلاني بعد ثلاثة قرون ونحو نصف قرن من وفاة صاحب المسند تغمدهما الله برحمته ورضاه ولاتزال أيدي الدارسين والشراح تتداوله

رفع الله الذين آمنوا منهم والذين أوتو العلم درجات وإني لأبارك في هذا التقديم المختصر نشاط القائمين على إبراز هذا النجم اللامع ليهتدي به السارون فى منهج الهدى والرشاد وأدعو لهم بالتوفيق وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ناصر بن محمد المرموري
أستاذ الشريعة بمعهد الحياة
بالقرارة - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

مقدمة البحث

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونسترشده، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونسأله العون والتوفيق، والأخذ بيدنا إلى أقوم طريق ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

«اللّهم إني أعوذ بك أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِله غَيْرُكَ»[1] .

وأصلي وأسلم على من أرسل رحمة للعالمين، وهدى للمتقين، وأسوة حسنة للمقتدين عبد الله ورسوله سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المحدثين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته البررة المخلصين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، وعلى من سار على نهجهم من التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(1) حديث شريف . انظر : عبد الباسط العلوي . (ت 181 هـ) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد دمشق : مطبعة الترقي . د ت ص 53 .

أما بعد :

فأولا : أسباب اختيار الموضوع :

لقد آثر الباحث أن يكون موضوع بحثه الذي تقدّم به لنيل درجة (الماجستير) في العلوم الإسلامية من شعبة الدراسات الإسلامية العُليا بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الفاتح هو «الربيع بن حبيب محدّثا» .

آثر الباحث هذا الموضوع وهو يدرك تمام الإدراك مدى الصعوبات الجمة التي ستعترض سبيله، وما يحتاجه منه من عناء وجهد، وما يتطلبه من تعب ونصب، فهو موضوع بكر لم تتناوله أقلام الباحثين من قبل، ولم يطرق بابه المؤرخون لعلماء السنّة سابقا، إلى جانب قلة المصادر التي تحدثت عنه، وندرة المراجع التي أشارت إليه .

ولعل هناك من يسأل أو يتساءل : لِمَ أقدم الباحث على هذا الموضوع وهو يعلم سلفا تلك العقَبات التي ستصادفه . ويدرك مقدّما ما سيعانيه من ندرة في المصادر، وما سيلاقيه من قلة في المراجع ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أو التساؤل يقول :

هناك عدة أسباب حملته على اختيار هذا الموضوع بما فيه من صعوبات أو ما يكتنفه من عراقيل، وأهم هذه الأسباب مايلي :

1 – إيمانه العميق بأنّ مهمّة طالب الدراسات العليا، ورسالة الباحث العلمي تحتّان عليه أن يكشف عن التراث الحضاري الإسلامي والإنساني بعامة، وأن يرتاد المجهول منه فينفض عنه غبار الزمن، ويطرق المواضيع الأبكار التي لم تتناول من قبل فيقدمها فكرا جديدًا ويضعها لبنة قويّة في صرح المكتبة الإنسانية لتصل الماضي بالحاضر، ويقيمها قنطرة ركينة للعبور نحو المستقبل المنتظر، وفي سبيل ذلك كلّه يتوجّب عليه أن يستهين بكل صعب، ويتحدى كل عسير حتى يصل إلى الهدف المنشود، والغاية الشريفة النبيلة التي تبرر كل شاق من الوسائل، وتذلّل كل وعر من السبل .

2 – إن أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري أحد علماء القرن الثاني الهجري الذين خلفوا تراثا علميا تعتز به المكتبة الإسلامية، ولما كان أكثر علماء الأمة الاسلامية – ولا سيما في عصرنا هذا الذي انتشرت فيه وسائل الاتصال الفكري والثقافي – أكثر هؤلاء العلماء – باستثناء الإباضية – لا يعرفون عنه و عن إنتاجه العلمي شيئا، وآية ذلك – وعلى سبيل المثال – أنه قدّر للباحث أن يجتمع – صدفة وعلى غير ميعاد – بأحد علماء السنّة ورئيس قسم التفسير والحديث في إحدى الجامعات الإسلامية المعتبرة، ويسأله عمّا يدّرس من كتب الحديث النبوي الشريف ؟ فذكر له الكتب الصّحاح، وعدّد المسانيد، ولكنه لم يرد على لسانه ذكر للجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري . ولما سأله الباحث عن السبب في عدم تدريس مسند أبي عمرو في قسمه كبقية المسانيد التي تدرس ؟ أجاب : من الربيع هذا وما مسند الربيع ؟ !

فإذا كان عالم من علماء السنّة، ورئيس لقسم التفسير والحديث بإحدى الجامعات الإسلامية المعتبرة، والتي يؤمها طلبة العلم المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها يجهل الربيع ، ولا يعلم عن مسنده شيئا فكيف بالآخرين ؟!!

لذلك رأى الباحث من واجبه أن يسهم بجهده المتواضع في التعريف به، ويشفّ من انتاجه العلمي، وفاء منه بحق السلف على الخلف، وتمكينا لطلبة العلم من الاطلاع على جهود العاملين المخلصين من علماء السلف الصالح، دون النظر إلى الانتماءات المذهبية لأولئك الأعلام .

3 – وضع شخصية أبي عمرو هذا في المكان اللائق بها وضمن الثقات من رواة الحديث حيث أغفل ذكره من قبل أولئك الذين تداولوا رجالات الحديث بالجرح والتعديل، وتتبعوا رواياتهم بالتصحيح والتضعيف، وشادوا بجهود الثقات منهم، مع أنه كان من أوائل من دوّنوا الحديث في مطلع القرن الثاني الهجري ومسنده من أقدم ما صنف من المسانيد في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التدوين .

4 – الكشف عن تلك الأسباب التي أدّت إلى إغفال ذكر هذا المحدث الرائد، وعدم اعتبار مسنده ضمن كتب السنّة المعتمدة لدى جمهور المسلمين .

5 – إبراز جهود علماء الإباضية المبكرة في مجال السنة، لنفي تلك المزاعم التي تدّعي أنهم لا يعتمدون من الحديث إلاّ ماجاء عن طريقهم .

6 – الكتابة عن السنة النبوية في أدوارها المختلفة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى زمن التدوين، وعن الحديث ومصطلحه باختصار، وذلك لقلة الكتابة من علماء الإباضية في هذا الخصوص إذا استثنينا ماكتبه العالمان المعاصران أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي، وقطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش، حيث كتب السالمي في كتابه طلعة الشمس ما يتعلق بحجية السنة وشروط الراوي والرواية، وكتب اطفيش كتابه جامع الشمل في الحديث ومصطلحه، ولم يتعرض الاثنان لتأريخ السنة وجهود العلماء في مقاومة الوضع، وما تواضع عليه العلماء في علم الحديث ومصطلحه .

ولعل هذه المحاولة المتواضعة من الباحث في هذا الخصوص ستكون بداية جادة ومنطلقا فسيحا لمن يريد طرق هذا الباب من طلبة العلم الإباضيين حتى يسّد هذا النقص الذي لا حظه كثير من علماء المسلمين في مكتبتهم الإسلامية .

تلك هي أهم الأسباب التي أدت بالباحث لاختيار هذا الموضوع، وحمله على تبني هاتيك الأهداف، وهو كله أمل في الله عز وجل أن يحقق له المسعى، ويبلغه القصد : **﴿فنعم المولى ونعم النّصير﴾**[2] **﴿وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**[3] .

(2) سورة الحج : الآية : 78 .

(3) سورة هود : الآية : 88 .

ثانيا : طريقة البحث :

اتجهت همّة الباحث لجمع مادّة هذا البحث إلى نوعين من المصادر والمراجع، المخطوط منها والمطبوع والتي تتمثل في :

1 – ماكتبه الإباضية قديما وحديثا عن علمائهم وفقهائهم في طبقاتهم وسيرهم وغيرها من مؤلفاتهم التاريخية والفقهية .

2 – ماكتبه غير الإباضية في مصنّفات التراث العربي الإسلامي، والكتب الحديثة من تراجم الرجال بعامة، وكتب رجال الحديث وعلومه بخاصة .

أما بالنسبة للنوع الأول من تلك المصادر والمراجع فقد تعشم الباحث أن يجد بغيته منها في موطنين اثنين من مواطن الإباضية، حيث يتعذر عليه الوصول إلى مواطن أبي عمرو الربيع بن حبيب الأصلي لأسباب لها مبرراتها .

أ) في جبل نفوسة بليبيا الذي يعتبر موطنا للإباضية منذ منتصف القرن الثاني الهجري ومحضنا لتراثهم الفكري والعلمي، بما برز فيه من رجالات العلم على مرّ العصور الإسلامية، وبما اشتهر به من اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، فكتب التاريخ[4] تذكر لنا أنّ مكتبة قصر (ولّم) الشهير، والذي يقع في قمة جبل مرتفع يطل من ناحية الشرق على مدينة شروس، هذه المكتبة وحدها كانت تضم على ماذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي[5] المتوفى سنة 504 هـ ، ثلاثة وثلاثين ألف جزء من كتب المذهب التي وصلت من المشرق .[6]

لذلك توجّه الباحث إلى مكتباته الخاصة – إذ لا يوجد به اليوم مكتبات عامة لكتب الإباضية – إلاّ أنه لم يجد بها فيما يتعلق بأبي عمرو الربيع بن حبيب

(4) راجع : أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني . (ت 670 هـ) طبقات المشائخ بالمغرب . (تحقيق : إبراهيم طلاى) . الجزائر : مطبعة البعث بقسنطينة ، لا ث . 2 . ص 442 .

(5) ذكره الدرجيني من علماء الطبقة العاشرة وقال عنه «إنه كان في حياته بيت العلم ، يفيد به كل طالب وكل ذي حاجة ، ولما دنت وفاته أودع علومه الكتب ، فصنف تصنيفات خمسة وعشرين كتابا ، وكتابا آخر تركه في الألواح» انظر : المرجع نفسه ، ص 443 .

(6) عمرو خليفة النامي . ملامح الحركة العلمية بوارجلان منذ انهيار الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري . مجلة الأصالة . (مارس 1977 م) ، 14 – 33 .

شيئا عدا مسنده المطبوع، وشرح الإمام السالمي على هذا المسند، ومن المخطوطات سوى مايسمى (بالديوان المعروض على علماء الإباضية (لجامع مجهول) والصور من مخطوطة في مكتبة الباروني بجربة في تونس وهاته المخطوطة من أنفس ما عثر عليه الباحث مما يتعلق بموضوعه، وقد جاء فيها :

1 – آثار الربيع عن ضمام عن جابر بن زيد .
2 – فتيا الربيع بن حبيب .
3 – كتاب جابر بن زيد في الصلاة .
4 – رسالة أبي عبيدة مسلم في الزكاة .
5 – كتاب الصيام ويتضمن إجابات أبي عبيدة عن أسئلة ثلاثة من تلاميذه وهم : أبو المؤرّج، والربيع بن حبيب ، ووائل أيوب حول الصوم .
6 – مسائل الحيض وتلخيصها (لمجهول) .
7 – سبعة أجزاء من أقوال قتادة .

هذا ولعلّ سبب قلة كتب الإباضية في جبل نفوسة هو احتراق المكتبات العامة التي ذكرها التاريخ والخاصة من جراء الفتن والحروب الأهلية التي تسبب فيها الاستعمار وأعوانه .

ب) في وادي ميزاب بالجنوب الجزائري الذي يعتبر من أهم مراكز الإباضية وأنشطها في المحافظة على أصول المذهب وتراثه، وعلماؤه من أغزر علماء هذا المذهب إنتاجا وتأليفا في أصوله وفروعه .

ارتحل إليه الباحث واطلع – في حدود ماسمح به الوقت – على بعض مكتباته العامة والخاصة، ولكنها هي الأخرى لم يجد فيها عن الربيع إلا ماهو موجود في جبل نفوسة .

أما بالنسبة للنوع الثاني من تلك المصادر والمراجع أي (ماكتبه غير الإباضية) فكان الباحث يتوقع أن يجد في بعضها طلبته، وبذلك ارتاد المكتبات العامة بطرابلس مثل : مكتبة الأوقاف ، ومكتبات مراكز الإعلام الثقافي ، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية التربية بجامعة الفاتح ، ومكتبة أمانة العدل ،

وبعض المكتبات الخاصة ، كما ارتحل إلى المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبة جامعة دمشق ، ومكتبة حلب ، واتصل ببعض أساتذة العلوم الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة دمشق واستفاد من توجيهاتهم وخاصة الدكتور نور الدين عتر .

تصفّح الباحث ماوقعت عليه يده في تلك المكتبات من أمهات الكتب والمعاجم وداوئر المعارف والموسوعات مما كان له علاقة بالإباضية أو رجالات الحديث في القرن الثاني الهجري زمن شخصية الموضوع، وقد اعتمد في بحثه بعد كتاب الله عز وجل على مجموعة من كتب الإباضية التي ألّفت قديما وحديثا ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب وشرحه للإمام نور الدين السالمي ، وطبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس الدرجيني ، وكتاب سير الأئمة وأخبارهم بالمغرب لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر ، والسير للشماخي ، وإسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للسيابي ، وتحفة الأعيان للسالمي ، وعمان تاريخ يتكلم لمحمد بن عبد الله السالمي وزميله، والإباضية في موكب التاريخ لعلي يحيى معمر، والعقود الفضية في أصول الإباضية لسالم بن حمد الحارثي، وعمان والخليج لعادل رضا، والجواهر المنتقاة للبرادي، وإزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء للسيابي السائلي، والأزهار الرياضية لسليمان بن عبد الله الباروني، ومختصر تاريخ الإباضية لأبي الربيع الباروني، وعقيدة التوحيد لمحمد بن يوسف اطفيش، وطلعة الشمس للسالمي وقواعد الإسلام للجيطالي، والدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني ودراسات في الإباضية لعمرو خليفة النامي وغيرها من الكتب التي ستثبت في ثبت المراجع .

وأما ماعتمد عليه الباحث من كتب غير الإباضية فمنها :

كتب الحديث المعتمدة لدى جمهور الأمة الإسلامية بدون استثناء ، وفتح الباري للعسقلاني، وشرح النووي على صحيح مسلم، وشرح الزرقاني على الموطأ، وشرح البخاري بحاشية السندي، والتاريخ الكبير للبخاري، ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة الخطيب البغدادي، وكتاب

الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ومقدمة ابن الصلاح، والكفاية في علم الدراية للخطيب البغدادي وجامع بيان العلم وفضله، والتمهيد لابن عبد البر، والفهرست للنديم، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والتهذيب لابن حجر ، والبداية والنهاية والباعث الحثيث لابن كثير ، والسنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى حسني السباعي ، ومصطلح الحديث وعلومه لصبحي الصالح ، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي ، وموسوعة أحمد أمين (فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظهر الإسلام) وغيرها من المراجع والكتب التي ستجد مكانها في الثبت المعد لها .

ثالثا : خطة البحث :

حصر الباحث بحثه هذا في ثلاثة أبواب بثانية فصول عدا المقدمة والخاتمة... فجاءت كما يلي :

(أ) – الباب الأول : التمهيد ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وفيه تحدث الباحث عن السنّة : مفهومها وطرق تلقيها ويشتمل على ستّة مباحث بعد مقدمة الفصل .

المبحث الأول : مفهوم السنّة لغة وشرعا .
المبحث الثاني : أقسام السنّة .
المبحث الثالث : الفرق بين السنّة والحديث .
المبحث الرابع : علاقة السنّة بالقرآن الكريم .
المبحث الخامس : أدلة حجّية السنّة .
المبحث السادس : السنّة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في تدوين السنّة ومقاومتهم للوضع فيها . وفيه أربعة مباحث عدا المقدمة .

المبحث الأول : الأسباب التي حالت دون كتابة السنّة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .
المبحث الثاني : التدوين الرسمي للسنّة النبوية .
المبحث الثالث : تسرب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .
المبحث الرابع : جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

الفصل الثالث : الحديث النبوي الشريف ، وفيه بعد المقدمة ثمانية مباحث .

المبحث الأول : معنى الحديث لغة واصطلاحا .
المبحث الثاني : علاقة الحديث بالخبر والأثر .
المبحث الثالث : الحديث القدسي .
المبحث الرابع : الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم .
المبحث الخامس : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .
المبحث السادس : مراتب الحديث .
المبحث السابع : شروط رواة الحديث وقبول روايتهم .
المبحث الثامن : الألقاب العلمية لرواة الحديث .

(ب) – الباب الثاني – وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، ويشتمل بعد المقدمة على سبعة مباحث :

المبحث الأول : صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب .
المبحث الثاني : الأسباب التي أدّت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب .
ضمن المحدثين الأول الذين اهتموا بتدوين السنة .
المبحث الثالث : عمان المواطن الأول للربيع بن حبيب .

المبحث الرابع : الحياة العقلية بعمان في العصور الإسلامية الأولى .
المبحث الخامس : مولد الربيع ونسبه وأسرته .
المبحث السادس : نشأته .
المبحث السابع : تحوّل الربيع إلى البصرة لطلب العلم .

الفصل الثاني : شيوخ الربيع بن حبيب . وفيه بعد مقدمة الفصل :
المبحث الأول : ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن أبي الشعثاء ولم تصلنا رواياتهم عن الربيع في مسنده .
المبحث الثاني : ترجمة لبعض مشايخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيرا في تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي وهم :
أ) أبو الشعثاء جابر بن زيد .
ب) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة .
ج) ضمام بن السائب الندبي .
د) أبو نوح الدهان .

الفصل الثالث : تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي . وفيه بعد المقدمة ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : تراجم لبعض ممّن حمل العلم عن الربيع من أهل عمان وحضرموت وهم :
أ) أبو المنذر النزواني .
ب) منير الجعلاني .
ج) موسى الأزكوي .
د) محبوب بن الرحيل .
ها) محمد بن المعلى الكندي .
و) أبو أيوب وائل .

المبحث الثاني : أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية عن مدرسة الربيع بالبصرة .
المبحث الثالث : إنتاج الربيع الفكري ومكانته الاجتماعية والعلمية .

(ج) – الباب الثالث : ويشتمل على فصلين :
الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدث، وفيه مقدمة وأربعة مباحث :
المبحث الأول : مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث والسنة .
المبحث الثاني : نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وكيفية تلقيه له .
المبحث الثالث : جهود أبي عمرو في أداء الحديث واتصافه بصفات الرواية الأمثل .
المبحث الرابع : ماجاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من أحاديث .

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه . وفيه مقدمة للفصل وخمسة مباحث :
المبحث الأول : معنى الفقه لغة واصطلاحا .
المبحث الثاني : الفقيه والصفات التي يجب أن تتوفّر فيه .
المبحث الثالث : المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها الربيع بن حبيب .
المبحث الرابع : نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب، وبعض أقواله التي لم يجرها العمل في المذهب .
المبحث الخامس : وفاة الربيع .

(د) – الخاتمة : وهي ملخص لما جاء في البحث .

هذا ويعتقد الباحث أن العمل المتواضع الذي قام به هو الأول من نوعه يقدم في هذا الموضوع ، ويرجو من الله العلي الكريم أن يكون قد وفق لعرضه بشكل يحقّق الفائدة المرجوة منه ، إذ أنه لم يدخر وسعا، ولم يبخل جهدا يصل به إلى استكمال مقوماته، ومع ذلك فهو لا يدعي – إطلاقا – أنه بلغ الغاية التي سعى إليها عندما اختاره موضوعا لبحثه ، وكل الذي قام به فهو لا يعدو فتح باب لمن يريد ولوجه من أولئك الباحثين الصابرين الذين يعتزون بتراثهم الإسلامي العربي ، ومن أجله يستهينون بكل صعب ويتحدون كل عسير .

وختاما يتوجّه إلى الله عز وجل أن يسدد خطاه ، ويلهمه الصواب في كل مايأتي ومايذر، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنه هو التواب الرحيم . وآخر دعوانا أن ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ .

الباب الأول

الباب الأول
التمهيد ويحتوي على ثلاثة فصول

الفصل الاول :

السنّة مفهومها وطرق تلقيها :

- مقدمة الفصل .
- مفهوم السنّة لغة وشرعا .
- أقسام السنّة .
- الفرق بين السنّة والحديث .
- علاقة السنّة بالقرآن الكريم .
- أدلّة حجّية السنّة .
- السنّة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني :

جهود علماء المسلمين في تدوين السنّة، ومقاومتهم للوضع فيها :

- مقدمة الفصل .
- الأسباب التي حالت دون كتابة السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .
- التدوين الرسمي للسنّة .
- تسّرب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .
- جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

الفصل الثالث

الحديث النبوي الشريف

- **المقدمة**
- **معنى الحديث لغة واصطلاحا**
- **علاقة الحديث بالخبر والأثر**
- **الحديث القدسي**
- **الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم**
- **الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي**
- **مراتب الحديث**
- **شروط رواة الحديث**
- **الألقاب العلمية لرواة الحديث**

الفصل الاول

السنّة

مفهومها وطريق تلقّيها

يتحدث الباحث فى هذا الفصل بعد المقدمة عن :

1 – مفهوم السنّة لغة وشرعا .
2 – أقسام السنّة .
3 – الفرق بين السنّة والحديث .
4 – علاقة السنّة بالقرآن الكريم .
5 – أدلة حجّية السنّة .
6 – السنّة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

السنة النبوية مفهومها وطرق تلقيها

مقدمة الفصل :

لقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون محمد بن عبد الله بن عبد المطالب الهاشمي القرشي العربي رسولا إلى النّاس كافة ، فقال تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾[1]، وأن يظهر الدين الإسلامي الذي جاء به على الأديان السابقة كلها، فقال جل شأنه : ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون**﴾[2]، وقال : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[3]، وقال : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[4] .

ولقد تلقى صلى الله عليه وسلم مادة هذا الدين من عند الله تعالى بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام في صورة وحي متلو يتمثل في القرآن الكريم كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، لقوله تعالى : ﴿**وإنه لتنزيل ربّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾[5] .

أو في صورة وحي غير متلو يتمثل في السنة النبوية المطهرة لقوله تعالى :

---

(1) سورة سبأ : الآية 28 .
(2) سورة الصف : الآية 9 .
(3) آل عمران : 85 .
(4) آل عمران : 19 .
(5) الشعراء : 192 – 195 .

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى﴾[6]، وقوله : ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة[7] وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾[8] .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[9] .

والذي يهم الباحث في هذا الفصل هو : الصورة الثانية من الوحي، وهو الوحي غير المتلو الذي يتمثل في السنّة النبوية المطهرة .

1 – مفهوم السنّة لغة واصطلاحا

(أ) المعنى اللغوي للسنة[10] :

السنة بضم السين مفرد (سنن) جاءت في اللغة العربية بعدة معان منها :

1 – السنة : بمعنى الوجه لصقالته وملاسته . ففي الصحاح : رجل مسنون الوجه إذا كان في أنفه ووجهه طول، وسنة الوجه : صورته، قال ذو الرمة[11] :

تريك سنة وجه غير مقرفة
ملساء ليس به خال ولا ندب[12]

2 – وفي الحديث : إنه حص على الصدقة فقام رجل قبيح السنة، أي قبيح الصورة .

(6) النجم : 3 – 4 .

(7) الحكمة : فسرها الشافعي بالسنة ، انظر تفسيره للقرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل ، دمشق : المكتبة الأموية لات ، المجلد الأول ، ص 357 .

(8) النساء : 13 .

(9) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) ، الكفاية في علم الدراية . لاب ، المكتبة العلمية ، لا . ت . ص 8 .

(10) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري . (ت 711 هـ) لسان العرب . مادة : سنن .

(11) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة ، وذو الرمة : لقب لقبته به (ميّة) . راجع الأغاني . (تحق : إبراهيم الأبياري) . دار الشعب . سنة 1970 م ، مج . ص 6733 .

(12) ندب : جمع الندبة وهي أثر الجرح الباقي على الوجه راجع : الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ج4 ، مادة ندب .

3 – والسنة : ضرب من تمر المدينة معروف .

4 – والسنة : السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عقبة الهذلي : فلا تجز عن من سيرة أنت سرتها... فأول راض سنة من يسيرها ومن هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله أجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ**»[13] .

5 – والسنة : الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة، أي من أصحاب الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السّنن، وهو الطريق .

6 – والسنة : الطبيعة ، وبها فسر بعضهم قول الأعشى :[14]

كريم شمائله من بني معاوية[15] الأكرمين السنن

7 – والسنة هي : أمر ابتدأه شخص وعمل به قوم من بعده، وفي هذا المعنى قال نصيب[16] :

كأني سننت الحب أول عاشق من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي

8 – وجاء لفظ السنّة في القرآن الكريم بمعنى الطريقة، والسيرة المتبعة،

(13) أخرجه مسلم في صحيحه : ج : 2

(14) الأعشى هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام ، وينتهي نسبه إلى يسجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى أبا المصبح وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الفقيه الشعبي ، قتله الحجاج بن يوسف صبرا .

(15) معاوية الأكرمين : هو معاوية بن الحارث الأصغر من معاوية من كندة ، من قحطان جد جاهلي من نسله الأشعث بن قيس ، ويعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف . راجع . الزركلي . الأعلام . ط 3 ، بيروت : (1162) . ج : 8 . ص 170 .

(16) هو : نصيب بن رياح أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل ، مقدم في النسيب والمدائح . توفي سنة 108 هـ . راجع المرجع نفسه ص 355 .

وحكمة اللّه، ونظامه في خلقه . قال تعالى : ﴿**وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين**﴾[17] وقال سبحانه : ﴿**سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا**﴾[18] وقال : ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنّة الأولين، أو يأتيهم العذاب قبلا**﴾[19] . وقال جل وعلا : ﴿**سنة اللّه في الذين خلوا من قبل**﴾[20] . وقال ﴿**سنة اللّه في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة اللّه تبديلا**﴾[21] . وقال تبارك وتعالى : ﴿**فهل ينظرون إلاّ سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**﴾[22] ، وقال : ﴿**سنة اللّه التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون**﴾[23] ، وقال : سبحانه وتعالى : ﴿**سنة اللّه التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنه اللّه تبديلا**﴾[24] .

ب) المعنى الشرعي :

المراد بالسنة في الشرع هو ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم به، أو نهى عنه ، أو ندب إليه : قولا كان أو فعلا ، وبذلك أمكن القول في ادلة الشرع : الكتاب أي القرآن، والسنة أي الحديث النبوي الشريف .

ويختلف معناها الاصطلاحي باختلاف تخصصات علماء الشريعة، وتباين

(17) الأنفال : 38 .
(18) الاسراء : 77 .
(19) الكهف : 55 .
(20) الأحزاب : 38 .
(21) الأحزاب : 62 .
(22) فاطر : 43 .
(23) غافر : 85 .
(24) الفتح : 23 .
مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معجم ألفاظ القرآن الكريم . القاهرة : لا .ت ، ج : 21 . ص 62 .

اهتماماتهم والأغراض التي عينت كل فئة منهم . فهي تعني عند علماء الحديث غير ماتعنيه عند الأصوليين والفقهاء[25] .

1 – معنى السنة عند علماء الحديث :

فالمحدثون عندما بحثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره الأسوة والقدوة للمؤمنين نقلوا كل مايتصل به من سيرة ، وخلق ، وشمائل ، وأخبار ، وأقوال وأفعال ، وتقريرات ، سواء أثبت المنقول عنه حكما شرعيا أم لم يثبت . فصارت السنة في اصطلاحهم هي :

(كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، أو سيرة ، سواء كان ذلك قبل البعثة – كتحنثه فى غار حراء أم بعدها)[26] .

2 – السنة عند الأصوليين :

وعلماء الأصول كان الذي يهمهم من بحثهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو دوره كمشرع يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستورهم في الحياة ، لذلك عنوا بأقواله ، وأفعاله ، وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها ، فصارت السنة في اصطلاحهم هي :

(كل ماصدر عن النّبي صلى الله عليه وسلم – غير القرآن – من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي)[27] .

(25) ينظر في ذلك كل من :
الإسلامي . القاهرة : مكتبة دار العروبة ، 1161م . ص 61 .
(26) محمد عجاج الخطيب ، مرجع سابق ، ص 19 .
(27) محمد عجاج الخطيب . مرجع سابق ، ص 16

3 – السنة عند الفقهاء :

وأما علماء الفقه فإنهم بحثوا عن أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي لا تخرج عن الدلالة على حكم شرعي .

فهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد ، وجوبا ، أو حرمة ، أو ندبا ، أو كراهية ، أو إباحة ، وبهذا جاءت السنة في اصطلاحهم هي :

«كل مائثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب»[28] وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على مايقابل البدعة، ومنه قولهم : **«طلاق السنة كذا... ، وطلاق البدعة كذا»**[29] .

ولعله واضح من تلك الإطلاقات الثلاثة أنّ أوسعها هو إطلاق المحدثين الذين أطلقوا السنة على كل ماأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو سيرة ، أو صفة خلقية ، أو خلقية ، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، وسواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لم يثبت .

2 – أقسام السنة

تبين لنا مما تقدم أن السنة تشتمل على ثلاثة أقسام، هي : قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، وتقريره .

أ – فقول الرسول صلى الله عليه وسلم هو : ماقاله في مختلف الأغراض والمناسبات وترتب على ذلك حكم شرعي ، كقوله صلى الله عليه وسلم : **«فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر ، وما سقي بالنضح نصف العشر»**[30] . وقوله **«الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى»**[31] .

(28) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(29) مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، ص 60 .

(30) محمد بن إسماعيل الصنعاني ، (ت 1182 هـ) . سبل السلام . مراجعة : محمد خليل هراس . القاهرة : مكتبة الجمهورية العربية . لا . ت ، ج : 2 . ص 174 .

(31) الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري ، (ت حوالي 171 هـ) – الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (ترتيب : أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني) . ط : 2 . القاهرة : المطبعة السلفية ، سنة 1346 هـ . ج : 1 . ص 5 .

ب – وفعله صلى الله عليه وسلم يشمل جميع أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة عنه ، مثل : وضوئه عليه الصلاة والسلام ، وآدابه في الصيام وما إلى ذلك .

ج – وتقريره يشمل كل ماأقره صلى الله عليه وسلم من أقوال ، وأفعال صدرت من بعض أصحابه بسكوته وعدم إنكاره ، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده ، فيعتبر ماصدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه كأنّه صادر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

1 – فمن النوع الأول (سكوته وعدم إنكاره) : ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها : **«اتقي الله واصبري»** ! فقالت المرأة : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ! وهي لم تعرفه فقيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت إلى بيته فقالت له : لم أعرفك ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»** فهو صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة خروجها من بيتها إلى القبر ، فكان تقريرا دالا على جواز زيارة النساء للقبور ، وأنهن كالرجال في الحكم[32] .

2 – ومثال النوع الثاني (موافقته وإظهار استحسانه) هو : ما روي أن المنافقين كانوا يطعنون في نسب أسامة بن زيد بسبب التخالف بينهما في اللون، حيث كان أسامة شديد السواد، وأبوه زيد شديد البياض، وبينما أسامة وأبوه نائمان في المسجد، وقد تغطيا بثوب من القطيفة، ولم يظهر منهما سوى أقدامهما، رآهما القائف فقال : هذه الأقدام بعضها من بعض، فظهر السرور على النبي صلى الله عليه وسلم بقول القائف، فكان ذلك إقرارا بأنّ القيافة طريق من طرق ثبوت النسب، وبهذا أخذ جمهور الفقهاء»[33] .

(32) انظر : زكي الدين شعبان . أصول الفقه الإسلامي . ط : 4 . منشورات جامعة قاريونس ، سنة 1979 م ، ص 57 .

(33) المرجع السابق ص 57 – 58 .

3 - الفرق بين السنة والحديث

هناك بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه عموم وخصوص، فالحديث عام يشمل أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، أما السنّة فخاصة بأعماله، وهي طريقته الدينية التي سلكها في سيرته . يقول الدكتور صبحي الصالح في هذا الخصوص : «**والسنة في الأصل ليست مساوية للحديث، فإنّها تبعا لمعناها اللغوي كانت تطلق على الطريقة الدينية التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته المطهرة، لأنّ معنى السنة لغة : الطريقة، فإذا كان الحديث عاما يشمل قول النبي وفعله، فالسنة خاصة بأعمال النبي عليه السلام، وفي ضوء هذا التباين بين المفهومين ندرك قول المحدثين أحيانا : وهذا الحديث مخالف للقياس والسنة والإجماع . أوقولهم : إمام في الحديث، وإمام في السنة، أو إمام فيهما معا .**

وأغرب من هذا كله أن أحد المفهومين يدعم بالآخر، كأنهما متغايران من كل وجه، حتى صح أن يذكر ابن النديم كتابا بعنوان : (كتاب السنن بشواهد الحديث)[34] .

ولعل ما يزيد تأكيد مفهوم دلالة السنة على عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالخصوص أن المحدثين وعلماء أصول الفقه يطلقون كلمة السنة أحيانا على ما عمل به أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم، أم في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، أم لم يكن .

وحجتهم في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»[35] وقوله

(34) صبحي الصالح . علوم الحديث ومصطلحه . ط 6 . بيروت : دار العلم للملايين ، 1977 م ، ص 9 .

(35)أبو داود ، سليمان بن الأشعث . (ت 275 هـ) . سنن أبي داود . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، (1371 هـ ، ج 2 . ص506 .

صلى الله عليه وسلم أيضا : «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قالوا : وما تلك الفرقة ؟ «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[36] .

«ومن أبرز ماثبت في السنة بهذا المعنى : سنة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، كحد شارب الخمر ، وتضمين الصناع، وجمع المصاحف في عهد أبي بكر برأي عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة، وتدوين الدواوين»[37] .

ولكن مع ذلك فلا نجد السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ طريقته التي كان يؤيدها بأقواله السديدة، وأحاديثه الرشيدة الموجهة، وليس موضوع الحديث بمغاير لموضوع السنة، فكلاهما يدور حول محور واحد، وينتهيان أخيرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله المؤيّدة لأعماله، وفي أعماله المؤيّدة لأقواله، مما حدا بأكثر المحدثين إلى القول : **بأنّ الحديث والسنة شئ واحد وأنهما مترادفان**[38] .

4 - علاقة السنّة بالقرآن الكريم

سبق وأن عرفنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كلاهما وحي من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن وحي متلو، والسنّة وحي غير متلو، وهنا ستّبين تلك الأمور تتمثل فيها العلاقة بين السنة والقرآن وهي :

(36) جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر . (ت 911 هـ) . مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة . ط 3 . المدينة المنورة . مطابع الرشيد ، 1979 م ، ص 58 .

(37) انظر :

أ - إبراهيم بن موسى الشاطبي . (ت . 790 هـ) . الموافقات في أصول الشريعة . (شرح : عبد الله دراز) . بيروت : دار المعرفة ، لا .ت ، الجزء 4 . ص 4 - 5 .

ب - مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، ص 60 .

(38) صبحي الصالح ، مرجع سابق ، ص 9 - 10 .

أ – منزلة السنة النبوية بالنسبة القرآن العظيم :

تأتي منزلة السنة النبوية المطهرة في المرتبة الثانية بالنسبة للقرآن الكريم لأدلة كثيرة، منها :

1 – القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى، ومن ذلك جاءت معجزته بخلاف السنة فمعناها فقط من عند اللّه، وبذلك فهي ليست بمعجزة مثله، واستحقت التأخير عنه، واستأهل هو بدوره التقدم عليها .

2 – القرآن الكريم كله قطعي الثبوت جملة وتفصيلا، أما السنة فمقطوعة الثبوت جملة، ومظنونة تفصيلا إلا ما تواتر منها، والقطعي رتبته التقديم، والظنّي منزلته التأخير، كما هو متعارف عليه ومعلوم .

3 – السنّة إمّا بيان لما ورد في الكتاب، وإمّا زائدة عما ورد فيه، فإن كانت بيانا فهي تابعة للمبيّن، وإن كانت زائدة عما جاء به الكتاب العظيم فلا تعتبر إلا بعد التأكد من عدم اشتمال القرآن الكريم على ما جاءت به من أحكام، كالرهن في الحضر على سبيل المثال[39] .

4 – ماورد من أحاديث وآثار تدل على ذلك : كحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه والذى قال له فيه النبي صلى الله عليه وسلم : **«كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء»** ؟ قال : أقضى بكتاب اللّه، قال : **«فإن لم يكن في كتاب اللّه»** ؟ قال : فبسنة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال : **«فإن لم يكن في سنة رسول اللّه ؟»** قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : **«الحمد للّه الذي وفق رسول رسول اللّه لما يرضي رسول اللّه»**[40] .

(39) عبد الظيم الدين . تاريخ التشريع الاسلامي وأحكام الملكية والشفعية . ط 3 ، منشورات جامعة قاريوس ، 1978 م ، ص 266 .

(40) جلال الدين السيوطي . مرجع سابق ، ص 42 .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى شريح[41] : **«إذا أتاك أمر فاقض بما في كتاب الله، فإن أتاك ماليس في كتاب اللّه فاقض بما سنّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم»**[42] ، وفى رواية عنه . **«إذا وجدت شيئا في كتاب اللّه فاقض فيه ، ولا تلتفت إلى غيره»**[43] ، وقد بيّن معنى هذا في رواية أخرى أنّه قال : **«انظر ماتبيّن لك في كتاب اللّه فلا تسأل عنه أحدا ، وما لم يتبين لك في كتاب اللّه فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»**[44] .

ومثل هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : **«من عرض له منكم قضاء ، فليقض بما في كتاب اللّه ، فإن جاءه ماليس في كتاب اللّه فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم»**[45] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا سئل عن شئ ، فإن كان في كتاب اللّه قال به ، وإن لم يكن في كتاب اللّه وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال به ، ومثل هذا كثير فى كلام السلف والعلماء[46] ، ممّا يدل على أنّه لا يصار إلى السنّة إلاّ إذا عدم الحكم في القرآن .

ب) السنّة ودلالتها على الأحكام :

تتنوع السنة النبوية المطهرة من حيث دلالتها على ماجاء فى القرآن الكريم من أحكام على أربعة أنواع :

(41) شريح بن الحارث أبو أمية القاضي الكندي حليف لهم . استقضاه عمر على الكوفة وأقره علّي ، أقام على القضاء ستين سنة ، 53 سنة بالكوفة ، و 7 سنوات بالبصرة زمن بني أمية ، مات بعد سنة من استعفاء الحجاج له عام 78 هـ ، وكان عمره 120 سنة .
راجع : أ – البخاري (256 هـ) . التاريخ الكبير ، بيروت : دار الكتاب العلمية ، لا . ب ، مجلد : 4 القسم الثاني من الجزء الثاني م ص 228 .
ب – ابن حجز العسقلاني . (ت 852 هـ .) تهذيب التهديب حيدر أباد : مطبعة دائرة المعارف ، 1325 هـ . ج : 4 ص 326 .

(42) الشاطبي . مرجع سابق ، ص 8 .

(43) نفس المرجع ، ن،ص .

(44) نفس المرجع ، ن ، ص .

(45) نفس المرجع ، ن ،ص .

(46) نفس المرجع ، ن ،ص .

1 – مقررة للكتاب ومؤكدة له : – فيكون للحكم في هذه الحالة دليلان : أحدهما مثبت للحكم وهو مانص عليه القرآن الكريم ، والثاني مؤكد له ، وهو النص الوارد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

قوله صلى الله عليه وسلم **«لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفس»**[47] فإنه يوافق قوله تعالى : ﴿**يأيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم**﴾[48] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : **«اتقوا اللّه في النساء فإنهنّ عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة اللّه، واستحللتم فروجهن بكلمة اللّه»**[49] ، فإنه يطابق قول الله عز وجل : ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[50] .

2 – سنة شارحة للكتاب وموضحة لما جاء فيه من النصوص المحتاجة إلى الإيضاح والبيان وهذه على ثلاثة أقسام :

أ – سنة مفسرة لنصوص القرآن المجملة : كالأحاديث الواردة لبيان مواقيت الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وكيفية القراءة فيها ، والأحاديث المبينة لما يزكى من الأموال ، ولمقدار الزكاة وأنصبتها ، فهي مبينة للمراد من مجمل الكتاب في قوله تعالى : ﴿**وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة**﴾[51] ، أو موضحة لما فيه من غامض الألفاظ ومشكلها : كالحديث الذي بيّن المراد من الخيطين في قوله تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾[52] بأنّه بياض النهار وسواد الليل، حيث إن بعض الصحابة[53] فهم

(47) أبو عبد الله أحمد بن حنبل : (ت 241 هـ) . المسند . (تحق : أحمد محمد شاكر) ، ط : 2 ، القاهرة : دار المعارف . 1950 م ، ج : 5 ، ص 72 .

(48) النساء : 26

(49) أبو دواد سليمان السجستاني (275 هـ .) سنن أبي داود (تحق : محمد محي الدين عبد الحميد) . القاهرة . دار إحياء السنة النبوية لا . ت ج : ص 224 .

(50) النساء : 19

(51) البقرة :110

(52) البقرة : 181

(53) قيل إنه : عديّ بن حاتم الطائي .

أن المراد بالخيطين لما نزلت هذه الآية : العقال الأبيض ، والعقال الأسود ، فأخذ عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود ، ووضعها تحت وسادة ، ومازال يأكل ويشرب حتى استطاع رؤيتها ، والتبيز بينهما ، ولما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم بين له المراد بها بياض النهار وسواد الليل .

ب – سنة مخصصة لعام القرآن الكريم : ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : **«لا يرث القاتل»**[54] فإنه مخصص للعموم من قوله جلّ جلاله : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**﴾[55] ، إذ هو يدل على أن كل ولد يرث ، قاتلا كان أو غير قاتل ، فجاءت السنة وخصصت العموم بغير القاتل . ومن هذا أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : **«لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا على ابنة أخيها ، ولا على ابنة أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»**[56] ، فإنه مخصص لعموم قول الله تعالى : ﴿**وأحلّ لكم ماوراء ذلكم**﴾[57] ، وذلك بعد ذكر المحرمات من النساء .

ج – سنة مقيدة لمطلق الكتاب : وذلك كما في قوله جلّ شأنه : ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾[58] ، فإن الأيدي لم تقيّد في هذا النص بأنها اليمين أو الشمال ، والسنة هي التي دلت على تقييدها باليمين ، وكذلك القطع لم يقيد فيه بموضع خاص فقيدته السنّة من الكوع .

3 – سنة ناسخة لحكم ثبت بالكتاب على رأي الجمهور : مثل قوله صلى الله عليه وسلم : **«لا وصية لوارث»**[59] فإنه نسخ الوصية للوارث الواردة في قوله

(54) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه . (ت 273 هـ) سنن ابن ماجة . (تحق : محمد فؤاد عبد الباقي) . دار إحياء التراث العربي . لا . ت ، ج : 2 رقم 2735 ، ص 913 .

(55) النساء : 11 .

(56) سنن النسائي ، (شرح جلال الدين السيوطي) . القاهرة : المطبعة المصرية بالأزهر . لا . ت . ج : 6 ، ص 98 .

(57) النساء : 24 .

(58) المائدة : 24 .

(59) ابن الأثير الجذرى . (606 هـ) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول . (تحق . عبد القادر الأرناؤوط) . لا . ب : مطبعة الملاح سنة 1973 ، ج : 11 . ص 623 .

تعالى : ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين﴾[60] وقوله صلى الله عليه وسلم : «قد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب الرجم»[61] الحديث ناسخ لقوله تعالى : ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾[62] .

4 – سنة مؤسسة مثبتة لما سكت عنه القرآن الكريم ، ودليل القائلين بهذا حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال له فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟»... الحديث الذي سبق ذكره[63] ، وحديث أبي دواد الذي أورده البيهقي عن العرباض بن سارية قال : نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر من معه من أصحابه، وكان صاحب خيبر رجلا ماردا متكبرا فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ألكم أن تذبحوا حمرنا ، وتأكلوا ثمرنا ، وتضربوا نساءنا ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : «يا ابن عوف ! اركب فرسك ، ثم ناد أن اجتمعوا» ، فلما اجتمع الصحابة صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فقال : «أيحسب أحدكم متكئا على أريكته ، لا يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا مافي هذا القرآن أو أكثر ، وإنّ اللّه عز وجلّ لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلاّ بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم إذ أعطوكم الذي عليهم»[64] هذا وإنّ الأحكام الثابتة بالسنة وحدها كثيرة ومنها :

(60) البقرة : 179 .
(61) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن . القاهرة : دار الكاتب العربي 1968 م ، ج 5 م ص 85 .
(62) النساء : 15
(63) أنظر : ص 26 من هذا الفصل .
(64) جلال الدين السيوطي . مرجع سابق ، ص 20 – 21 .

ماجاء عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، من خال أو عم أو أخ»[65] ، ومنها أيضا : ثبوت ميراث الجدة ، ووجوب صدقة الفطر ، ووجوب الدية على العاقلة ، وصلاة الوتر ، وتحريم أكل كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير ، وتحريم استعمال الرجال للذهب والحرير ، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، إلى غير ذلك من الأحكام الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الإلهام ، أو الاجتهاد ، أو الوحي[66] .

5 – أدلة حجّية السنّة

تعتبر السنة أحه مصادر الشريعة الإسلامية ، بل هي المصدر الثاني بعد كتاب الله وتستمد حجيتها من الأدلة التالية :

أ – **القرآن الكريم :** هناك آيات كثيرة من القرآن الكريم دلت صراحة على وجوب العمل بالسنة النبوية وذلك في قوله تعالى : ﴿وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[67] ، وقوله : ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة»[68] ، وقوله : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[69] وقوله : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[70] وقوله جل وعلا : ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنّ

(65) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري . بيروت : دار المعرفة ، لا ت . مج : 9 . ص 120 .
(66) عمر مولود عبد الحميد . حجية القياس في أصول الفقه الإسلامي ، منشورات جامعة بنغازي . بيروت : مطابع الشروق ، لا . ت . ص 33 .
(67) الحشر : 7 .
(68) الأحزاب : 21 .
(69) النساء : 64 .
(70) النور : 63 .

اللّه لا يحب الكافرين﴾[71] ، وقوله : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**»(72)

ب - الأحاديث والآثار : وردت أحاديث وآثار تبين أنّ السنّة مصدر تشريعي متمّم ومبّين للقرآن : كقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «**تركت فيكم اثنين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتي**»[73] ، وما روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**مهما أوتيتم من كتاب اللّه فالعمل به ، لا يكن عذر لأحد فى تركه ، فإن لم يكن فى كتاب اللّه فسنة نبي ماضية**»[74] ، وعن ضمرة بن حبيب ابن عبد الرحمن بن عمر الأنصاري الأسلمي أنه سمع عرباض بن سارية يقول : «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت لها العيون ، ووجلت لها القلوب ، فقلنا يارسول الله ! إنّ هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ بعدى عنها إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كبيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهتدين الراشدين ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيا ، عضوا عليها بالنواجد ، فإنما المؤمن كالجمل الآنف كلما قيد انقاد**»[75] .

وأخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة ، فقال رجل من القوم : يا أبا نجيد ! انكم تحدثوننا

---

(71) : آل عمران : 32 .
(72) الأحزاب : 36 .
(73) ابن عبد البر . (ت 463 هـ) . جامع بيان العلم وفضله . (تحق : إدارة الطباعة المديرية) . مصر : إدارة الطباعة المنيرية ، لا ، ت ، ح : 2 . ص 18 .
(74) جلال الدين السيوطي . مرجع سابق ، ص 45 .
(75) ابن عبد البر . المرجع السابق ، ص 181 .

بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن !، فغضب عمران وقال للرجل : «قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ، ووجدت المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين ، والظهر أربعا ، والعصر أربعا ؟! قال : لا . قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه ؟! وأخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوجدتم فيه من كل أربعين شاة ، وفي كل كذا بعيرا كذا ، وفي كل كذا درهما كذا ؟ قال : لا قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه ، وأخذنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟، وقال : وجدتم في القرآن ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾[76] أوجدتم فيه فطوفوا سبعا ، واركعوا ركعتين خلف المقام ؟ أو وجدتم في القرآن لا جلب[77] ، ولا جلب[78] ، ولا شغار في الاسلام ؟ أما سمعت الله قال في كتابه : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[79] . قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم[80] . إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تؤكد أن السنة مصدر للتشريع الإسلامي .

ج - الإجماع : أجمع المسلمون في حياته عليه صلاة والسلام وبعد مماته على وجوب اتباعه ، والأخذ بما صدر عنه ، ولم يثبت أنهم فرقوا بين ماورد عنه على أنه قرآن ، وبين ماثبت عنه أنّه غير قرآن من جهة العمل به ، لعلمهم تمام العلم بأنّه صلى الله عليه وسلم معصوم ، ولا ينطق عن الهوى ، فما ثبت عنه سواء أكان قرآنا أم سنّة فهو مقبول .

---

(76) الحج : 29 .
(77) الحلب : أن ينزل عامل الزكاة موضعا ثم يرسل من يحلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها .
(78) الجنب أن يجنب ربّ المال ماله ، أي يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد في طلبه عند جمع الصدقة ، أو أن ينزل العامل بأقصى مواضع الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه أي تجلب .
انظر : القاموس المحيط . مادة : جلب ، وجنب .
(79) الحشر : 7 .
(80) السيوطي . مرجع سابق ، ص 10 .

د – بيان السنّة : كثيرا ماكانت تتنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة ، أو مطلقة غير مقيّدة ، أو عامة ليست مخصصة ، كالأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، والسنّة هي التي كانت تبّين المجمل وتفصل ، وتقيد المطلق ، وتخصص العام ، وتوضح الغامض من اللفظ . فلو لم تكن هذه السنة البيانية حجة ودستورا وجب اتباعه لما أمكن تنفيذ كثير من فرائض القرآن ولا اتباع الكثير من أحكامه ، مما ورد عاما ، أو مطلقا ، أو مجملا ، ويراد به غير ذلك سواء كان ذلك في العبادات أم في المعاملات .

ولعل ماقاله الإمام الشافعي خير دليل في هذا الخصوص . قال : **«لو رددنا السنّة كلّها لصرنا إلى أمر عظيم لا يمكن قبوله ، وهو أنّ من يأتي بأقل مايسمى صلاة أو زكاة فقد أدى ماعليه ، ولو صلى ركعتين في كل يوم أو أيام ، إذ له أن يقول : مالم يكن في كتاب الله فليس على أحد فيه فرض ، ولكن السنة بينت عدد الصلوات وكيفياتها ، والزكاة وأنواعها ومقاديرها ، والأموال التي تجب فيها»**[81] . وقال الأستاذ محمد تقي الدين في هذا المعنى أيضا . «والحديث حول حجته ماصدر عن النبي من قول ، أو فعل ، أو تقرير أوضح من أن يطال فيها الحديث ، إذ لولاها لما اتضحت معالم الإسلام ، ولتعطل العمل بالقرآن ، ولما أمكن أن يستنبط منه حكم واحد بكل ماله من شرائط وموانع ، لأنّ أحكام القرآن لم يرد أكثرها لبيان جميع خصوصيات مايتصل بالحكم ، وإنما هي واردة في بيان أصل التشريع ، وربما لا تجد فيه حكما واحد استكمل جميع خصوصياته ، قيودا وشرائط وموانع . خذ على ذلك مثلا هذه الآيات المباركة :

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[82] . ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[83] . ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[84] . ثم حاول التجرد عن تحديدات السنة لمفاهيمها ، وأجزائها ،

(81) محمد إدريس الشافعي . (ت : 204لرسالة . (تحقيق : أحمد محمد شاكر) ، القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1940م ،

(82) البقرة : 110 . (83) البقرة : 183 . (84) آل عمران : 7 .

وشرائطها ، وموانعها ، فهل تستطيع أن تخرج منها بمدلول محدد ؟ . وما يقال عن هذه الآيات يقال عن غيرها .

فالقول بالاكتفاء بالكتاب عن الرجوع إلى السنة تعبير آخر عن التنكر لأصل الإسلام وهدم لأهم معالمه وركائزه العلمية[85] .

6 – السنّة وكيفية تلقى الصحابة لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد سعد الصحابة رضوان الله عليهم جميعا بنعمة الإسلام ، وحظوا برعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ومخالطته إياهم ، والالتقاء بهم كيفما اتفق ، وحيث ماكان ، في المسجد ، والسوق ، والبيت ، والسفر ، والحضر ، وكانت أفعاله وأقواله وتقريراته محل عناية ، وموضع اهتمام وتقدير منهم إذ كان عليه الصلاة والسلام مثلهم الأعلى ، وأسوتهم الحسنة ، ومحور حياتهم الدينية والدنيوية . وكيف لا يكون ذلك منهم ؟ وهم الذين تربوا – منذ نشأتهم الإسلامية الأولى – على مائدة القرآن الكريم ، وسمعوا الله يقول لهم فيه : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[86] ، ويقول : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾[87] ، ويقول : ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾[88] ، ويقول : ﴿**ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[89]

(85) محمد تقي الحكيم . الأصول العالمقارن . ط : 2 . لا . ب . دار الأندلس للطباعة والنشر سنة 1979 ، 124 .

(86) الحشر . 7 .

(87) الأحزاب . 21 .

(88) آل عمران . 132 .

(89) الأنفال : 34 .

ويقول : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع اللّه**﴾[90] ، ويقول تعالى : ﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾[91] .

أيقنوا رضوان الله عليهم أن الرد إلى اللّه هو الرد إلى القرآن ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته القولية والعملية والتقريرية ، سواء في حياته أم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وإلى جانب استجابتهم لأوامر القرآن الكريم بطاعته ، والعمل بسنته ، امتثلوا أيضا لأوامره صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص والتي يقول في بعضها :

«**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي**»[92] ، ويقول : «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[93] ، ويقول : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد**»[94] .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بحث الصحابة ومن آمن به على التمسك بسنته فحسب ولكنه شدّد النكير على من يترك حديثه ، ويتخلى عن سنته متعللا باكتفائه بما جاء في القرآن الكريم ، وعملا بقوله تعالى : ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شئ**﴾[95] ، فقال صلى الله عليه وسلم : «**ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها**»[96] ، ويقول : «**لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به**

(90) النساء : 80 .
(91) النساء : 59 .
(92) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج : 2 . ص 180 .
(93) الخطيب البغدادي . مرجع سابق ، ص 8 .
(94) أبو دواد السجستاني مرجع سابق ، ص 506 .
(95) الأنعام : 38 .
(96) الخطيب البغدادي . مرجع سابق ، ص 8 .

أو نهيت عنه فيقول : ما أدري ماهذا ؟ عندنا كتاب الله ليس هذا فيه»[97] ، ويقول : «**لعل أحدكم أن يأتيه حديث من أحاديثي وهو متكئ على أريكته فيقول : دعونا من هذا ما وجدنا في كتاب اللّه اتبعنا**»[98] وفي رواية أخرى «**ألا عسى رجل أن يبلغه عني حديث هو متكئ على أريكته فيقول : لاأدري ماهذا ؟ عليكم بالقرآن ! فمن بلغه عني حديث فكذب به ، أو كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[99] .

كان لهذين العاملين : أمر الله باتباع رسوله والعمل بما جاء به ، وحث الرسول عليه الصلاة والسلام على الأخذ بسنته ، وتشديد النكير والنعي على من يتخلى عنها – كان لها أعمق الأثر وأبلغه على إقبال الصحابة لتلقّي السنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بتعاليمها ، والعمل بما جاء فيها وتطبيقها .

أمّا الكيفية التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون بها السنة فتتمثل فيما يلي :

أ – حرص الصحابة على مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأوقات التي خصصها لمجالسه الطافحة بالعلم والفائدة ، إلى جانب قيامهم بشؤونهم الخاصة وأعمالهم المعاشية من زراعة وتجارة ورعاية للماشية ، وما إلى ذلك .

وكان من لا يتمكن منهم من الحضور باستمرار يتناوب مجالسه عليه الصلاة والسلام مع الآخرين ، ذلك كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد قال : «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك»[100]

(97) نفس المرجع ، ص 10 .
(97) نفس المرجع ، ص 11 .
(98) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(100) ابن حجر العسقلاني ، مرجع سابق ، مج : 1 . ص 167 .

وكانوا رضوان الله عليهم يتذاكرون دائما مايسمعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»[101] .

ب – الأحكام التي كانت تنتشر بين المسلمين ويحكم بها الرسول عليه الصلاة والسلام في الحوادث التي تقع أمامه ... مثال هذا ماروا ه أبو هريرة رضي الله عنه : أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما ، فسأله كيف تبيع ؟ فأخبره ، فأوحي إليه أدخل يدك فيه ، فأدخل يده فإذا هو مبلول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«ليس منا من غش»**[102] .

ج – حوادث كانت تقع للمسلمين فيسألون عنها فيفتيهم ويجيبهم مبيّنا حكم ما سألوه عنه .

يسأله الشخص في ذات نفسه ، أو فيما يتعلق بغيره – إن كان هذا الغير بخجل من مواجهته بالسؤال .

فمن ذلك ماروا ه علي أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت رجلا مناء فكنت أستحي أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته ، فأمرت المقداد فسأله فقال : **«يغسل ذكره ويتوضأ»**[103]

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أو سأله رجل فقال : بينا أنا في الصلاة أحكّ فخدي ، فأصابت يدي ذكري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«هل هو إلاّ بضعة منك ؟»**[104] .

(101) محمد عجاج الخطيب . السنة قبل التدوين . القاهرة : مكتبة وهبة ، 1963 م ، ص 60 ، عن الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ن ص 46 : ب .

(102) أحمد بن حنبل . (ت : 241 ها) المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) . ط : 2 . مصر دار المعارف ، 1950 م ج : 13 . رقم الحديث : 7290 . ص 18 .

(103) أحمد بن حنبل . (ت : 241 ها) المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) . ط : 2 مصر . دار المعارف 19506 م ج : 2 . رقم الحديث : 606 م ص 39 .

(104) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري . (ت 405 ها) ، معرفة علوم الحديث ، (تصحيح : معظم حسين) . ط : 3 بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1979 م ، ص 132 .

وقد يُسأل عليه الصلاة والسلام عن أخصّ من ذلك ، كما روى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قال : جاءت امرأة رفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن رفاعة طلقني فأبت طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإن مامعه مثل هدبة الثواب ، فقال : **«أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»** ، وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ،وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤ ذن له فقال : ياأبا بكر ! ألا تسمع ماتجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟[105]

إن هذه الأجوبة ، وتلك الفتاوى والأقضية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يواجه بها مايعترض المسلمين من الحوادث النابعة من واقع مايصاد فهم في حياتهم اليومية ، ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية لتمثل مادة غزيرة في مختلف كتب السنة النبوية المطهرة .

د – ماشاهده الصحابة من تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء عبادته ، كصلاته ، وصيامه ، وحجّه ، وفي شؤونه العامة من سفر وإقامة ، ومعاملات لأتباعه وغيرهم ، وما سجّلوه عنه من هديه وسيرته ، ونقلوا هذه الوقائع والحوادث – وهي كثيرة جدّا – إلى التابعين ، وهؤلاء بلغوها إلى من بعدهم . ومن ذلك ماروا ه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل وآخره وأوسطه ، فانتهى وتره إلى السحر[106] .

ومن ذلك أيضا ماروا ه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر : أنّه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، وعمر ، يمشون أمام الجنازة[107] .

ومنه أيضا ماروا ه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول

(105) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ص 14 .

(106) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج : 2 . حديث رقم 653 ، ص 64 .

(107) المرجع نفسه ، ج : 6 ، رقم الحديث 453 ، ص 247 .

الله صلى الله عليه وسلم نصلي إذ انصرف ونحن قيام ، ثم أقبل ورأسه يقطر ، فصلّى لنا الصلاة ثم قال : **«إني ذكرت أني كنت جنبا حين قمت إلى الصلاة ، لم أغتسل فمن وجد منكم في بطنه رزا أو كان على مثل ماكنت عليه فلينصرف حتى يفرغ من حاجته أو غسله ، ثم يعود إلى صلاته»**[108] .

وما رواه أيضا فقال : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»**[109] .

تلك هي الطريقة التي تلقى الصحابة بها السنة الرضية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد معرفتنا لها يحق لنا في الفصل اللاحق أن نعرف الجهود التي بذلها علماء المسلمين في تدوين السنّة ومقاومتهم للوضع فيها .

(108) المرجع نفسه ، ج : 2 ، رقم الحديث 668 ، ص 74 .
(109) المرجع نفسه ، ج 2 ، رقم الحديث 585 ، ص 29 .

﴿ الفصل الثاني ﴾

جهود علماء المسلمين في تدوين السنّة ومقاومتهم للوضع فيها

الباحث في هذا الفصل بعد المقدمة مايلي :

1 - الأسباب التي حالت دون كتابة السنّة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده .
2 - التدوين الرسمي للسنّة النبوية .
3 - تسرب الوضع في الحديث النبوي وأسبابه .
4 - جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع .

جهود علماء المسلمين في تدوين السنّة
ومقاومتهم للوضع فيها

مقدمة الفصل :

ليس هناك من شك في أن السنّة النبوية تأتي منزلتها في المرتبة الثانية – بعد كتاب الله العزيز – بالنسبة لمصادر الشريعة الإسلامية وأصولها ، وفي أنها وحي – غير متلو – من الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله : ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**﴾[1] ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[2] ، ولكن بالرغم من تلك المنزلة التي كانت تتمتع بها السنة النبوية فإنها لم تحظ بالكتابة والتدوين الرسمي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطيلة عهد خلفائه الراشدين من بعده ، كما حظي القرآن الكريم ، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام قد نهى – في أول عهده بالوحي... عن أن يكتب منه شيء غير القرآن .

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليمحه**»[3] ، غير أنه في الوقت ذاته حث أتباعه على تبليغ ما سمع منه ، وأمرهم

---

(1) النجم : 3 ، 4 .

(2) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . (ت 463 هـ) . الكفاية في علم الدراية . (بيروت) : المكتبة العلمية . لات ، ص 8 .

(3) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . (ت 261 هـ) صحيح مسلم (القاهرة) : مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، لات ، ج 8 . باب التثبت في الحديث . ص 229 .

بالعمل بما جاء عنه إذ قال : «**نضر اللّه عبدا سمع مقالتي فوعاها ، ثم أدّاها وبلّغها**»[4] ، وقال «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي**»[5] ، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[6] . مما جعل صحابته رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم من كبار التابعين وتابعيهم يبذلون الجهد ، ويستنفدون الطاقة في جمع السنة واستظهار نصوصها ، والمحافظة عليها في الصدور أولا ، ثم إخراجها إلى عالم السطور والتدوين الرسمي ثانيا .

وفي هذا الفصل سيتحدث الباحث عن مسيرة السنة النبوية قبل مرحلة التدوين ، وعن جهود علماء المسلمين في تدوينها وصيانتها من الوضع .

أولا : الأسباب التى حالت دون كتابة السنة في عهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين

لقد عزا أكثر العلماء الذين تتبعوا مسيرة السنة النبوية المطهرة قبل مرحلة التدوين وبعدها عدم العناية بكتابة الأحاديث النبوية الشريفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين إلى أسباب نذكر أهمها فيما يلي[7] :

---

(4) أبو عمرو يوسف بن عبد البر . (ت 463 هـ) . جامع بيان العلم وفضله . (تحق : إدارة الطباعة المنيرية) . القاهرة : الطباعة المنيرية ، لا . ت ، ج : 2 . ص 124 .

(5) أبو عمرو يوسف بن عبد البر . (ت 463 هـ) . جامع بيان العلم وفضله (تحق : إدارة الطباعة المنيرية) . القاهرة : الطباعة المنيرية : لا . ت ، ج : 2 . ص 180 .

(6) أبو داود سليمان السجستاني (ت 275 هـ) . سنن أبي داود ج 2 ص 506 .

(7) راجع :

أ) مصطفى السباعي . السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ط : 2 . بيروت : المكتب الاسلامي ، 1976 م ، ص 58 ومابعدها .

ب) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث علومه ومصطلحه . ط : 3 . دار الفكر ، 1975 م ، ص 147 وما بعدها .

1 - في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

أ - نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن الكريم في بداية تنزله عليه حتى لايلتبس على المسلمين من صحابته بغيره مما يكتبون عنه ، وذلك قبل ترسهم على أسلوبه وخصائصه ، وألفاظه ومعانيه السامية المعجزة . فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى قوله صلى الله عليه وسلم : «**لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليمحه**»[8] ، ومما يؤيد حديث النبي هذا من الآثار :

1 - ماورواه عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدْرى في قوله : «**استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي**»[9] .

2 - ماجاء أيضا عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال : «**ماهذا الذي تكتبون ؟**» قلنا : أحاديث سمعناها منك ، قال : «**أكتابا غير كتاب الله تريدون ؟ «ماأضلّ الأمم قبلكم إلاّ ماكتبوا من الكتب مع كتاب الله»** قال أبو هريرة فقلت : أنتحدث عنك يارسول الله ! قال : **نعم . تحدثوا عني ولا حرج فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[10] .

3 - ماقاله زيد بن ثابت رضي الله عنه لمعاوية : «إن رسول الله أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه»[11] .

ب - صعوبة تدوين كل مايصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلمات وأعمال ومعاملات خلال فترة الوحي وهي ثلاث وعشرون سنة ، لعدم توفر الإمكانات البشرية والمادية اللازمة للتدوين ويأتي في مقدمة ذلك قلة

---

(8) سبقت الإشارة إلى مصدر الحديث بهامش مقدمة هذا الفصل .

(9) الخطيب البغدادي . تقييد العلم . (تحق : يوسف العش) . ط : 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1975م ، ص 32 .

(10) نفس المرجع ، ص 33 .

(11) نفس المرجع ، ص 35 .

الكاتبين في صدر الإسلام ، حيث كانوا يُعَدون على الأصابع مما جعلهم يهتمون بكتابة القرآن الكريم الذي هو المصدر التشريعي الأساسي دون غيره يؤدوه لمن بعدهم محرّرا مضبوطا تاما لم ينقص منه شيء .

ج – أمية العرب واعتمادهم على الذاكرة وحدها يحدان من استيعاب السنّة الواسعة الكثيرة النواحي ، الشاملة لأعمال الرسول التشريعية ، وأقواله ، وتقريراته منذ بدء رسالته حتى لحق بربه إلى جانب القرآن الكريم الذي نزل منجما على آيات وسور صغيرة جعلته ميسور الحفظ سهل الاستذكار دون سواه .

د – تدوين السنة يستدعي إكباب الصحابة على حفظها إلى جانب القرآن ، وفيه من الحرج مافيه .

ها – خشية اختلاط بعض أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الموجزة الحكمية أو مايسمى (بجوامع الكلم) بالقرآن سهوا وعن غير قصد ، وذلك خطر على كتاب الله تعالى ، قد يفتح باب الشك لأعداء الإسلام ينفذون منه إلى المسلمين لحملهم على التحلّل من أحكامه ، والتفلت من سلطانه .

تلك هي أهم الأسباب التي حالت دون تدوين السنة النبوية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يراها العلماء ، إلا أن الذي يراه الباحث أن نهي الرسول عليه الصلاة والسلام عن كتابة السنّة إنما أراد به التدوين الرسمي لها ، ولم ينه عن كتابتها من قبل الأفراد الذين يؤمن الخطأ من جانبهم ، كعبد الله بن عمرو بن العاص الذي ورد في بعض الأحاديث مايدل على إذن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قلت : يارسول الله ! إني أسمع منك شيئا فأكتبه ؟ قال : «**نعم**»[12] . وفي رواية أخرى عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال : (كنت أكتب كل شيء

(12) الخطيب البغدادي . تقييد العلم . (تحق . يوسف العش) . ط : 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية 1975 م ، ص 74 .

أسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «**اكتب فوا الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**»[13]

وعن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : «لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب»[14] .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة قال : (كان رجل يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه فيسألني فأحدثه ، فشكا قلة حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «**استعن على حفظك بيمينك**»[15] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أنّه قال : (إن خزامة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب) فقال : «**إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل** (قال أبو عبد الله : كذا قال أبو نعيم) **وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، ألا وإنّما أحلت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتي هذه ، حرام لا يختلى شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلاّ لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين ، إمّا أن يعقل ، وامّا أن يقاد أهل القتيل**» فجاء من أهل اليمن فقال : (اكتب لي يارسول الله) فقال : **اكتبوا لأبي فلان**»[16] ،

(13) الخطيب البغدادي . تقييد العلم . (تحق : يوسف العش) ، ط : 2 . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1975 م ، ص 80

(14) نفس المرجع ، ص 82

(15) نفس المرجع ، ص 65

(16) الرجل : هو أبو شاه

فقال رجل[17] من قريش : إلاّ الإذخر يارسول الله فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **«إلا الإذخر»**[18] .

وعن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : (لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه) قال : **«ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»** قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط . قال : **«قوموا ولا ينبغي عندي التنازع»** فخرج ابن عباس يقول : «إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه»[19] .

ولقد كان للعلماء في أحاديث نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن تارة وإباحتها تارة أخرى آراء ومذاهب للتوفيق بينها نجملها فيما يلي[20] :

1 – هناك من العلماء من رأى أنّ حديث أبي سعيد الخدْري الذي أورده مسلم عَن النّهي عن الكتابة موقوف عليه ، فلا يصح أن يحتج به في هذا الخصوص ، ومن هؤلاء الإمام البخاري .

2 – ومنهم من قال : إن النّهي عن الكتابة إنما كان في أول عهد الناس بالإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين وميزوا القرآن من الحديث نسخ الحكم إلى الجواز .

ويمكن هنا إلحاق الرأي الذي يقول : إن النهي إنما كان عن كتابه الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة .

3 – ومن العلماء من قال : إن النهي كان في حق من وثق بحفظه ، وخيف اتكاله على الكتابة ، والإذن كان في حق من لايوثق بحفظه كأبي شاه ، والصحابي الذي اشتكى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سوء حفظه .

(17) رجل من قريش : هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب – م رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(18) أبو الفضيل أحمد بن حجر العسقلاني (ت 853 ها) . فتح الباري شرح صحيح البخاري . ط : 2 . بيروت . دار المعرفة ، لا . ت . ج : 2 . ص 183 – 184 باب كتاب العلم .

(19) نفس المرجع ، ص 185 – 187 .

(20) انظر : محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين . القاهرة : مكتبة وهبة ، 1963 م ، ص 306 – 309 .

4 – ومن العلماء من قال : كان النهي عاما وخص بالسماح له من كان قارئا وكاتبا مجيدا لا يخطيء في كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

5 – ويمكننا أن نضيف إلى هذه الآراء رأيا آخر للدكتور محمد عجاج الخطيب الذي قال . «ورأينا في هذه الأخبار هو صحة ماروى عن أبي سعيد الخدْري من النهي ، وصحة ماورد عن غيره من إباحة الكتابة . فنحن لا نقول بوقف خبر أبي سعيد عليه ، فالرأي الأول مردود ، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صوابا ، فنهيه عليه الصلاة والسلام عن كتابه الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس ، وربما يكون نهيه عن كتابه الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا يشغل المسلمين بالحديث عن القرآن الكريم ، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيدًا لحفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية ، لأنهم كانوا يطبقونه : يرون الرسول فيقلدونه : ويسمعون منه فيتبعونه ، وإلى جانب هذا سمح لمن لايختلط عليه القرآن بالسنة أن يدّون السنة كعبد الله بن عمرو بن العاص : وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده ، حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم ، وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالإباحة عامة ، وإن وجود علة من علل النهي السابقة لاينفي تخصيص هذا النهي بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العّلة ، فالنّهي لم يكن عاما ، والإباحة لم تكن عامة في أول الإسلام ، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة ، وحيثما زالت أبيحت الكتابة ، وأرى في حديث أبي شاه ، وفي حديث ابن عباس : (إئتونى بكتاب ...) إذنا عاما وإباحة مطلقة ، وعلى هذا لاتعارض بين جميع تلك الروايات»[21] .

والباحث يتفق مع قالة الدكتور محمد عجاج الخطيب ويقول : إنّه لو لم تنسخ أحاديث النهي عن كتابه السنّة ، ولم لم تبح كتابتها لما انتهى إلينا ماكتب

(21) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث . مرجع سابق ، ص 152 – 153 .

من الصحف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص المسماة (الصادقة) ، وصحيفة حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة في السنة الأولى من الهجرة م وصحيفة سعد بن عبادة ، ونسخة سمرة بن جندب التي ورثها ابنه سليمان ورواها عنه ، وصحيفة جابر بن عبد الله ، وغيرها من الصحف التي دونت في النصف الأول والثاني من القرن الأول الهجري وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كصحيفة أبي هريرة التي دونها ورواها عنه تلميذه التابعي همام بن منبه منبه وسماها (الصحيحة) ، وما كتبه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من السنة في ألواح يحملها معه في مجالس العلم[22] .

ولو لم يكن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذنا عاما ذهبت تلك الفائدة العمية التي تحققت من كتابة السنّة وتدوينها للتشريع الإسلامي ، مما جعله تتسع نصوصه ويواكب كل مايستجد في حياة الإنسان من وقائع وأحداث ونوازل يلجأ فيها – إذا لم تسعفه نصوص القرآن الكريم – إلى السنة النبوية المطهرة لكشف أسرارها ، وإجراء أحكامها ، وتحقيق مقاصدها وفق ماتقضيه الحكمة وتتطلبه المصلحة وينشده العدل .

فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره آخر الرسل ، وخاتم النبيين ، وشريعته هي خاتمة الشرائع وناسختها لابد أن يأمر بما فيه صالح البشرية وخيرها ودوام سعادتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارين .

2 – السنّة في عهد الخلفاء الراشدين :

استمرت الحال على ماهي عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بنهي عدم تدوين السنة النبوية تدوينا رسميا في عهد الخلافة الراشدة . فهي :

(22) راجع : صبحي الصالح . علوم الحديث ومصطلحه . ط : 6 . بيروت : دار العلم للملايين ، 1977 م ، ص 23 ومابعدها .

أ – عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد واجهته – منذ أيامه الأولى – حروب الردة التي مات فيها عدد كبير من حفظه القرآن الكريم ، واقتضى الأمر أن يعمل سريعا على جمع القرآن في كتاب واحد بعد ماكان مفرقا في مصادره ليكون مرجعا للمسلمين إلى جانب حفظهم له في الصدور .

أما السنة فلم يجد سبيلا إلى تدوينها بعد أن وجه جميع إمكانيات الكتابة – وهي محدودة – إلى القرآن الكريم ، فلابد – إذًا – من الاستمرار في الاعتماد على الذاكرة وحفظ السنّة في الصدور كما هي الحال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، مع عدم إشغال المسلمين كثيرا برواية الحديث ، خصوصا أولئك الذين لم يتيسر لهم حفظ القرآن الكريم ، أو حفظوه وجمعوا معه كثيرا من الأحاديث حتى لا يقعوا في مغبة الخطإ والنسيان فينسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مالم يقله من حيث لايدرون .

فقد روى أبو مليكة مرسلا : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : «إنكم تحدثون عن رسول الله صلى عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»[23] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه على جانب كبير من التثبت وأخذ الحيطة في قبول الرواية الحديثية إذ كان له في الراوي نظر ، وفيما يروي نظرات ونظرات .

جاء عن الإمام مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن إسحاق بن خرشة عن قبيصة ابن ذؤيب أنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها ، فقال لها أبو بكر : «مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فارجعي حتى أسأل الناس» فسأل الناس فقال المغيرة بن

(23) محمد بن أحمد المعروف بشمس الدين الذهبي . (ت 748 ها) . تذكرة الحفاظ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . لا .ت ، ج : 1 ، ص 403 .

شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ماقال المغيرة . فأنفذه أبو بكر الصديق»[24] .

وإذا كان من الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحذر في قبول رواية الحديث ليس معناه أنه أغلق باب الرؤية وسد مسالك الاحتجاج بها كما توهم ويتوهم الكثيرون ، ولكنه التثبت والتحري منه رضي الله عنه في الأخبار .

ب – في عهد الخليفة الثاني : أمّا الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد فكر في تدوين السنة وكتابتها ، واستشار الصحابة من المهاجرين والأنصار في ذلك حتى يأمن التبديل والتحريف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرًا ، ثم أصبح وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا»[25] .

وقد سار رضي الله عنه على نهج سلفه أبي بكر رضي الله عنه في الإقلال من الرواية والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتثبت في قبول الأحاديث . قال الذهبي : «والفاروق هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب»[26] . روى البخاري عن أبي سعيد الخدْري أنه قال : «كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه

(24) انظر : مالك بن أنس (179 هـ) الموطأ . (تحق : محمد فؤاد عبد الباقي) بيروت : دار إحياء التراث العربي ، لا . ت . مج : 2 . ص 513 باب ميراث الجدة .

(25) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 64 .

(26) شمس الدين الذهبي . مرجع سابق : ص 5 .

مذعور فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي ، فرجعت . قال : مامنعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع»** فقال : والله لتقيمن عليه ببينة ! أمنكم أحد سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي : والله لا يقوم معك إلاّ أصغر القوم ، فقمت معه فأخبرت عمر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك[27] .

هذا وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين للصحابة المحدثين الغرض الذي يقصد من وراء طلب البينة منهم فيقول : «إني لم أتهمك ، ولكني أحببت أن أتثبت»[28] .

وليس معنى ذلك أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكتب في عهده من السنّة شيء ، فإنه رضي الله عنه طالما حث الكاتبين على كتابه العلم وتدوينه ماستطاعوا إلى ذلك سبيلا . فقد روى ابن عبد البر بقوله : حدثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنّه سمع عمر بن الخطاب يقول : **«قيدوا العلم بالكتاب»**[29] . ثم إنه هو نفسه وجد يكتب بشيء من السنّة إلى بعض عماله ، فقد قال أبو عثمان النّهدي : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان فيما كتب إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«لا يلبس الحرير في الدنيا إلاّ من ليس له في الآخرة منه شيء»**[30] .

ج – في عهد الخليفة الثالث : وأمّا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فهو الآخر كان لا يتحدث إلا بما يتقن حفظه ، خشية أن يقع في الخطإ سهوا ودون قصد .

(27) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق . ج : 11 . ص 23 – 24 . كتاب الاستئذان – باب التسلم والاستئذان ثلاثا .

(28) شمس الدين الذهبي . نفس المرجع ، ص 8 .

(29) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ص 72 .

(30) أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) ط : 2 . مصر : دار المعارف ، 1955 م ج : 1 . ص 261 .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : «مايمنعني أن أحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاّ أكون أوعى أصحابه ، ولكني أشهد سمعته يقول : **«من قال عليّ مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار»**[31] . وقال عنه أيضا محمود بن لبيد : سمعت عثمان على المنبر يقول : لايحل لأحد يروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر ، فإنه لا يمنعنا أن نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاّ أكون أوعى أصحابه عنه إلاّ أني سمعته يقول : **«من يقل عليّ مالم أقل فقد تبوأ مقعده من النار»**[32] .

د – في عهد الخليفة الرابع : أما أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه فلم تسعفه الظروف للاهتمام بتدوين السنّة وكتابة العلم لانشغاله المتواصل بحروب المنشقين عن خلافته طيلة حياته الخلافية ، إلاّ أنه يمكننا أن نتبين منهجه في قبول رواية الحديث وحرصه الشديد على التثبت لما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال قوله : «كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه ، وإن حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف صدقته ، وإن أبا بكر حدثني – وصدق أبو بكر – أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال : **«مامن رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلّي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلاّ غفر له»**[33] .

الخـلاصة :

لقد رأينا من خلال تلك الآثار التي سقناها ماكان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم – زمن الخلافة الراشدة – من التثبت وأخذ الحيطة والحذر

(31) أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) . المسند . (شرح : أحمد محمد شاكر) ط : 2 . مصر : دار المعارف ، 1955 م ، ج : 1 . ص 163 .

(32) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 180 .

(33) الخطيب البغدادي . الكفاية في علم الدراية . مرجع سابق ، ص 28 .

في قبول الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم خشية الوقوع في الخطإ ، والخوف من الدس والوضع في الحديث النبوي الشريف من الجهلة وأصحاب الأهواء ، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب فيكون الحكم بخلاف ماأريد به . وكان فعل الصحابة هذا كما قال صاحب كتاب السنة قبل التدوين : «احتياطا للدين ، ورعاية لمصلحة المسلمين ، لا زهدا في الحديث النبوي الشريف ، ولا تعطيلا له ، فلا يجوز لإنسان أن يفهم من منهاج الصحابة – ومن تشدّد عمر خاصة – هجر الصحابة للسنّة أو زهدهم فيها ... فلقد ثبت عن الصحابة جميعا تمسكهم بالحديث الشريف ، وإجلالهم إياه ، وأخذهم به ، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية ، من حلال أو حرام ، وفزعهم إلى كتاب الله فإن وجدوا فيه مايريد تمسكوا به ، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه ، وإن لم يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى السنّة ، فإن روي لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأي»[34]

وقد استطاعوا رضوان الله عليهم جميعا بعملهم هذا أن يحافظوا على السنّة بعيدة عن الوضع والكذب إلى أن جاء دور التدوين الرسمي لها .

فمتى كان ذلك ؟ ومن الذي قام بهذا الدور الخطير ؟ هذا ماسيتولى الباحث الإجابة عنه في الفقرة التالية .

ثانيا – التدوين الرسمي للسنّة النبوية :

يعتبر علماء الحديث أن نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني خاتمة حاسمة لما كان من كراهة كتابه السنة ، والإعلان عن تدوينها رسميا من قبل الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز (61 – 101 هـ) . فقد رّددوا في

(34) محمد عجاج الخطيب . السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 98 – 99 .

كتبهم عبارة (وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز)[35]

يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب : «ويفهم من هذا أنّ التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن عبد العزيز ، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقطع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، بل بقي جنبا إلى جنب مع الحفظ حتى قيض للحديث من يودعه المدونات الكبرى» .[36] ولعل خير دليل على ذلك هو : صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص المسماة بالصادقة ، وكتب ابن عباس ، وصحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ، والصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه وغيرها مما كتب بطريق فرديّ ، وعناية شخصيّة .

خشي عمر بن عبد العزيز اندراس السنّة وتسرب الوضع إليها ، فأمر بجمعها على أيدي بعض كبار علماء التابعين ، وربما شجعه على هذا أيضا نشاط التابعين العلمي ، وإباحتهم للكتابة حين زالت أسباب الكراهة ، إذ لا يمكن أن يأمر بجمع السنة وتدوينها والعلماء كارهون لهذا ، ولو أنهم كرهوا كتابتها ماأصاخوا لدعوته ، ولا استجابوا لمقترحه .

اتخذ الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز قرارا حازما لجمع السنّة النبوية المطهرة ، فكتب إلى الأنصار يقول : «انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه»[37] . وكان فيما كتب إلى أهل المدينة «انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله»[38] وكان في كتابه إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (117 هـ) عامله على

(35) جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . القاهرة : المطبعة الخيرية ، 1307 هـ ، ص ، 40 .

(36) محمد عجاج الخطيب . نفس المرجع ، ص 332 .

(37) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 204 .

(38) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي . (ت 255 هـ) مسند الدارمي . ج : 1 . ص 126 .

المدينة (أن اكتب إليّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديث عمرة فإني خشيت دروس العلم وذهابه)[39] . وفي رواية : «أمره أن يكتب له العلم من عنده عمرة[40] بنت عبد الرحمن (98 هـ) ، والقاسم[41] بن محمد (107) فكتب له) . وفي رواية : «فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلاّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»[42] ، كما أمر ابن شهاب الزهري[43] (124 هـ) وغيره بجمع السنن ، فقد قال ابن شهاب :«أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا»[44] .

وبهذا العمل الجليل يرجع الفضل الكبير إلى عمر بن عبد العزيز في حفزهم العلماء لخدمة السنّة النبوية وكتابتها وتحميل الدولة مسؤولية حفظها رسميا .

ثم مالبث هذا التيار العلمي وكتابة الحديث النبوي أن طالع العالم الإسلامي بمدونات حديثية مختلفة على يد أبناء النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، فبعد أن كان المشتغلون بالسنّة يقيّدون المفرق المشتت في ديوان (أي في كتاب) أصبحوا يرتبون الحديث على الأبواب ، ويضمون هذه الأبواب إلى بعضها في مصنف واحد أو جامع .

(39) انظر : أ – الخطيب البغدادي . تقييد العلم . مرجع سابق . ص 105 .
ب – محمد عجاج الخطيب السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 329 .

(40) عمرة بنت عبد الرحمن : هي خالة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم نشأت في حجر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكانت من أثبت التابعين في حديث عائشة .

(41) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وعالم أهل زمانة ، تلقى عمله عن عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و هي المعروفة بغزارة علمها وتعمقها في السنة النبوية .

(42) ابن حجر العسقلاني . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 204 .

(43) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . (50 – 124 هـ) . قال عنه مكحول : مارأيت أحدًا أعلم بسنة ماضية من الزهري ، وكان أول من استجاب لطلب الخليفة عمر بن عبد العزيز فدون له السنن في دفاتر ، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دون السنن . وروى عنه خلق كثير . راجع ترجمته . ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب . حيدر أباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ، سنة 1326 هـ ج 9 ص 445 وما بعدها ...

(44) ابن عبد البر . مرجع سابق ، ج/1 ص 76 .

وعلى هذا ، «فلم يكن مطلع القرن الثاني الهجري مبدأ لتدوين السنّة وتقييدها ، بل كان مبدأ للتصفيف على الأبواب ، وقد ظهرت هذه المصنفات في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الإشعاع العلمي بالدولة الإسلامية ، ثم ظهرت المسانيد ، فالصحاح ، وبهذا يكون تدوين الحديث قد مر بمراحل منتظمة حتى انتهى إلينا في كتب الصحاح بالمسانيد»[45] .

ثالثا : تسرّب الوضع في الحديث :

سبق للباحث وأن تحدث عن حرص الصحابة رضوان الله عليهم بعامة والخلفاء الراشدين بخاصة وتثبتهم في رواية الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبلها ، إلا أنه مع ذلك الحرص وتلك الحيطة فقد بدأ الوضع يتسرب إلى الحديث النبوي الشريف .

فما أسباب الوضع في الحديث ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما موقف علماء المسلمين من الوضّاعين والأحاديث الموضوعة ؟ .

قبل أن يجيب الباحث عن هذه الأسئلة يتحدث عن :

1 – معنى الموضوع لغة واصطلاحا :

أ – المعنى اللغوي : الموضوع في اللغة اسم مفعول من وضع يضع ، ويأتي وضع في اللغة لمعان عدة منها :

1 – الإسقاط : كوضع الجنابة عنه أي : أسقطها ، ووضع الأمر أو الشيء عن كاهله أي : أسقطه .

2 – الترك : ومنه إبل موضوعه ، أي : متروكة في المرعى .

3 – الافتراء والاختلاق : كوضع فلان هذه القصة : أي اختلقها وافتراها .

(45) محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، مرجع سابق ص 342

ب – المعنى الاصطلاحي لدى المحدثين : هو مانسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاقا وكذبا مما لم يقله ، أو يفعله ، أو يقره . قال ابن الصلاح في مقدمته : «الموضوع هو المختلق ، وهو شر الأحاديث الضعيفة ، ولا تحل روايته لأحد علم حال فى أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه»[46] .

2 – بداية الوضع في الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه :

لقد كان للفتنة الكبرى التي انتهت بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تلاها من حروب دامية بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة والزبير في واقعة الجمل ، وبينه وبين معاوية في صفين ،وبينه أيضا وبين المحكة (الخوارج) في النهروان ، ثم بين أشياعه ومعاوية من جهة ، وبين الخوارج وبين بني أمية من جهة أخرى ، كان لذلك كله أثره العميق في انقسام المسلمين على أنفسهم سياسيا ، فأصبحوا طوائف متعددة . فالجمهور مع علي في خلافه مع معاوية ، والخوارج يسخطون على معاوية وعلي معا بعد ماكانوا أنصار علي المتحمسين لإمامته ، المخلصين لبيعته ، وآل البيت صاروا – بعد قتل علي وتولي معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين ، وتنازل الحسن له عن حقه في الخلافة – صاروا يطالبون بالخلافة ويشقون عصا الطاعة على الدولة الأموية ، مما أدى إلى نشأة الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلا دينيا له أثره البالغ في قيام المذاهب الدينية في الإسلام . وقد حاول كل حزب من هذه الأحزاب أن يدعم رأيه وما يدعيه بالقرآن والسنّة ، ولكنه لايمكن بحال أن تتحمل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كل ماتدعي تلك الفرق ، وتزعم هاتيك الأحزاب ، لذلك لجأ بعضهم إلى تأويل القرآن على غير حقيقته ،

(46) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت 642 هـ) . مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث بيروت : دار الكتب العلمية 1978 م ، ص 47 .

وتحميل نصوص السنّة مالا تتحمّله ، وأن يضع البعض الآخر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تؤيد دعواه ، وتدعم هواه إن عزّ عليه ذلك في القرآن العظيم لحفظه ، وتوفر المسلمين على روايته وتلاوته ، ومن هذا كان الوضع في الحديث وابتداؤه ، واختلاط الصحيح منه بالمختلق الموضوع .

ولعلّ أول معنى طرقه واضع الحديث هو فضائل الأشخاص ، فقد وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم ، ويقال : إن أوّل من فعل ذلك هم الشيعة على اختلاف طوائفهم . فقد جاء في شرح نهج البلاغة قول ابن أبي الحديد : «اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدإ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم ، فلما رأت البكرية ماصنعت الشيعة وضعت (هي الأخرى) لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث»[47] .

ولم يقتصر الوضع في الحديث على مناقب الأشخاص ، ودعم الأفكار والآراء العقائدية والمذاهب السياسية بل تجاوزها إلى مختلف أبواب الحديث ، حتى كادت الأحاديث المختلفة أن تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث في الفضائل والمثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وغيرها في العبادات والمعاملات المختلفة ، وفي الأطعمة ، والآداب ، والزهد ، والذكر ، والدعاء ، وفي الطبّ ، والمرض ، والفتن ، والمواريث وغيرها[48] .

هذا وتعتبر السنّة الأولى من العقد الخامس من القرن الأول الهجري هي الحد الفاصل بين صفاء السنّة النبوية وخلوصها من الوضع ، وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية ، ومطية للنزعات والأهواء .

يقول الدكتور مصطفى حسني السباعي في هذا الخصوص : «كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنّة وخلوصها من الكذب

(47) عبد الحميد بن هبة الله المكنّى بابن أبي الحديد ، (ت 655 هـ) . شرح منهج البلاغة . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، لا . ت ، ج : 2 ، ص 134 .

(48) راجع : محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين . مرجع سابق : ص 189

والوضع ، وبين التزيّد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية ، والانقسامات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلا حربيا سالت به دماء ، وأزهقت أرواح ، وانقسم المسلمون إلى فرق متعددة»[49] .

ومن خلال تحديد السنّة التي بدأ فيها الوضع في السنّة والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن القول :

إن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد سبيله إلى ألسنة الوضّاعين طيلة حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، ومدة الخلافة الراشدة ، وكيف يتصور مسلم أو من له مسكة من عقل أن يتجرأ أحد من صحابته صلى الله عليه وسلم الأبرار الطيبين الأخيار الذين تربوا على يدية المباركتين ، وتخرجوا من مدرسة ينابيع حكمته ، واستمعوا إلى توجيهاته وقوله : **«إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد ، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار»**[50] ، وكيف يتصور أن يتجرأ أحد من هؤلاء المؤمنين حقا أن يفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله من المناسب أن نستمع إلى مايقوله بعض الصحابة أنفسهم في هذا الشأن :

أخرج البيهقي عن البراء قال : «ليس كلنا كان يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب»[51] .

وأخرج البيهقي أيضا عن قتادة : «أن حدث بحديث قال له رجل : أسمعت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . أو حدثني من لم يكذب ، **واللّه ماكنا نكذب ولا ندري ماالكذب**»[52] .

(49) مصطفى حسني السباعي ، مرجع سابق ، ص 90 .

(50) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . (ت 911 هـ) . مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة . ط : 3 . المدينة المنورة : مطابع الرشيد ، 1979 م ص 36 .

(51) نفس المرجع ، ص 37 .

(52) نفس المرجع ، ن ، ص .

بذلك تكون أية محاولة قد يقوم بها بعض من تسولّ له نفسه بالوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم – ممن لم يتمكن الإيمان من قلوبهم – قد وجدت حصارا شديدا ، وتعرية من الصحابة وكبار التابعين الذين يسهل عليهم معرفة الحديث الصحيح من الموضوع ، لوعيهم ورسوخهم في الحديث النبوي الشريف ، وامتلاكهم الجرأة المثالية في الحق مكنتهم من عدم السكوت عن آبائهم وأعز الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء الصراط .

وكان لهذه الصفة وتلك الأخلاق أثرها الحميد في سلوك من جاء بعدهم من كبار التابعين وأوساطهم وصغارهم وعلماء تابعيهم في مقاومة الوضع والوضاعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيتبين مما يلي .

رابعا : جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع في السنّة :

لم يقف صغار الصحابة وكبار التابعين ومن جاء بعدهم من علماء المسلمين رضي الله عنهم جميعا مكتوفي الأيدي أمام ظاهرة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاق الباطل في الدين ، وإنما قاوموا تيارها الجارف بما حباهم الله وأيدهم بعونه وتوفيقه من الوسائل الناجعة التي كانت السبب المباشر في إنقاذ السنّة النبوية الرضيّة مما دبّر لها من كيد ، وحيك حولها من دسائس ومؤامرات ، ومنها :

1 – إسناد الحديث : صار علماء الحديث يشدّدون في طلب الإسناد من الرواة ، وألزموه في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتبروه للخبر كالنسب للمرء .

فهذا الإمام محمد بن سيرين يخبرنا عن ذلك ويقول : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد ،فلما وقعت الفتنة ، قالو : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ»[53] .

(53) أبو الحسين محمد بن الحجاج بن مسلم القشيري . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 11 .

وقد ابتدأ التثبت في نقل الأخبار وإسنادها منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة .

فقد روى الإمام مسلم في مقدمته عن مجاهد : أن بشير العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كذا» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كذا» فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ، فقال : يابن عباس ! مالي أراك لا تسمع حديثي ! أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس . إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلاّ مانعرف»[54] ، ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب ، وازدادت دواعيه .

يقول أبو العالية : «كنّا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم»[55] ، وكان محمد بن شهاب الزهري إذا حدّث أتى بالأستاد ويقول : «لا يصلح أن يرقى السطح إلاّ بدرجه»[56] ، ويقول الأوزاعي : «ما ذهاب العلم إلاّ ذهاب الإسناد»[57] . ويقول سفيان الثوري : «الإسناد سلاح المؤمن ، فإن لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل ؟»[58] ، ويقول عبد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء»[59] ، ولا ينقصُ ماذكرنا من التزام التابعين بالإسناد المتصل صحة ماروي عن بعضهم من

(54) أبو الحسين محمد بن الحجاج بن مسلم القشيري . مرجع سابق ج : 1 ، ص 10 .
(55) ابن عبد البر . مقدمة التمهيد . ص : 15 أ
(56) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي . (ت 327 هـ) . كتاب الجرح والتعديل . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ، 1953 م ، ج 1 . ص 16 .
(57) ابن عبد البر . المرجع السابق ، ص 15 .
(58) الخطيب البغدادي . شرف أصحاب الحديث . (تحق : محمد سعيد خطيب أوغلي) . دار إحياء السنة النبوية . لا ت . ص 42 .
(59) أبو الحسين مسلم بن الحجاج . مرجع سابق ، ص 12 .

المراسل : كأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وسعيد بن المسيب وغيرهما ، لأن هناك روايات تؤكد أنّ التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد . ومن هذا مارواه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن الإمام مالك بن أنس قال : «كنا نجلس إلى الزهري ، وإلى محمد بن المنكدر ، فيقول الزهري : قال ابن عمر : كذا «وكذا» ، فإن كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لي محمد ابن سيرين : سل الحسن ممن سمع دية العقيقة ؟ فسألته : فقال : من سمرة . قال ابن عبد البر : فهذا من الثقات ، إذا سئلو أحالوا على الثقات ، وقال سليمان الأعمش : قلت لإبراهيم (يعني النخعي) : إذا حدثتني حديثا فأسنده ، قال : إذا قلت : عن عبد الله – يعني ابن مسعود – فاعلم أنّه من غير واحد عنه ، وإذا سميت أحدًا فهو الذي سميت»[60] .

– **التوثّق من صحة الأحاديث :** إن الذي ساعد علماء السنّة على استبانة صحيح الحديث من سقيه هو وجود عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ممّن أمدّ الله في عمرهم ، وجعل منهم مرجعا يهتدي الناس بهديهم ، فلما وقع الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لجأ علماء الحديث من التابعين إليهم يسألونهم ماعندهم أولاً ، ويستفتونهم فيما يسمعون من أحاديث وآثار . ولهذا الغرض كثرت رحلات علماء التابعين ومن جاء بعدهم من تابعيهم .

يقول التابعي الكبير سعيد بن المسيب : «إني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[61] ، وحدّث الشعبي مرة بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لمن حدّثه به : «خذها بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»[62] ، ويقول بشير بن عبد الله الحضرمي : «إني كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في طلب الحديث الواحد لأسمعه»[63] .

(60) محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 224 – 225 .
(61) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله . مرجع سابق . ج : 1 . ص 94 .
(62) نفس المرجع . ص 92 .
(63) نفس المرجع . ص 96 .

3 – **نقد الرواة وبيان حالهم من صدق وكذب :** تتبع رجال الحديث وجهابذة الجرح والتعديل أحوال الرواة ، ودرسوا حياتهم دراسة وافية ، وعرفوا تاريخهم وسيرهم ، ومظاهر من أمورهم وما خفي ولم تأخذهم في ذات الله لومة لائم ، ولا منعهم من نقد الرواة وتجريحهم والتشهير بهم حرج ولا ورع ، أو عاطفة أو قرابة .

فهذا زيد بن أنية يقول : «لا تأخذوا عن أخي»[64] ، وذلك علي بن المديني يقول لمن سأله عن أبيه : سلوا عنه غيري «فأعادوا المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : «إنّه ضعيف»[65] ، وكان وكيع بن الجراح إذا روى عن والده يدعم روايته عنه برجل آخر ، لالشيء إلاّ لأنّه كان على بيت المال»[66] . وقيل ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصما لك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم لا تذب الكذب عن حديثي»[67] .

هذا وقد وضع هؤلاء العلماء النقاد قواعد وأسسا ساروا عليها لمعرفة من يؤخذ عنه الحديث ومن لا يؤخذ ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ، وانتهوا إلى أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم وهم :

أ – الكذّابون على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب – الكذّابون في أحاديثهم العامة ، ولو لم يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اتفقوا على أن من عرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه .

ج – أصحاب البدع والأهواء . فقد اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته أو إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته .

د – كل من لا تتوفر فيه صفات الضبط والعدالة والفهم ، والزنادقة ، والفساق ، والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدّثون .

(64) أبو الحسين مسلم بن الحجاج . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 121 .
(65) محمد عجاج الخطيب . السنة قبل التدوين . مرجع سابق . ص 233 . عن كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص 66 .
(66) نفس المرجع . نفس الصفحة .
(67) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 108 .

4 – وضع قواعد عامة لتقويم الحديث وتمييزه :

لقد قسم هؤلاء العلماء الحديث إلى ثلاثة أقسام : صحيح ، وحسن ، وضعيف .

أ – الحديث الصحيح : عندهم هو ماإتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذا أو معللا بعلة قادحة .

ب – الحديث الحسن ... وهو قسمان :

1 – الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ ، ولا هو متهما بالكذب ، ويكون متن الحديث قد روي مثله أو نحوه من وجه آخر .

2 – الحديث الذي يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة ، ولم يبلغ درجة رجال الصحيح فى الحفظ والإتقان ، ولا يعد ماينفرد به منكرا ، ولا يكون المتن شاذا ولا معللا .

والحديث الحسن بتسميه لم يكن معروفا عند المحدثين الأوّل في القرن الثاني الهجري ، وإنما عرف بعد ذلك . ويعتبر كتاب الترمذي أصلا في معرفة الحديث الحسن .

ج – الحديث الضعيف : وهو مالم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن وسمي ضعيفا لنشإ الضعف إمّا في سنده ، أو في متنه ، وهو أنواع ومنها :

1 – المرسل : وهو ماسقط منه الصحابي .

2 – المنقطع : وهو ما سقط من سنده رجل غير الصحابي أو ذكر فيه رجل مبهم .

3 – المعضل : وهو ماسقط من سنده اثنان فصاعدا .

4 – الشّاذ : وهو ماليس له إلا إسناد واحد يشذ به ثقة أو غير ثقة ، فيتوقف فيما شذ به الثقة ولا يحتج به ، ويرد ماشذ به غير الثقة .

5 – المنكر : هو ماشذ به الراوي الذي هو ليس بعدل ، ولا ضابط فإنه يرد ولا يقبل .

6 – المضطرب : وهو الذي تختلف روايات الحديث في متنه أو سنده ، ولا يمكن ترجيح إحدى هاته الروايات على الباقية لاستوائها في الصحة و رواية الثقات[68] .

5 – الحديث الموضوع وعلامات الوضع فيه :

وكما وضع علماء وجهابذة النقد قواعد دقيقة لمعرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، فقد وضعوا أيضا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدّل على الوضع من سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ... وسيذكر الباحث بإيجاز هذه العلامات في كل منها :

أ – علامات الوضع في السند :

1 – أن يكون راوية الحديث كذابا معروفا بالافتراء ، ولا يروي حديثه عن غيره ممن يوثق بهم .

2 – أن يعترف الواضع للحديث بوضعه له ، كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبي مريم بوضعه أحاديث فضائل سور القرآن ، وكما اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بوضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ، ويحلل فيها الحرام .

3 – وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بوضع الحديث ، كأن يروي الراوي عن شيخ لم يلقه ، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل إليه ، أو يروي عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفي هذا الشيخ والراوي صغير لايدرك .

وفي هذه الحالة يكون الاعتماد على تاريخ مواليد الرواة ، وإقامتهم ورحلاتهم ، وشيوخهم ووفاتهم ، حتى لا يستغل الوضاعون الشيوخ الثقات لترويج مايضعون من الأحاديث ، وبذلك صار علم الطبقات قائما بذاته ، ولا يستغني عنه نقاد الحديث .

---

(68) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 111 – 113 .

وفي هذا قال حفص بن غيات القاضي : «إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالسنين ، يعني سنه وسن من كتب عنه»[69] . وقال سفيان الثوري : «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»[70] .

4 – استفادة الوضع من حال الراوية وبواعثه النفسيّة : كما كان من أمر سعد بن طريف الذي وضع حديث : (معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المساكين) وذلك عندما جاء ابنه من الكتّاب يبكي بحضرة سيف بن عمر التميمي الذي أخرج الحاكم عنه هذا الخبر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا»[71] .

ومثل حديث : «الهريسة تشد الظهر» فإن واضعه محمد بن الحجاج النخعي الذي كان يبيع الهريسة[72] .

علامات الوضع في المتن :[73] :

هناك علامات كثيرة تدل على الوضع في متن الحديث أهمها مايلي :

1 – **ركاكة اللفظ :** بحيث يدرك الذي عنده علم بأسرار اللغة العربية وبلاغتها وفصاحتها أن هذا القول ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم .

وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها بوضعها . قال الحافظ ابن حجر : «المدار في الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى

(69) أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) . الباعث الحثيث ، بيروت : دار الفكر ، لا . ت . ص 131

(70) نفس المرجع . نفس الصفحة .

(71) محمد بن علي الشوكاني (1250 هـ) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . (تحق : عبد الرحمن المعلمي) . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، 1978م . ص 272 .

(72) أبو عبد الله محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية (751 هـ) المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية . لا . ت . ص 25 .

(73) راجع : أ – مصطفى السباعي . مرجع سابق ، ص 115 – 120 .
ب – محمد عجاج الخطيب السنة قبل التدوين . مرجع سابق . ص 241 – 247 .

الرداءة ، وأما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لا حتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح ، نعم إن صرّح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب»[74] .

2 – **فساد المعنى :** بأن يكون المروي من الأحاديث مشتملا على سخافات وسماجات لا تتفق وما عليه العقلاء من الكياسة والحصافة مثل : «الديك الأبيض حبيبي ، وحبيب حبيبي جبريل»[75] ، أو أن يكون مخالفا لبديهيات العقول من غير أن يمكن تأويله بوجه من الوجوه مثل : (إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا ، وصلّت عند المقام ركعتين)[76] .

أو أن يكون مخالفا للقواعد العامة في الحكم والأخلاق مثل : «جور الترك ولا عدل العرب»[77] ، أو مخالفا لقواعد الطب المتفق عليها مثل : «الباذنجان شفاء من كل داء»[78] أو مخالفا لقطعيات التاريخ ، أو سنة الله في الكون مثل : حديث عوج بن عنق ، وأن طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأن نوحا لما خوفه الغرق قال : احملني في قصعتك هذه (يعني السفينة) ، وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه كان يدخل يده في البحر فيلتقط السمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس ...»[79] .

3 – **مخالفة الحديث لصريح القرآن :** بحيث لا يقبل التأويل مثل : «ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء»[80] ، فإنه مخالف لقوله تعالى : ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[81] .

4 – مخالفته لصريح السنة المتواترة ، مثل : «إذا حدّثتم عني بحديث يوافق

(74) محمد عجاج الخطيب . نفس المرجع ، ص 242 عن الباعث الحثيث ، ص 90 .

(75) أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني . (ت 163 هـ) : تنزيه الشريعة المرفوعة . (تحق : عبد الوهاب عبد اللطيف وزميله) . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1971 م ، ج : 2 . ص 241 .

(76) مصطفى حسني السباعي . المرجع السابق ، ص 116 .

(77) علي القاري الهروي (ت 1014 هـ) . المصنوع في معرفة الحديث الموضوع . (تحق : عبد الفتاح غدة) ط : 2 . بيروت : مؤسسة الرسالة 78 م ص 88

(78) ابن قيم الجوزية . (ت 75 هـ) . المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية لا . ت ، ص 19 .

(79) ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) . المنار . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية . لا . ت ، ص 29 – 30 .

(80) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 116 .

(81) سورة النجم : 38 .

الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث»[82] فإنه مخالف للحديث المتواتر : **«من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»**[83] .

5 – مخالفته للقواعد العامّة المأخوذة من القرآن السنّة ، مثل : «من ولد له ولد فسمّاه محمدا كان هو ومولوده في الجنّة»[84] . ومثل : «آليت على نفسي ألاّ أدخل الدار من اسمه محمد أو أحمد»[85] . فإن هذا مخالف للمعلوم المقطوع به من أحكام القرآن والسنّة من أن النجاة بالأعمال الصالحة ، لا بالأسماء والألقاب .

6 – أن يكون مخالفا للإجماع ، مثل : «من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة»[86] فإن هذا مخالف لما أجمع عليه من أن الفائته لا يقوم مقامها شيء من العبادات .

7 – مخالفة الحديث لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل : حديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وضع الجزية على أهل خيبر ، ورفع السخرة عنهم بشهادة سعد بن معاذ ، وكتابة معاوية بن أبي سفيان[87] ، فهذا الحديث كذب من عدّة وجوه :

أ – إنّ فيه شهادة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وسعد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق .

ب – أنّ الجزية – من الثابت في التاريخ – لم تكن معروفة ولا مشروعة في عام خيبر ، وإنّما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك حين وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن .

ج – إنّ معاوية لم يكن أسلم عام خيبر ، وإنما دخل الإسلام عام الفتح[88] .

---

(82) أبو عبد الله أحمد بن حنبل . (241 هـ) . مسند الإمام أحمد ، (شرح : أحمد محمد شاكر) . ط : 2 . مصر : دار المعارف ، 1950 م ج : 2 ، ص 29 . رقم الحديث 584 .

(83) مصطفى السباعي . المرجع السابق ، ص 117 .

(84) ابن قيم الجوزية . المرجع السابق ، ص 31 .

(85) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(86) علي الهروي . مرجع سابق ، ص 191 .

(87) ابن قيم الجوزية . نفس المرجع ، ص 37 – 38 .

(88) نفس المرجع ، نفس الصفحة

8 – موافقة الحديث لمذهب الراوي وهو متعصب مغال في تعصبه : كأن يروي رافضي حديثا في فضائل أهل البيت ، أو حديثا في الإرجاء ، مثل ماروه حبة بن جوين إذ قال : سمعت عليا رضي الله عنه قال : عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين «قال ابن حيان : كان غاليا في التشيع ، واهيا في الحديث[89] .

9 – أن يتضمّن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لأنّه وقع بمشهد عظيم ، ثم لا يشتهر ولا يرويه إلاّ واحد . وبهذا حكم أهل السّنة ومن رأى رأيهم على حديث (غدير خم)[90] بالوضع والكذب .

قال العلماء إن من أمارات الوضع في هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعا ، ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعا على كتمانه حين استخلاف أبي بكر رضي اللّه عنه ، ومثل هذا بعيد ومستحيل في العادة والواقع ، انفراد الرافضة بنقل هذا الحديث دون جمهور المسلمين دليل واضح على كذبهم فيه»[91] .

10 – اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل بسيط . مثال ذلك : «من قال لا إله إلا اللّه ، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له»[92] .

تلك هي أهم القواعد والأسس التي بنى عليها العلماء جهودهم لنقد الحديث ، ومعرفة صحيح السّنة من مختلقها وموضوعها . وإلى جانب هذه القواعد وتلك الأسس يأتي ذوقهم الفني وملكتهم المكتسبة من كثرة الممارسة والدراسة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثيرا ما ردّوا أحاديث لمجرد سماعهم لها ، لأن ملكتهم الفنيّة لم تقبلها ولم تستسغها ، ومن هذا كثيرا مايقولون : «هذا الحديث عليه ظلمة ، أو متنه مظلم ، أو ينكره القلب ، أو لا تطمئن إليه النفس»[93] .

---

(89) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 118 .

(90) مصطفى حسني السباعي . مرجع سابق ، ص 118 .

(91) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(92) محمد عجاج الخطيب . السنة قبل التدوين . مرجع سابق ، ص 247 .

(93) مصطفى حسني السباعي . نفس المرجع ، ص 119 .

الفصل الثالث :

الحديث النبوي الشريف :

- المقدمة .
- معنى الحديث لغة واصطلاحا .
- علاقة الحديث بالخبر والأثر .
- الحديث القدسي .
- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي .
- مراتب الحديث .
- شروط رواة الحديث .
- الألقاب العلمية لرواة الحديث .

الحديث النبوي الشريف

مقدمة الفصل :

لقد شاعت كلمة الحديث على لسان كل مسلم ، وذلك لعلاقتها الوثيقة بأعظم شخصية هدت البشرية بعد حيرتها إلى طريق الخير والسعادة في الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة ... ذلك هو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي سمى بنفسه قوله (حديثا) .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة ؟ **«إنه علم أن لن يسأله عن هذا الحديث أحد قبل أبي هريرة لحرصه على طلب الحديث»**[1] .

ولعله صلى الله عليه وسلم بهذا قد وضع الأصل لما اصطلح عليه – فيما بعد – علماء الحديث وسمّوه (حديثا) .

والباحث في هذا الفصل سيتحدث عن الحديث النبوي الشريف بصفة خاصة بعد أن تكلم عن السّنة بصورة عامة ، وسيكون تناوله للموضوع من خلال ما يأتي :

1 – معنى الحديث لغة واصطلاحا

أ – المعنى اللغوي للحديث

إذا تتبعنا كلمة (الحديث) ومشتقاتها في لغة العرب ، ومن خلال نصوص القرآن الكريم ، نجدها تأتي بمعان كثيرة من بينها مايلي :

---

(1)أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ .) . شرح البخاري بحاشية السندي . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . ج : 1 ، ص 83 . كتاب : العلم . باب : الحرص على الحديث .

1 – الحديث : الجديد من الأشياء أي نقيض القديم ، ومن ذلك حديث ابن مسعود أنه سلم عليه وهو يصلّي فلم يرد عليه السّلام قال : فأخذني ما قدم وما حدث ، يعني همومه وأفكاره القديمة والحديثة .

2 – الحديث : الخبر يأتي على القليل والكثير .

3 – الحديث : مايحدّث به المحدّث ، ويجمع على أحاديث وهو شاذ على غير قياس ، وقالوا في جمعه أيضا : حدثان وحدثان .

4 – الحديث : كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع ، أو الوحي في يقظته أو منامه ، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿وإذ أسّر النبي إلى بعض أزواجه حديثا﴾**[2] وقوله : **﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾**[3] ، وقوله جلّ جلاله : **﴿وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾**[4] .

5 – الحديث : تسمية الله عز وجل لكتابه العزيز (حديثا) إذ قال : **﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾**[5] . وقوله : **﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون﴾**[6] . وقال : **﴿فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾**[7] . وقال : **«ومن أصدق من الله حديثا»**[8] .

6 – الحديث : بمعنى الطري من الثمار .

7 – رجل حدوث : أي حسن الحديث .

8 – رجل حدث وحديث السن بمعنى واحد[9] .

---

(2) سورة التحريم : 3 .
(3) سورة الغاشية : 1 .
(4) سورة يوسف : 101 .
(5) سورة الطور : 34 .
(6) سورة النجم : 59 .
(7) سورة النساء : 78 .
(8) سورة النساء : 87 .
(9) يراجع : أ – جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) . (ت 711 هـ .) . لسان العرب . مطابع كوتاتسوماس طبعة مصورة عن مطبعة بولاق . لا . ت . ج : 2 . مادة : حدث .
ب – الحسين بن محمد – الراغب الأصبهاني (ت 502 هـ .) المفردات في غريب القرآن . (إشراف : محمد أحمد خلف) ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . لا . ت ، ص 158 – 159 .

ب – المعنى الاصطلاحي :

ذهب العلماء في تعريفهم الاصطلاحي للحديث النبوي الشريف ثلاثة مذاهب :

1 – مذهب عرّف الحديث بأنّه هو ماأضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابي والتابعي من قول ، أوفعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية .

وبهذا المفهوم يكون الحديث شاملا للمرفوع ، وهو ماأضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وللموقوف ، وهو ماأضيف إلى الصحابي ، وللمقطوع ، وهو ما أضيف إلى التابعي . وهذا المذهب نسب إلى جمهور العلماء .

2 – مذهب ثان لفريق من العلماء رأى أنّ الحديث هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقط – دون الصحابي والتابعي – من قول ، أوفعل ، أوتقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، وعلى رأي هذا الفريق يكون الحديث خاصا بالمرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

3 – مذهب ثالث لبعض آخر من العلماء : ذهب إلى أن الحديث هو ما أسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل دون التقريرات والصفات ، وبهذا يصير الحديث – عندهم – خاصا بالمرفوع من أقواله النبي وأفعاله فقط[10] .

4 – أمّا الباحث فإنه يرى رأي الجمهور إذ هو الذي يؤيده ماجرى به العمل في تدوين السنة ، ونقل الحديث وروايته ، فكتب السنة بما تحتو به من الأحاديث الموقوفة على الصحابة ، والمقطوعة على التابعين ، وماتشتمل عليه من الصفات الخلقية والخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه لخير شاهد على سداد رأي الجمهور .

2 – علاقة الحديث بالخبر والأثر

أ – علاقته بالخبر :

1 – معنى الخبر في اللغة : يأتي الخبر في اللغة العربية بمعنى النبأ ، وما يتحدث به الناس ، وفي اصطلاح البلاغيين والمناطقة هو مايحتمل الصدق والكذب لذاته .

---

(10) أنظر : أ – أبو العلا علي أبو العلا وزميله . دراسات في علوم الحديث . القاهرة : دار التراث العربي 1973 م ص 71 .
ب – ظفر أحمد العثماني التهانوي . قواعد في علوم الحديث ، (تحق : عبد الفتاح غدّة) ط : 3 – بيروت : مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب . لا . ت ص 24 ومابعدها .

2 – أمّا معناه في اصطلاح المحدّثين فعلى أربعة مذاهب :

أ – عند الجمهور : الخبر مرادف للحديث وهو ماأضيف إلى النبي ، أو الصحابي ، أو التابعي من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقيّة أو خلقيّة ، والخبر بهذا المعنى يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع .

ب – مذهب آخر يرى أن الحديث هو ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الخبر فإنه ماجاء عن غيره من صحابي ، أو تابعي ، أو عن نبيّ من الأنبياء السابقين ، أو حكيم من الحكماء ، وعلى هذا الرأي يكون الخبر مبايناً للحديث ومغايرا له . ويطلق على من يشتغل بالتواريخ والتراجم اسم الاخباري ، بخلاف من يشتغل بالسّنة فقد شاع إطلاق اسم المحدّث عليه .

ج – مذهب ثالث عرف الخبر بأنّه ما أضيف إلى النبي ، أو الصحابي ، أو التابعي ، أو إلى غيرهم ، وعلى هذا الرأي يكون الخبر أعمّ من الحديث ، فكلّ حديث خبر ، وليس كل خبر حديثا .

د – مذهب فقهاء خراسان الذين كانوا يسمون الموقوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبرا ، والموقوف أثرا[11] .

ها – والذي يراه الباحث ويميل إليه من هذه المذاهب هو مذهب الجمهور ، نظرا لأن رواة الخبر لم يقتصروا على نقل المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل عنوا – إلى جانبه – بنقل الموقوف على الصحابي ، والمقطوع على التابعي ، ولما كانت الرواية – في حد ذاتها – هي إخبارا فلا مانع من تسمية الحديث خبرا والخبر حديثا .

ب – علاقته بالأثر :

1 – معنى الأثر في اللغة : الأثر معناه في اللغة بقية الشئ ، ويجمع على

(11) راجع : أ – أبو العلا علي أبو العلا وزميله . المرجع السابق ، ص 72 .
ب – ظفر أحمد العثمان التهانوي . المرجع السابق، ص 25 .

آثار ، وأثور . والآثار : الأعلام ، والأثر : الخبر . يقول الله تعالى : ﴿**ونكتب ماقدموا وآثارهم**﴾[12] أي ما أسلفوا من أعمال . فمن سنّ سنّة حسنة كتب له ثوابها ، ومن سّن سّنة سيئة كتب عليه عقابها .

وسنن النبي صلى الله عليه وسلم هي آثاره .

وأثرة العلم ، وأثرته : بقيّة منه يؤثر أي : تروى وتذكر ، وقرئ : «أو أثرة من علم ، وأثرة من علم ، وأثارة من علم . وقال الزجّاج : أثارة في معنى علامة ، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم[13] .

2 – معناه اصطلاحا : أما معناه اصطلاحا فقد انقسم المحدثون على أنفسهم في تعريفه إلى ثلاثة مذاهب :

أ – الأثر : هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقيّة أو خلقيّة ، وإلى الصحابي والتابعي من قول أو فعل . فهو بهذا المعنى مرادف للحديث والخبر والسنة ، وهذا وهو مذهب الجمهور .

ب – الأثر : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة دون الصحابي والتابعي ، فهو خاص بالمرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقط .

ج – الأثر : هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل ، فهو خاص بالموقوف على الصحابي ، وعلى هذا يكون الأثر – عند أصحاب هذا الرأي – أخص من الخبر والحديث والسنة أيضا .

د – والذي يراه الباحث من التعريفات السابقة للأثر أن ماعليه الجمهور هو الأرفق والأنسب ، فتخصيص الأثر بما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من سلف الصحابة والتابعين ، أو بما أضيف إلى الصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لا مبرر له ، إذ المرقوف والمقطوع ماهي إلاّ

(12) يس : 12
(13) جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) . مرجع سابق ، مادة : أثر .

روايات تعزى إلى رواتها ، فالموضوع يعزى إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، والموقوف يعزى إلى الصحابي ، والمقطوع يعزى إلى التابعي .

وقد يقال : أثرت الحديث بمعنى رويته أو ذكرته عن غيري كما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة أ ث ر . وكذلك يسمى المحدث أثريا .

والحاصل كما يقول الدكتور نور الدين عتر : إن هذه العبارات الثلاثة : الحديث ، الخبر ، الأثر ، تطلق عند المحدثين بمعنى واحد هو : **«ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة خلقيّة أو خلقيّة أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي»**[14] .

3 – الحديث القدسي

أ – معناه :

1 – سمّي بالحديث القدسيّ نسبة إلى القداسة وهي التكريم والإجلال والتعظيم والتطهير ، من حيث إضافته إلى الله تعالى .

2 – وهو كل حديث أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنده إلى ربّه عز وجل مثل : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربّه» أو : «قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم» . ويقال أيضا : الحديث الإلهي ، أو الربّاني .

ب – والأحاديث القدسية كثيرة ، وقد جمعها بعض علماء الحديث في جزء كبير . إلاّ أن شهاب الدين ابن حجر الهيثمي[15] قال في شرح الأربعين النّووية :

(14) نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث . ط : 2 . دمشق : دار الفكر ، 1979م ص 26 .

(15) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي . فقيه باحث مصري مولده بمحلة أبي الهيثم سنة 909 هـ . ومات بمكة سنة 974 هـ . ومن مؤلفاته : مبلغ الأرب في فضل العرب ، والجوهر المنظم ، شرح الأربعين النووية وغيرها . انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام . المطبعة الثالثة . بيروت : لا .ت ، ج : 1 . ص 223 .

«هي أكثر من مائة» ، وقد بلغت الأحاديث القدسية التي جمعها المحدث الشيخ عبد الرؤوف بن علي المناوي اثنين وسبعين ومائتي حديث»[16] .

من أمثلة الحديث القدسي :

1 – حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[17] .

2 – عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : **«إذا تقرّب العبد إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرّب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»**[18] رواه البخاري .

3 – عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل قال : **«إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»**[19] رواه البخاري .

4 – الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم

أ – يختص القرآن الكريم بخصائص ومزايا دون الحديث القدسي تتميّل كما أوردها بعض العلماء في :

(1) القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل متواترة اللفظ في جميع الكلمات والحروف والأسلوب .

(16) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث علومه ومصطلحه . ط : 3 دار الفكر ، 1975 م ، ص 29 .

(17) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري . (ت : 261 هـ) صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد صبيح وأولاده ، ج : 8 . ص 223 .

(18) محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ .) . رياض الصالحين . (تعليق : السيد علي مالك وزميله) . مطبعة الفجالة الجديدة ، 1960 م ، ص 74 .

(19) نفس المرجع . ص 35 .

(2) حرمة روايته بالمعنى .
(3) حرمة مسه للمحدث وتلاوته للجدب .
(4) تعين قراءته في الصلاة .
(5) التعبّد بقراءته .
(6) تسمية الجملة منه آية .
(7) تسميته قرآنا .
(8) لفظه ومعناه من عند الله عز وجل .

ب – أمّا الحديث القدسي فهو :

1) ماكان لفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى بالإلهام أو برؤيا المنام ، وقد يكون بوحي جلي ولكنه ليس شرطا له ، بخلاف القرآن الكريم فإيه لا يكون إلاّ بوحي جلي : أي ينزل الملك به من عند الله تعالى بلفظه ، في حين أنه لا تنحصر الأحاديث القدسية في كيفية واحدة من صور الوحي ، بل يجوز أن تتنّزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم ، والإلقاء في الروع ، وعلى لسان الملك .

2) يجوز روايته بالمعنى لأن لفظه للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك لا تجزي قراءته في الصلاة وإنما تبطلها[20] .

5 – الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

أ – الأحاديث النبوية هي التي تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتحكى عنه أمّا الأحاديث القدسية فهي التي تنسب إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يحكيها ويرويها عنه ، ويقال عنها قدسية أو إلهية .

(20) محمد عجاج الخطيب . أصول الحديث علومه ومصطلحه ، مرجع سابق . ص 30 بالهامش .

ب – الأحاديث النبوية قد تكون بوحي من الله تعالى ، وقد تكون من اجتهاده عليه الصلاة والسلام ، إلاّ أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ ... أمّا الأحاديث القدسية لا تكون إلاّ بوحي معناها من الله تعالى ، ولفظها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج – من أمثلة الحديث القدسي : ماروه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي «**قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجره**»[21] .

ومن أمثلة الحديث التبوي الشريف ماروه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان**»[22] .

6 – مراتب الحديث النبوي الشريف

سبق وأن ألمحنا في الفقرة الرابعة من الفصل الثالث إلى أن فريقا من علماء المسلمين قد اهتموا بتنقية السنة النبوية من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعوا أسسا وقواعد استطاعوا بمقتضاها تقويم الحديث وتمييزه ، وتقسيمه إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف . وفي هاته الفقرة سنتحدث عن مراتب هذه الأقسام الثلاثة من حيث حكم العمل بموجبها :

(21) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . مرجع سابق ، ج :2 . ص 34 .
(22) نفس المرجع . ج : 1 . ص 11 باب الإيمان .

أ – **الحديث الصحيح :**

هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذا ولا معللاً[23] ويوصف بأنه متواتر أو أحادي .

1 – **المتواتر :** هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، عن جمع مثلهم في أول السند ، ووسطه ، وآخره . وينقسم إلى :

أ – **متواتر لفظي :** وهو الذي رواه الجمع المذكور في أول السند ووسطه وآخره بلفظ واحد وصورة واحدة ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : **«من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»**[24] .

ب – **متواتر معنوي :** وهو الذي لا يشترط في روايته المطابقة اللفظية ، وإنما يكتفى فيه بأداء المعنى ، ولو اختلفت رواياته عن الجمع الذي يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، ومثاله :

«أحاديث رفع اليدين في الدعاء» فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم نحو مائة حديث في رفع يديه في الدعاء»[25] .

«وليس هناك خلاف بين المحدثين في أن كلاً من المتواتر اللفظي والمعنوي يوجب العلم القطعي اليقيني .

(23) أبو الفدا إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ .) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث . بيروت : دار الفكر ، لا . ت . ص 17 .

(24) أبو عمرو الربيع بن حبيب (ت حوالى . 170 هـ .) الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب (تصحيح : عبد الله بن حميد السالمي) بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، لا . ت . ص 191 .

(25) صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ط : 6 . بيروت : دار العلم للملايين ، (1971 م ، ص 149 .

وتتفرع على القطع بصدق الحديث المتواتر – كما يقول الإمام السالمي – مسائل كثيرة منها :

– وجوب اعتقاده إن كان من المسائل الاعتقادية .

– وجوب اتباعه والأخذ بمدلوله إن كان من المسائل العملية .

– تفسيق من خالفه وإن كان متأوّلا ، إلى غير ذلك من الفروع[26] .

2 – **الحديث المشهور :** وهو دون مرتبة الحديث المتواتر ، ولم يتصف في القرن الأول – وهو قرن الصحابة – بشرط التواتر الذي يقضي أن ترويه جماعة يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب ، عن جمع مثلهم في أول السند ، ووسطه ، وآخره ، وإنما رواه في أول القرون من يجوز تواطؤهم عادة على الكذب ، ثم اشتهر في القرن الثاني والثالث فقبلوه واستمر معهم على القبول ، وعبر عنه البعض بالمستفيض[27] .

ومن أمثلة الحديث المشهور أو المستفيض الصحيح : قوله صلى الله عليه وسلم : **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا بغير علم فضلوا وأضلّوا»**[28] .

وحكم الحديث المشهور إفادة الطمأنينة ، والظن القريب من اليقين[29] .

3 – **الأحادي :** هو كل حديث يرويه صحابيّ أو صحابيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله عنها كذلك عدد من التابعين لا تتوفّر فيهم شروط التواتر .

(26) راجع : عبد الله بن حميد السالمي . (ت 1332 هـ .) شرح طلعة الشمس . القاهرة : مطبعة الموسوعات ، لا . ت ن ج 2 . ص 12 .

(27) عند غير الإباضية والحنفية ينقسم الحديث إلى : متواتر وآحاد ، أمّا المشهور أو المستفيض فهو من قبيل الأحادي وليس نوعا مستقلا . (الباحث) .

(28) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . مرجع سابق ، ج : 8 ، ص 60 ، باب رفع العلم وقبضه .

(29) زكي الدين شعبان . أصول الفقه الإسلامي . ط : منشورات جامعة قاريونس 1971 م ، ص 62 .

وهذا القسم من الحديث يجب العمل به فيما يدل عليه دون العلم إذا كان راويه عدلا ثقة ضابطا[30] .

ب – الحديث الحسن :

هو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، وسلم من الشذوذ والعلّة ، وهو نوعان :

1 – حسن لذاته : «وسمّي حسنا لذاته لأن حسنه ناشئ من شئ داخل فيه ذاتي له ، لا من شئ خارج عنه . فهو قد بلغ – بنفسه – درجة الصحيح في شروطه ، وإن كان أخف منه بضبط رجاله»[31] .

2 – حسن لغيره : «وهو مافي إسناده مستور لم تتحقق أهليته ، ولا عدم أهليته غير أنه ليس مغفلا كثيرا الخطإ ، ولا متهما بالكذب ، ويكون متنه معضدا بمتابع أو شاهد[32] .

والحديث الحسن بنوعيه يفيد الظن لا اليقين القطعي ، ويوجب العمل فيما دلّ عليه دون العلم .

ج – الحديث الضعيف :

هو مالم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا نعوت الحديث الحسن . جاء عن الدكتور صبحي الصالح في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) بخصوص الحديث الضعيف والعمل به قوله : «يتناقل الناس هذه العبارة – يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال – فيسوّغون بها جميع مايتساهلون في روايته من الأحاديث التي لم تصح عندهم ، ويدخلون في الدين كثيرا من التعاليم التي لا تستند إلى أصل ثابت معروف ... إلى أن يقول : فمّما لاريب فيه – في نظر

(30) عبد الله بن حميد السالمي ، مصدر سابق ، ص 15 .
(31) صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 156 .
(32) صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 156 .

الدين – أن الرواية الضعيفة لا يمكن أن تكون صدرا لحكم شرعي ، ولا لفضيلة خلقيّة ، لأنّ الظن لا يغني عن الحق شيئا ، والفضائل كالأحكام من دعائم الدين الأساسية ، ولا يجوز أن يكون بناء هذه الدعائم واهيا على شفا جرف هار»[33] .

وبهذا ترى أن الحديث الضعيف لا يمكن العمل بمضمونه مطلقا سواء أكان في الأحكام الشرعية أم الفضائل الخلقية ، وهذا ما حكاه ابن سيد الناس عن يحيى ابن معين ، وإليه ذهب أبو بكر بن العربي»[34] .

7 – الشروط التي ينبغي توفرها في رواة الحديث وفي قبول الرواية

لقد أجمع جمهور أئمة الحديث والأصول والفقه على أنّه يشترط فيمن يحتج بروايته ذكرا كان أو أنثى الشروط الآتية :

أ – أن يكون الراوي مسلما : فلا تقبل رواية المشرك إجماعا ، واختلف فيمن يلحقه الشرك بالتأويل ، وفي فاسق التأويل أيضا . فقيل لا تقبل روايتها ، وقيل تقبل ، وعدم القبول أرجح[35] ، إذ أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نتوقف في خبر الفاسق في قوله : **﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين»**[36] .

ب – أن يكون عاقلا ، فلا تقبل رواية المجنون والمعتوه اتفاقا ، لأن المعتبر من النوع الإنساني حصول العقل ، فعند عدمه ترتفع الأحكام .

ج – أن يكون بالغا ، فلا تقبل رواية الصبي ، لأنه – كما يقول الإمام السالمي : إذا علم أنّه لا إثم عليه في الكذب فلا يؤمن منه أن يجترئ عليه ، فيفيد ذلك الشك في صدقه . وأيضا فإن العدالة شرط في قبول الرواية ، وهي في الصبي

(33) نفس المرجع ، ص 210 – 211 .
(34) محمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث علومه ومصطلحه . مرجع سابق ، ص 351 .
(35) عبد الله بن حميد السالمي . مرجع سابق م ج : 2 . ص 32 .
(36) سورة الحجرات : 6 .

غير متحققة . أما إذا تحملها وهو صبي ثم أدّاها بعد بلوغه ففي قبول روايته قولان ، ونسب القول بقبولها إلى الأكثر . قال البدر الشاخي[37] . «والصحيح قبول روايته وشهادته ولو تحمّلها قبل البولغ إذا كان ضابطا»[38] .

د – أن يكون ضابطا : والمراد بالضبط هنا إتقان المعنى عند السماع ، والمحافظة على حفظه حتى يؤديه كما سمعه ، ويتناول الضبط الحفظ في الصدر ، كما يتناول الحفظ في الكتاب ، فالمراد هو أن يكون الراوي حافظا إن حدّث من حفظه ، وحافظا لكتابه عن دخول التحريف أو التبديل أو النقص عليه إن حدّث من كتابه .

ولا يشترط حفظ اللفظ لجواز تأديته بالمعنى إذا أتقنه إتقانا تاما . ولا تقبل رواية من غلب سهوه على ضبطه اتفاقا[39] .

هـ – أن يكون ذا مروءة تحفظه من فعل يهلكه من المعاصي ، وما يشينه عند ذوي المروءات .

و – ألاّ يكون الراوي عمل بخلاف ما روى ، فإن من روى رواية ثم عمل بخلاف مدلولها كان ذلك موجبا لتهمته إمّا في الرواية ، وإمّا في المساهلة في العمل ، وجميعها مخلّ بقبول الرواية إن لم نحكم بسقوط عدالته لحسن ظن به لاحتمال أن يكون اطلع على ناسخ لها[40] .

ز – ألاّ يترك الأخذ بروايته غيره من العلماء ، فإنّ ترك العلماء الأخذ بروايته مع سماعه منه إنما يكون الطعن في الراوي أو الطعن في الرواية ، وإذا ثبتت عدالة الراوي دلّ ترك العمل بها على نسخها بدليل آخر ونحو ذلك ، لأن العلماء لا يطيقون على ترك حقّ سمعوه فيدخل الشك في تلك الرواية[41] .

---

(37) المراد بالبدر الشاخي هذا : أبو العباس أحمد بن سعيد الشاخي من يفرن جبل نفوسة ومن علماء القرن العاشر ، بلغ منزلة قصوى في العلم ، ومؤلفاته تعد من الأمهات : فله في أصول الفقه مختصر لكتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب الورجلاني ، وفي التاريخ : كتاب السير ، وفي أصول الدين حاشية على مقدمة التوحيد لابن جميع . كانت وفاته سنة 938 هـ . راجع ترجمته في : أبو حفص عمر بن جميع . مقدمة التوحيد . (تحق : أبي اسحاق إبراهيم طفيش) . ط : 2 . لا . ب : 1973 . ص 9 .

(38) عبد الله بن حميد السالمي . المرجع السابق ، ص 31 .

(39) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(40) نفس المرجع . ص 35 – 36 .

(41) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

ح – ألاّ يتأول الرواية راويها . فإن تأولها وقف عن قبولها وعن ردها ، لأن ذلك التأويل منه إنما يكون لشئ في تلك الرواية كحديث معارض لها أو نحو ذلك فلحسن الظن بالراوي ، ونقف عن قبول روايته[42] .

ط – ألاّ يكون مدلّسا في روايته ، كأن يروي الرواية ويوهم أنها عن غير من أخذها عنه ليقبل السامع ما روى[43] .

يقول ابن الصلاح : «التدليس قسمان :

1 – تدليس الإسناد : وهو أن يروي عمّن لقيه مالم يسمعه منه موهما أنه سمعه منه . أو عمّن عاصره ولم يلقه موهما أنه قد لقيه وسمعه منه . ثم قد يكون بينهما واحد ، وقد يكون أكثر ، ومن شأنه ألاّ يقول في ذلك : (أخبرنا فلان) ولا (حدثنا فلان) وما أشبهها ، وإنما يقول : قال فلان عن فلان ونحو ذلك . مثال ذلك : ماروينا من علي بن خشرم قال : كنا عند ابن عيينة فقال : (قال الزهري ، فقيل له : أحدثكم الزهري ؟ فسكت ثم قال : قال الزهري ، فقيل له : سمعته من الزهري ؟ فقال : لا . لم أسمعه من الزهري ، ولا ممن سمعه من الزهري ، حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري .

تدليس الشيوخ : وهو أن يروي عن شيخ حديثا سمعه منه فيسميه ، أو يكنيه ، أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف .

مثاله : ماروي لنا عن أبي بكر بن مجاهد الإمام المقري أنّه روى عن أبي بكر عبد الله بن داود السجستاني فقال : «حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله . وروى عن أبي بكر ابن الحسن النقاش المفسر المقري فقال : حدثنا محمد بن سند نسبه إلى جد له»[44] .

---

(42) عبد الله بن حميد السالمي . المرجع السابق ص 35 – 36 .

(43) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(44) أو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) (ت : 642 هـ .) . مقدمة ابن الصلاح في علم الحديث . بيروت دار الكتب العلمية 1978 م ، 34 – 35 .

ي – ألاّ يكذب الراوي أصله الذي روى عنه ، كما إذا روى عن ابن عباس مثلا ، فقال ابن عباس مارويت هذه الرواية ، ولا حدّثت بها أحدا ، فإن تلك الرواية لا تقبل ، وإن كان الرواي عدلا لحصول الشّك فيها ، فيحصل ضعف الظن في صدقة ، فلا تقبل رواية من شك في صدقة ، ولا يجرح في عدالتها مالم يصرّح أحدهما بتكذيب الآخر . فمن صرح منها بالتكذيب ابتداء سقطت عدالته[45] .

تلك هي أهم الشروط التي ينبغي توفرها في رواة الحديث وفي قبول رواياتهم وهي شروط وضوابط تكفل سلامة رواية السنة وصحتها ، مما يؤكد على قبولها والعمل بموجبها إيمانا وصدقا بعد كتاب الله عز وجلّ .

8 – الألقاب العلمية لرواة الحديث

وقد صنف العلماء رواة الحديث كلهم بحسب كثرة مروياتهم ، وعنايتهم بالحديث وفنونه إلى درجات علمية خصوا كل واحدة منها بلقب يميّزها عن غيرها وهي :

أ – المسنِد بكسر النون : وهو من يروي الحديث بإسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس إلاّ مجرد الرواية[46] .

ب – المحدّث : وهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواة ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف خطه واشتهر به ضبطه[47] . أي : صار يقصد للإفادة في الحديث ورواته حتى اشتهر بذلك ، وعرف خطه لكثرة ما يكتب من الأجوبة على أسئلة الناس[48] .

ج – الحافظ : أرفع من المحدّث ، وهو من توسع في الحديث وفنونه

(45) عبد الله بن حميد السالمي ، مرجع سابق . ص 36 .
(46) و (47) و (48) نور الدين عتر . مرجع سابق ، ص 75 – 77 .

بحيث يكون مايعرفه من الأحاديث وعللها أكثر مما لا يعرفه ، وقال ابن الجزري[49] : «والحافظ من روى مايصل إليه ، ووعى مايحتاج لديه»[50] .

وقد تفاوتت عبارات العلماء في تعريف الحافظ حتى بلغوا أحيانا ماعدّه بعض الباحثين تغاليا في الحفاظ . كقول الزهري : «لا يولد الحافظ إلاّ كل أربعين سنة» ، وقولهم في الإمام أحمد بن حنبل : «كان يحفظ ألف حديث» . وصدر عنهم هذا باعتبار المرتبة العليا في الحفظ ، كما أنّهم بتفاوت العرف ، وأثر اختلاف الزمان في ذلك[51] .

ومن العلماء الحفاظ : أبو بكر بن محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهري (ت 124 هـ) ، وعبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق المشهور بأبي محمد القرشي (ت 126 هـ) ، وأبو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ) ، وأحمد ابن علي الشهير بالخطيب البغدادي (ت 463 هـ) ، وعبد الرحمن بن علي بن محمد الشهير بأبي الفرج بن الجوزي (ت 597 هـ) ، وشمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي وشهرته الحافظ الذهبي (ت 748 هـ) ، وشهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، وجلال الدين السيوطي المصري (ت 911 هـ) وغيرهم[52] .

د – الحجة : وهو من كمل حفظه وإتقانه لعلوم الحديث متْنا وإسنادا وأصبح مرجعا للحفاظ في الإتقان وحفظ السنة ، وقد عرفه المتأخرون بأنه من حفظ ثلاثمائة ألف حديث بأسانيدها مع معرفة متونها وحال رجالها جرحا وتعديلا .

(49) ابن الجزري : هو محمد بن محمد بن علي يوسف شمس الدين العمري الدمشقي شيخ القراء في زمانه ، ومن حفاظ الحديث ، ولد ونشأ بدمشق (751 – 833 هـ) ، وابتنى فيها مدرسة سماها دار القرآن . وتولى القضاء في شيراز ومات فيها . وهو مؤلف مكثر ، ومن مصنفاته النشر في القراءات العشر ، وغاية النهاية في طبقات القراء . راجع ترجمته في : خير الدين الزركلي . مرجع سابق . ج : 7 ص 274 – 275 .
(50) و (51) نور الدين عتر ، نفس المرجع . ص 76 – 77 .
(52) راجع مايلي :
أ) – أبو العلا علي أبو العلا وزميله . مرجع سابق ، ص 71 ومابعدها .
ب) – ظفر أحمد العثماني التهانوي . مرجع سابق ، ص 27 .
ج) – صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 75 – 76 .
د) – نور الدين عتر . مرجع سابق ، ص 76 – 77 .

وقد بلغ درجة الحجة من علماء الحديث كثيرون من أشهرهم :
حسن بن ذكوان البصري (ت 145 هـ) ، وهشام بن عروة بن الزبير (ت 146 هـ) ، و بشر بن الفضل بن لاحق شيخ أحمد بن حنبل (ت 187 هـ) ، وعبد الملك بن محمد وشهرته أبو نعيم الجرجاني (ت 313 هـ)[53] .

هـ – الحاكم : وهو من أتقن السنة وقيد أوابدها ، وأحاط بالأحاديث المروية متنا وإسنادا . ونقدا لكل من أفراد الأسانيد مع الخبرة بالرجال ، وصفاتهم ، ونشأتهم وبلدانهم ورحلاتهم وأشياخهم وتلاميذهم .

وعرفه البعض بأنه من حفظ ثمانمائة ألف حديث بأسانيدها مع معرفة بحال رجالها جرحا وتعديلا ، وردا وقبولا ، وإنّ الحاكم أعلى درجة من الحجة ، وأقل مرتبة من أمير المؤمنين في الحديث ، وقد وصل إلى درجة الحاكم من علماء الحديث كل من :

1 – عامر بن شراحبيل الهمداني الشهير بالإمام الشعبي (ت 109 هـ) .
2 – محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ) .
3 – مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري مصنف صحيح مسلم (ت 261 هـ) .
4 – سليمان بن الأشعث بن إسحاق وشهرته أبو داود السجستاني صاحب سنن أبي دواد (ت 275 هـ) .
5 – محمد بن عيسى بن سورة بن موسى وشهرته أبو عيسى السلمي الترمذي مصنف كتاب الجامع (ت 279 هـ) .
6 – وأحمد بن شعيب بن علي وقد اشتهر بالنسائي صاحب كتاب المجتبى في السّنة (ت 303 هـ)[54] .

---

(53) راجع ما يلي :
أ) – أبو العلا علي أبو العلا وزميله . مرجع سابق ، ص 71 ومابعدها .
ب) – ظفر أحمد العثاني التهانوي . مرجع سابق ، ص 27 .
ج) – صبحي الصالح . مرجع سابق ، ص 75 – 76 .
د) – نور الدين عتر . مرجع سابق ، ص 76 – 77 .

(54) المراجع السابقة ، الصفحات السابقة .

و – أمير المؤمنين في الحديث : وهو أرفع المراتب وأعلاها ، وهو من فاق حفظا وإتقانا وتعمقا في علم الأحاديث وعللها كل من سبقه من المراتب ، بحيث يكون – لإتقانه – مرجعا للحكام والحفاظ وغيرهم .

ولقب بأمير المؤمنين في الحديث لأنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء السنن إلى المسلمين ومن أمراء المؤمنين في الحديث كل من :

1 – سفيان الثوري صاحب كتاب الجامع الكبير والصغير (ت 161 هـ) .
2 – شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم (ت 160 هـ) .
3 – حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت 167 هـ) .
4 – عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم (ت 181 هـ) .
5 – أبو عبد الله أحمد بن حنبل صاحب المسند في الحديث (ت 241 هـ) .
6 – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الذي اشتهر بالبخاري الجعفي مولاهم صاحب كتاب صحيح البخاري (ت 256 هـ) .
7 – أبو الحسن علي بن عمر الشهير بالدار قطني صاحب كتاب السنن المشهور ، (ت 179 هـ) .
8 – أبو عبد الله مالك بن أنس إمام الهجرة وصاحب كتاب الموطأ في الحديث ، (ت 171 هـ) .
9 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب كتاب فتح الباري . والتهذيب ، والتقريب وغيرها . (ت 852 هـ) . وغيرهم رحمهم الله جميعا[55] .

تلك هي الشروط والمواصفات والصفات التي تخوّل للإنسان المسلم أن يتحمّل ويحمل رواية الحديث النبوي الشريف ، ويؤديه حق الأداء ، وهي شروط ومواصفات وصفات قد توفرت في أولئك الأعلام من الرجال الذين

---

(55) راجع :
أ) – أبو العلا علي أبو العلا وزميله ، نفس المرجع السابق ، نفس الصفحات السابقة .
ب) – نور الدين عتر . نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وثقت بهم الأمة الإسلامية ، واعتمدت رواياتهم الصحيحة في أصلها التشريعي الثاني الذي استوعبت نصوصه ومعانيه كل ماستجد ويستجد في شؤون الحياة من نظريات قانونية وغيرها لتنظيم الحقوق الفردية والاجتماعية في مرونة تامة ، ويسر ورفع حرج وتخفيف .

ومن بين أولئك العلماء الأعلام الذين توفرت فيهم تلك الشروط والمواصفات والصفات ، ووقفوا حياتهم المباركة ، وجهودهم المخلصة الموفقة لتنقية السّنة من شوائب الوضع ، وتصفيتها مما علق بها من أدران الدس والكذب بتدوين ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث وتلقيها من أفواه البررة الثقات من كبار التابعين وصغارهم الذين تتبعوا مسيرة السنة النبوية المطهرة منذ خطواتها الأولى ، أداء وتحملا ، رواية وسندا ، جمعا وتصنفا ، توثيقا وتضعيفا ، إن من أولئك العلماء أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري الأزدي العماني صاحب الجامع الصحيح مسند الربيع ، والذي هو موضوع بحثنا في رسالتنا هاته ، فإليه رحمه الله ورضي عنه في أدوار حياته وكفاحه العلمي من خلال الفصول الآتية .

الباب الثاني

الباب الثاني
وفيه ثلاثة فصول

1 – **الفصل الأول :** حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسبابها .
- ☆ الأسباب التي أدّت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب ضمن المحدثين الذين اهتموا بتدوين الحديث .
- ☆ عمان الموطن الأول للربيع بن حبيب .
- ☆ الحياة العقلية بعمان في القرون الإسلامية الأولى .
- ☆ مولد الربيع ونسبه وأسرته . .
- ☆ نشأته .
- ☆ تحول الربيع من عمان إلى البصرة لطلب العلم .

2 – **الفصل الثاني :** شيوخ الربيع بن حبيب .. وفيه مايلي :-

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن جابر بن زيد ولم تصلنا رواياتهم عن الربيع في مسنده .
- ☆ ترجمة لبعض مشائخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيرا في تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي .

3 – **الفصل الثالث :** تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي وفيه :

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ تراجم لبعض ممّن حمل العلم عن الربيع من أهل عمان وحضر موت .
- ☆ أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية عن مدرسة الربيع بالبصرة .
- ☆ إنتاج الربيع الفكري ، ومكانته الإجتماعية والعلمية .

حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

مقدمة الفصل :

إن ما يرمي إليه الباحث في هذا الفصل هو التعريف بحياة أحد أولئك الأعلام الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام والمسلمين ، فكان لهم بذلك فضل السبق في تدوين الحديث النبوي الشريف ، كما حصل لهم أيضا شرف النضال من أجل تخليص السّنة النبوية الرضية من شوائب الوضع في تلك الفترة المبكرة من مرحلة التدوين ، منذ العقد الأول من القرن الثاني الهجري .

ذلك هو : أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني الأزدي ، الذي لم يعرف أكثر رجالات الحديث وطلبة العلم المسلمين عنه شيئا ، وليس أدلّ على ذلك من أنك مهما فتشت عن اسمه في كتب الرجال والحديث والفقه والأصول – عدا كتب الإباضية التي تعتبره أحد أئمتها في الحديث والفقه – لم تجد له ذكرا .

لذا كان من حقه علينا وحق المسلمين جميعا أن نعرف بحياته وسيرته وكفاحه العلمي ، حتى نكون بذلك قد أدينا أمانة طال ما نازعتنا النفس بوجوب أدائها ، وفي ذات الوقت نكشف عن صفحة مشرقة من تلك الصفحات الخالدة في سيرة هذا الإمام المكافح في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الحقّ ، ليكون قدوة صالحة لشبابنا المسلم الذي هو أحوج ما يكون في وقته الحاضر إلى من يتأسى به ، ويسترشد بخطاه .

صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسبابها

إن الكتابة عن أبي عمرو الربيع بن حبيب بن عمروا الفراهيدي البصري الأزدي العماني المحدث الرائد صاحب كتاب الجامع الصحيح مسند الربيع بن

حبيب ، والذي يعتبر من أوائل من جمع الحديث ودوّنه في منتصف القرن الثاني للهجرة ليست بالسهلة الميسورة ، ولم يكن السبيل إليها معبدا ، وذلك لما اكتنف حياته ونشأته الأولى من غموض ، وما أحاط بها من نسيان أو تناس –إن صح هذا التعبير– حتى من أولئك الذين ندبوا أنفسهم لتتبع جهود علماء الحديث – منذ بداية تدوينه – والتأريخ لهم ، وتناول رواياتهم بالجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف ، حيث لم يوجد للربيع هذا مكان بين معاصريه ممن مائت بطون الكتب بالثناء على جهودهم ، وسارت الركبان بذكرهم والإشادة بأعمالهم الجليلة المخلصة التي حفظت للأمة الإسلامية أصلها التشريعي الثاني ، سنة رسولها محمد صلى الله عليه وسلم خالية من الوضع وشوائب الزيف ، سليمة من البدع والاختلاق ، وذلك من أمثال الأئمة الرواد : عبد العزيز بن جريج البصري (ت 150 هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت 158 هـ) والربيع ابن صبيح (160 هـ) وسعيد بن أبي عروبة (156 هـ) وسفيان الثوري (ت 161 هـ) ومعمر بن راشد (ت 153 هـ) وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت 157 هـ) وعبد الله بن المبارك (ت 181 هـ) وهشيم بن بشير (ت 183 هـ) وغيرهم .

والباحث إذ يقول هذا عن الربيع إنما يقرر حقيقة لمسها من خلال تنقيبه – ولمدة لا تقل عن ثلاث سنوات – في كتب التراجم والرجال ، وكتب الجرح والتعديل ، وتأريخ تدوين السنة وعلوم الحديث ومصطلحه ، والمصنفات المعتبرة في هذا المجال ، غير أنه لم يجد له ولمسنده ذكرا فيها ، باستثناء إشارة من الأمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في كتابه (التاريخ الكبير) يقول فيها ما نصه : «ربيع بن حبيب سمع الحسن وابن سيرين ، وروى عنه موسى البصري»[1] . أو ذكر ابن حبان له في الثقات على ماورد بهامش هذه الإشارة ، وإلا تلك الإشارات الخفيفة في كتب بعض المصنفين المحدثين ككتاب تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني (كارل بروكلمان)[2] ، وكتاب

(1) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (256 هـ) التاريخ الكبير (مراقبة . محمد عبد المعيد خان) بيروت : دار الكتب العلمية ، لا . ت . مجلد : 3 . القسم . ج : 2 . ص 277 .

(2) كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . (تر : عبد الحليم النجار ،)ط : 4 . القاهرة : دار المعارف 1977 م ، ج : 3 . ص 161 .

الأعلام للزركلي[3] ، وكتاب تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سيزكين[4] بالإضافة إلى ما كتبه علماء الإباضية عنه باعتباره إمامهم في الحديث بعد شيخيه أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وأن مسنده هو معتمدهم بعد كتاب الله عز وجل ، حتى هؤلاء كتبوا عنه باختصار مخل أيضا في سيرهم وفي طبقاتهم معرفين بشخصه ، ومنوهين بعلمه وورعه وتقاه ، دون أن يتعرضوا للتعريف ببيئته الاجتماعية والأسرية ، وتنشئته الأولى في طفولته المبكرة والمتوسطة ، وتاريخ ميلاده ووفاته على وجه الدقة والتحديد ، مكتفين بتلك التعميات التي توارثها الخلف عن السلف في تحديد زمن المترجم له من العلماء بطبقات معاصريه عند التأريخ له . كقول صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب الشيخ أبي العباس أحمد ابن سعيد الدرجيني مثلا : (الطبقة الرابعة 150 – 200 الربيع بن حبيب) .

إن هاته الفترة الزمنية التي حدّدها الدرجيني لحياة أبي عمرو الربيع بن حبيب تقريبية ، ولا تتفق مع ما ذكره أبو عبد الله محمد[5] بن محبوب بن الرحيل وهو من علماء القرن الثالث الهجري في سيره – وكان أقرب عهدا للربيع من الدرجيني المتوفى 670 هـ – ذكر أن الربيع قد أدرك أبا الشعثاء وهو شاب[6] ، ولما كانت وفاة أبي الشعثاء هذا سنة 93 هجرية – على ما أثبته أكثر المحققين من

(3) خير الدين الزركلي . الأعلام الطبعة الثالثة . بيروت : لا . ت . ح : 3 . ص 30 .

(4) فؤاد سيزكين . تاريخ التراث العربي . (تر : فهمي أبو الفضل ومن معه) . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (1971 م ح : 1 . ص 267 .

(5) راجع : أ) عبد الله بن حميد السالمي (ت 1332 هـ) . العقد الثمين . (محقق : سالم بن حمد الحارثي) . القاهرة : دار الشعب ، 1397 هـ ، ج : 1 . ص 19 .

ب) نفس المؤلف . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . (محق : أبي إسحاق إبراهيم طفيش) ط : 2 . القاهرة : مطبعة الشباب ، 1350 هـ ، ج : 1 . ص 130 – 131 .

(6) راجع : أ) عبد الله بن حميد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية 1326 هـ ، ج : 1 . ص 4 .

ب) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية . سوريا ولبنان : دار اليقظة العربية ، لا ت ، ص 149 .

المؤرخين[7] – تبّين لنا مدى عدم دقة التأريخ للأشخاص بنظام الطبقات إجمالا ، ثم بالتالي عدم صحة المعلومات المستمدة من هذا الحساب .

ولعل ما ذكره الباحث عن الربيع بن حبيب من غموض في حياته الأولى وفي نهايته ، وعدم ضبط تاريخه هو نفسه ينسحب على معظم علماء الإباضية وأئمتهم منذ القرن الثاني الهجري ، حتى أواخر القرن الرابع عشر ، وأكبر شاهد على ما قاله : كتب السير والطبقات التي تتبعت أدوار كفاحهم العلمي والسياسي والتي من بينها على سبيل المثال : كتاب الطبقات للدرجيني[8] ، والسير للشماخي[9] والإباضية في موكب التاريخ للمرحوم علي يحي معمر[10] مؤخرا .

---

(7) انظر :

أ) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . مرجع سابق – مج : 2 ، القسم الثاني ، ج : 1 . ص 204 .

ب) أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير . (ت 774- هـ) . البداية والنهاية . ط : 3 . بيروت : مكتبة المعارف ، 1979 م ، ج : 9 . ص 93 .

ج) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) تهذيب التهذيب . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، 1325 ، هـ ج : 2 . ص . 38

د) عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (تحق إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة) . بيروت : دار الآفاق الجديدة : لا . ت . ح : 1 ، ص 101 .

هـ) محمد بن سعد (168 – 230 هـ) الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر ، 1958 م ، مجلد : 7 . ص 179 .

(8) الدرجيني : هو أبو العباس أحمد بن سليمان بن علي بن يخلف المتلقب بالدرجيني ، وهو من عائلة علية من تيجار (أولاد بو جديد بالرحيبات اليوم) مجبل نفوسة واستوطت قنطرار بضواحي نفطة بالجريد التونسي . ومن مؤلفاته كتاب طبقات مشائخ المغرب توفي سنة 670 هـ . راجع ترجمته : صالح باجيه . الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى . دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي ، إشراف : د . علي الشابي) تونس : دار بوسلامة للطباعة والنشر ، 1976 م ، ص 206 ≈ 212 .

(9) انظر ترجمته في

(10) علي يحي معمر من مواليد تالوت بجبل نفوسة سنة 1919 م ، لغوي وفقيه ومؤرخ وشاعر ، فنى جل عمره في خدمة التربية والتعليم ، شغل منصب موجه في اللغة العربية والتربية الإسلامية بالمدارس الابتدائية ، ثم رئيسا لقسم التوجيه الفني ، فوثقا تربويا بأمانة التعليم ، وله مؤلفات عدة من أهمها : الإباضية في موكب التاريخ في أربعة أجزاء ، نشأة الإباضية ، الإباضية في ليبيا ، الإباضية في تونس ، الإباضية في الجزائر ، وكتاب الإباضية بين الفرق الاسلامية ، بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والفتاوى ، وله ديوان شعر مخطوط . توفي بطرابلس في شهر يناير 1980 م ، وقبره بسيدي منيدر .

2 – الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الرّبيع بن حبيب بن عمرو ضمن المحدثين الذين اهتموا بتدوين الحديث وإغفال إنتاجه

طرح الباحث هذه العبارة في شكل سؤال عن طريق المراسلة على الأستاذ بكلي[11] عبد الرحمن بن عمر من علماء الإباضية بوادي ميزاب في الجزائر فأجاب بما يلي : «أمّا عدم تعرض رجال الحديث لذكره أو تقويم عمله كغيره من علماء الحديث فيرجع معظمه عندي إلى عوامل :

أ) إن جلّ أئمتنا المنقطعين للعلم كانوا يعيشون في عزلة فرضوها على أنفسهم ، فقد ورد في ترجمة الإمام الربيع ما يلي : أراد أصحابنا[12] وقوم من غيرهم أن يكتبوا العلم والحديث عن عالم ورع قريب الإسناد ، ويتركوا ما سواه ، فلم يجدوا إلاّ الربيع ، وكان يروي لهم عن ضمام عن جابر بن زيد عن ابن عباس وغيره ، وخاف أن يشيع أمره فيطلب إلى ما هو أعظم ، أو يفتن[13] فأغلق الباب إلاّ عن أصحابنا .

أجل إن جلّ أئمتنا قد جنى عليهم عكوفهم على العلم ، اللهم إلاّ الذين قاموا بأدوار حربية أو سياسية ، واكتنف حياتهم وقائع لفتت إليهم الأنظار ، وجعلت حياتهم محل اعتبار ، لذلك لا تجد تاريخ ميلاد هؤلاء ووفاتهم محدّدا غالبا ، وعليه فلا غرابة إن لم تجد في المصادر المتداولة بيننا منا أو من غيرنا تاريخ ميلاد الإمام الربيع بن حبيب ووفاته ، ولم يكن بدعا من الأئمة ، فقد نالت هذه الظاهرة كثيرا من أئمتنا أمثال : أبي عبيدة مسلم ، وضام بن السائب ، وأبي نوح

---

(11) بكلي عبد الرحمن بن عمر ، فقيه وشاعر مجيد ، ولد بالعطف إحدى مدن وادي ميزاب بالجزائر سنة 1901 م . وتخرج من الجامع الزيتوني ، حقق النيل لضياء الدين الثني ، والقواعد للجيطالي ، ومن مؤلفاته : فتاوى البكري . وهو عضو جمعية كبار العلماء الجزائريين .

(12) كلمة (أصحابنا) إذا ذكرت في كتب الإباضية تعني الإباضية ، و (قومنا) تعني غير الإباضية من المسلمين .

(13) أو يفتن : لعله أراد أن يروي لمن لا يعرفه من غير أصحابه ، أو من لا يثق به الثقة الكاملة فيتريد في الحديث وتصبح العهدة عليه ، إذ كان عهده – رحمه الله – عهد وضع واختلاق ، وبذلك أقل من الرواية تأسيا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المقلين .

صالح بن نوح الدهان أشياخه الذين تلقى عنهم مسنده وغيرهم كثير . وكم حاولت – أثناء تعليقي على كتاب قواعد الإسلام[14] – أن أحدّد تاريخ ميلادهم ووفاتهم على التحقيق فلم أتوصل إلاّ إلى حصره في فترة تقريبية .

ب) إن العامل الأكبر الذي آثرهم على هذه العزلة يرجع إلى السياسة الجائرة وقتئذ ، سياسة الإرهاب ، وما أملته في نفوس الجاهير من الكره ضد الذين أسمتهم (خوارج) لاعتبارها إياهم الخشخاش الذي يظل في أنفها ما عاشت .

ج) وإذا أضفنا إلى ذلك انعدام مصادر تاريخنا ، وذهابنا ضحية الظلم ، والغش والتعصب والحسد ، كان ذلك ضغثا على إبّالة .

هذا ولا أرى عدم التعرض للإمام الربيع – الذي يعتبر مسنده أول كتاب ألف في الحديث على ما يظهر – كان عن عمد لعصبيّة ، أو نزعة دينية أو سياسية كما يستشف من تساؤلك ، وإنما جاء هذا الإهمال من طرف أصحابنا الذين يحتفظون بمصنفاتهم مخزونة في مكاتبهم ، ولم يتح لها من يتبنى نشرها وإظهارها كغيرهم لعموم الأمة . وحتى العلماء المعاصرون المتسمون بالنزاهة العلمية (نسبيًا) من أساتذة الشريعة في الجامعات الإسلامية الذين كتبوا في التشريع الإسلامي وأشبعوا القول على الحديث وتدوينه ، ومشاهير المحدثين سيّما محدّثو القرنين الثاني والثالث الذي يفترض أن يكون الإمام الربيع منهم ، أجل يستعرضون ما عثروا عليه بين الأمة وتناوله المؤرخون الأولون في هذا الميدان ، كالحافظ الذهبي[15] الذي أطلق عليه بعض المؤلفين مؤرخ الإسلام كانوا أحرص ما

(14) كتاب قواعد الإسلام ، ألفه العالم الليبي النفوسي أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي نسبة إلى جيطال إحدى قرى الرحيبات بجبل نفوسة ، من علماء القرن الثامن ، وكانت وفاته سنة 750 هـ . بجزيرة جربة بتونس ، ودفن في مقبرة الجامع الكبير ، له من المؤلفات عدا قواعد الإسلام : كتاب قناطرالخيرات في أجزاء ، وشرح النونية في ثلاثة أجزاء في أصول الدين على قصيدة الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الناوشائي ، وكتاب الحساب والفرائض ، وكتاب الحج والمناسك ، وكتاب أجوبة الأئمة في ثلاثة أجزاء ، وله قصائد .

(15)الحافظ الذهبي : هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ولد سنة 673 هجرية ، سماه صاحب الشذرات بشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل ، ومن مؤلفاته تاريخ الإسلام الكبير في واحد وعشرين جزءًا ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ، والمغني في الضعفاء ، والنبلاء في شيوخ السنّة ، والمقتني في سرد الكنى ، وطبقات الحفاظ في مجلدين وغيرها ، توفي سنة 748 هـ .

راجع ترجمته في عبد الحي بن عماد الحنبلي . مرجع سابق . ج : 6 ص 153 – 156 .

يكونون على ذكر من أغفله من كان قبلهم استقصاء في البحث ، وإنصافا للمهضومين ، ومع ذلك لم يشر أحدهم هم أيضا إلى الإمام الربيع من قريب أو من بعيد فضلا أن يترجموا له ، ويتناولوا مسنده بالتعديل أو التجريح ، أفلا يدل ذلك على ما أسلفت لك ذكره ؟.

من خلال إجابة الأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عمر عن السؤال تتضح لنا تلك العوامل التي أدّت إلى عدم تعرض رجال الحديث للربيع بن حبيب كحدث ، أو تقويم أعماله كغيره من علماء الحديث ، وتتمثّل – من وجهة نظره – فيما يلي :

أ – عزلة فرضها الربيع على نفسه بغلق الباب في وجوه طلبة العلم من غير أصحابه ، وامتناعه عن رواية الحديث لمن سواهم ، خشية أن يشيع أمره فيطلب لما هو أعظم أو يفتن .

ب – ظلم الحكام وسياستهم الجائرة بما أصّلوه في نفوس الجاهير من الكراهية ضد أولئك الذين أسمتهم خوارج ومنهم الربيع هذا .

ج – انعدام مصادر تاريخ الإباضية بصفة عامة ، وذهابها ضحية الظلم ، والفتن والتعصب ، والحسد من مناوئيهم .

د – احتفاظ الإباضية بمصنفاتهم مخزونة في مكاتبهم دون أن يكنوا أحدا غيرهم من الاطلاع عليها أو إذاعتها ، وأنه لم يتح لها منهم من يتبنى نشرها وإظهارها إلى حيز الوجود كغيرهم لعموم الأمة الإسلامية ، ولما كان مسند الربيع وإنتاجه العلمي من بينها فإنه لم يتكن العلماء المعاصرون المتسمون – على حد قوله – بالنزاهة نسبيا ممن كتبوا في التشريع الإسلامي ، وفي الحديث النبوي الشريف وتدوينه ، وعلى مشاهير المحدّثين ، ولاسيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين الذين يفترض في الربيع بن حبيب أن يكون منهم ، لم يتكن هؤلاء – مع حرص بعضهم الشديد على ذكر من أغفله قبلهم كالحافظ الذهبي مثلا ، استقصاء للبحث وإنصافا للمهضومين – من الإشارة إلى الإمام الربيع بن حبيب من قريب أو بعيد ، فضلا أن يترجموا ، أو يتناولوا مسنده بالجرح والتعديل .

لعل تلك العوامل التي ذكرها الأستاذ بكلي كلها مجتمعة أو متفرقة تمثل بعض

الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع ضمن المحدثين ، وإلى إسقاط مسنده من حساب كتب السنة المعتبرة لدى جمهور الأمة الإسلامية .

ويمكن للباحث من جنبه أن يضيف إلى تلك العوامل التي رآها الأستاذ بكلي عبد الرحمن عاملين آخرين ربما كان لهما أثر مباشر – من وجهة نظره – في حمل رجالات الحديث وعلمائه على التغاضي عن الإمام الربيع وإنتاجه .

أما أحدهما فيتمثل في اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج المبتدعة ، ولما كان الربيع بن حبيب هذا من زعماء الحركة الإباضية وأعلامها المفكرين بعد تأسيسها على يد إمامها الأول أبي الشعثاء جابر بن زيد وتلميذه – شيخ الربيع – أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي في البصرة بالعراق ربما لذلك اعتبره أهل الحديث مبتدعا داعيا لبدعته وتجنبوا الرواية عنه . ولم يهتموا بمسنده ، لأنهم اشترطوا فيمن يؤخذ عنه الحديث ألا يكون مبتدعا داعيا لبدعته .

يقول ابن الصلاح في مقدمته : «وقال قوم : تقبل روايته (أي المبتدع) إذا لم يكن داعية ، ولا تقبل إذا كان داعية إلى بدعته . وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء ... إلى أن يقول : وقال أبو حاتم بن حبان البستي أحد المصنّفين من أئمة الحديث : «الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة ، لا أعلم بينهم فيه خلاف»[16] .

أما ثاني العاملين فيتمثل في عدم مصانعة الإمام الربيع للسلطات الحاكمة الجائرة التي لاقى منها علماء الأمة وأئمة الحديث في القرنين الثاني والثالث كل عنت واضطهاد ، منهم من ضرب بالسّياط وعذّب ، ومنهم من سجن ، ومنهم من نفي ، ومع ذلك نجد منهم من صانع هؤلاء الحكام وهادنهم ، واتقى عنتهم فاستطاع بذلك أن يبرز آراءه ومؤلفاته ، وأن يجد لها طريقا إلى النشر والإذاعة ، وتشجيعا كاملا من أولئك الحاكمين . بينما أهملت أعمال الربيع وأضرابه

(16) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) . (ت 642 هـ) . مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1978 م ، ص 54 .

وطمست أخبارهم ، وبالتالي لم تر مصنفاتهم طريقها إلى عالم النشر ، اللّهم إلاّ ما تناولته الأيدي سرا ويتحفظ وفي نطاق محدود ، وبين فئة معينة .

هذا وحتى لا يظل محدثنا يكتنفه الغموض ، ولا يعرف أكثر الناس عنه شيئا كما كان عليه سابقا ، فإنه يجدر بالباحث أن يشير – وفي إيجاز – إلى موطنه الأول ، وكيف نشأ في أحضانه ، وأخذ تعليمه الأول من كتاتيبه ، ثم ينتقل معه إلى موطنه الثاني البصرة في العراق حيث يتناول حياته العلمية مكتفيا في كلا القطرين بالحياة العقلية دون غيرها من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما ليس له علاقة بموضوعه .

3 – عمان الموطن الأول لأبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

عُمان بضم أوله وتخفيف ثانيه مشتق من الفعل عمن يعمن ، وعمن أي أقام . يقال : رجل عامن وعمون . والعمن : المقيمون في مكان . ومنه اقتبس عمان . قال الأزهري : عمان يصرف ولا يصرف . فمن جعله قطرا صرفه في حالتي النكرة والمعرفة ، ومن جعله بلدة ألحقه بطلحة[17] . وقيل : سميت عمانا باسم رجل يدعى عمان بن قحطان هو أول من نزلها من العرب[18] . وكانت عمان تسمى – على ماذكر بعض الكتاب – عند السومريين والأكاديين والأشوريين ب (ماجان)[19] ، كما كانت تدعى عند الفرس ب (مازون)[20] . وفي ذلك قال الشاعر :

إنّ كسرى سمى عمان مزونا ... ومزون يا صاح خير بلاد

(17) جمال الدين بن مكرم الأنصاري – ابن منظور (ت 711 هـ) لسان العرب مطابع كوتاتسوماس . طبعة مصورة عن طبعة بولاق . لا . ت . ج : 17 ص 162 ، مادة : ع م ن .

(18) نور الدين عبد الله بن حميد السالمي . تحفة الأعيان ج : 1 . ص 4 .

(19) عادل رضا . عمان والخليج . مصر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، 1969 م ، ص 135 .

(20) أ) أبو الحسن علي المسعودي . (ت 346 هـ) مروج الذهب . (تحق : يوسف أسعد داغر) . ط : 3 . بيروت : دار الاندلس للطباعة والنشر 1978 م ، ج : 1 . ص 169 .

ب) نور الدين عبد الله بن حميد السالمي . تحفة الأعيان ج : 1 ، ص 5 .

ج) عادل رضا . نفس المرجع . نفس الصفحة .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن أول من سكن عمان من العرب في القديم فرع من العرب البائدة وهم العاليق . إلاّ أن معظم مؤرخي العرب ونساييهم في العصور الإسلامية الأولى يذكرون : أن أول من نزل عمان من العرب هم مجموعة من قبيلة الأزد اليمنية بعد تصدع وانهيار سدّ مأرب بزعامة مالك بن فهم .

وعندما ما سطع نور الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية كان ملك عمان بيد ابني الجلندي بن المستكبر : جيفر وعبد اللذين أسلما طوعا على يد رسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بن وائل السهمي سنة(8 هـ) على أشهر الأقوال ، وأعاناه على الدعوة إلى سبيل المؤمنين بنفوذهما الأدبي والمادي على أهل عمان ، فدخلوا في دين الله أفواجا ، وما لبثوا أن طردوا الفرس الساسانيين الذين كانوا يقطنون عمان وقتئذ عندما رفضوا الدخول في الإسلام .

يقول الإمام السالميّ : «فما ورد رسول جيفر على أحد إلاّ وأسلم وأجاب دعوته ، إلا الفرس الذين كانوا في ذلك العهد بعمان ، واجتمعت الأزد إلى جيفر ابن الجلندى وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج (مسكان) ومن معه من الفرس ، فدعا جيفر بالمرازبة والأساورة وقال لهم : «إنه قد بعث منا في العرب نبي فاختاروا من إحدى حالتين : إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإمّا أن تخرجوا عنا بأنفسكم . فأبوا أن يسلموا وقالوا : لسنا نخرج . فعند ذلك اجتمعت الأزد وقاتلوهم قتالا شديدا . وقتل (مسكان) «حاكمهم وزعيمهم» وكثير من أصحابه وقواده . ثم تحصن بقيتهم في (دستجرد) قرب صحار فحاصروهم أشد حصار ، فلما طال بهم ذلك طلبوا الصلح ، فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس ، فأجابوهم إلى ذلك ، وخرجوا من عمان[21] .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام أهل عمان ودورهم الإيجابي في

(21) نور الدين السالمى . تحفة الأعيان . ج : 1 . ص 47 .

الدعوة إلى الله ورسوله سرّ سرورا عظيما وقال : «رحم الله أهل غبيراء آمنوا بي ولم يروني»[22] .

وكانت عمان تعرف في عهده صلى الله عليه وسلم باسم الغبراء أو الغبيراء[23] . وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث أخرى في فضل عمان والحث على إنتجاعها للرزق ليس هنا محل ذكرها .

وقد استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام على عمان بعد إسلامها عمرو بن العاص فظل بها مسموع الكلمة ، مطاعا معانا من قبل ملكيها جيفر وعبد ابني الجلندي ، يجمع الصدقات من المسلمين ، ويفرض الجزية على أهل الذمة ممن بقي على دينه حتى جاءه نبأ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى المدينة وبصحبته ملك عمان عبد بن الجلندى ، وجعفر بن خشم العتكي ، وأبو صفرة سارف بن ظالم وجماعة من الأزد ، فاستقبلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل حفاوة وإكرام ، واستمع لخطيبهم بعد مبايعتهم له حيث قال : «يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ويا معاشر قريش ! هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد برئنا منها إليكم»[24] . فأثنى عليهم أبو بكر رضي الله عنه ، ثم قام عمرو بن العاص فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلاّ قاله في الأزد .

فلما كان من الغد أمر الخليفة أبو بكر رضي الله عنه فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام فيهم خطيبا بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر الرسول فصلى عليه وقال : «معاشر أهل عمان ..! إنكم أسلمتم طوعا لم يطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشّمتوه ما جشّمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولاّ تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ،

(22) و (23) عبد القادر زلوم . عمان والإمارات السبع . بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1963 م ، ص 10 .
(24) نور الدين السالمى ، تحفة الأعيان ، ج : 1 . ص 9 – 10 .

وأطعمتوه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأي فضل أبر من فضلكم ، وأي فعل أشرف من فعلكم المعاد ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ، ورحل عنكم إذ رحل مسلما ، وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندى ، وأعزكم الله به ، وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجميل ، حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال ، فيثبت الله به ألسنتكم ويهدي به قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم الله خيرا»[25] .

وهكذا نرى أن الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه – وهو من هو – قد قلّد – في خطبته اللاهجة بالثناء والحمد – أهل عمان وسام الشرف العظيم ، والمكانة السامقة في الإسلام ، لم يسبق لأحد من القبائل العربية – عدا المهاجرين والأنصار – أن حظي بها أو نالها ، ويتبيّن لنا أيضا من خلال خطبته رضي الله عنه ماكان عليه العمانيون في ظل حاكميهم جيفر وعبد ابني الجلندى من كثرة العدد ووفرة العدّة ، وما هم عليه من الألفة والاتحاد ، وعدم الفرقة والتشتت ، إذ قال في هذا الخصوص : «ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ... إلى أن يقول : وأطعمتوه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم» كما يتضح من هذا النص أيضا أن الحاكمين جيفر وأخاه عبد حاكمان صالحان حسنا الإيمان ، سعد بوجودهما أهل عمان ، وكانا يمنا وسلاما على بلادهما عمان : «وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندى ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجميل» .

قد ظهرت – كما يقول السالمي – : إجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(25) انظر : أ) السالمي . تحفة الأعيان . ص 10 .
ب) أحمد شلبي . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة . مطبعة السنة المحمدية . 1977 م ، الحلقة 7 . ص 295 .

ودعاء خليفته لأهل عمان ، وصدّق الله توسمها فيهم ، فهم أكثر الناس هدى وصوابا ، منهم الأئمة العادلون ، والعلماء الراشدون ، ولم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وإن غلبوا على دولتهم في بعض الأحيان لما أراد الله من تمحيص المؤمنين وتحيق الكافرين»[26] .

ونفى السالمي ماذكر ابن الأثير في كامله من ردة كثير من أهل عمان بزعامة ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي ، ويرى أن كلامه باطل لا أصل له ، ويقرر أن سبب هذه الواقعة أن امرأة من بني الحارث بن مالك بن فهم كان عليها أن تدفع الزكاة للعامل عليها ، ولكنها دفعت أقل مما يجب أن تدفعه ، فأخذ منها العامل حقّ المسلمين غير مبال برأيها ، فاعتبرت المرأة هذا الإجراء عصبا واعتداء ، فاستغاثت بيا آل مالك !! وكانت دعوة جاهلية استجاب لها بعض الناس دون تثبت ، فقاتلهم أمير الصدقات على عمان حذيفة بن محصن وانتصر عليهم وسبى وغنم[27] .

وقد عين أبو بكر رضي الله عنه جيفر وأخاه عبدا عاملين له في عمان ليحكما بين الناس بالعدل وبقيا حدود الله ، وظلا كذلك إلى أن توفيا في أواخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقيت أمور عمان في نسل عبد بن الجلندى طيلة الخلافة الراشدة والدولة الأموية – باستثناء الفترة التي كان الحكم فيها لعبد الملك بن مروان حتى وفاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز والدولة العباسية – وعدا زمن السفاح[28] – وبذلك كانت عمان مستقلة عن كل تلك الأحداث والدويلات التي قامت زمن ضعف الدولة العباسية وبعد انهيارها على

(26) السالمي : تحفة الأعيان ، ص 10 .
(27) أ – السالمي . نفس المرجع ، ص59 – 60 .
ب – أحمد شلبي ، نفس المرجع . ص 297 – 299 .
(28) انظر : أ – نور الدين السالمي المرجع السابق ، ص 61 وما بعدها .
ب – أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 297 – 299 .
ج – محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف . عمان تاريخ يتكلم . دمشق : المطبعة العمومية ، 1963 م ص 100 وما بعدها .

يد التتار . واستطاع العمانيون أن يعقدوا الإمامة لمن يستحقها شرعا عن طريق الشورى والاختيار الحر ، وظل حكم الإمامة قائما في عمان أكثر من ألف عام في سلسلة من الأئمة المتلاحقين حتى عهد الإمام غالب بن علي سنة 1954[29] .

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه تولى إمامة عمان خمسة وثمانون إماما في الماضي ، وكان لهم دور كبير في تاريخها ، حيث كانت عمان تتمتع بكافة حقوق السيادة ، وكانت لها جيوشها البريّة وأساطيلها البحرية حتى بلغت تلك الأساطيل في أواسط القرن التاسع الميلادي أكثر من ثلاثمائة سفينة حربية تامة الإعداد والتجهيز ، وكان التحرر الفكري والشعور بالكيان طابع العمانيين على امتداد العصور .

4 – الحياة العقلية بعمان

لم يحدثنا المؤرخون الإسلاميون الأول عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار التابعين أنهم أسسوا بعمان مدارس على غرار تلك التي أقاموها بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والبصرة والكوفة ، ودمشق بالشام ، والفسطاط بمصر ، واليمن لتدريس القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث النبوي الشريف وتدوينه ، والفقه الإسلامي واستنباطه .

لذلك نجد أن معظم العلماء – وما أكثرهم – من العمانيين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة قد أخذوا العلم وتخرجوا من مدارس العراق في البصرة والكوفة وبغداد ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر :

أ – صحار بن عباس العبدي[30] الذي قال عنه النديم في كتابه الفهرست :

(29) أ – أحمد شلبي . نفس المرجع ، ص 304 وما بعدها .
ب – عادل رضا ، المرجع السابق ، ص 151 .
(30) انظر : أ) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة . بيروت : دار صادر ، مصورة عن دار السعادة ، مصر سنة 1328 هـ ، ج : 2 ، ص 176 – 177 .
ب) – نور الدين السالمي ، نفس المرجع ، ص 11 بالهامش .
ج) – أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم (ت 380 هـ) كتاب الفهرست للنديم (تحق : رضا تجدد) ، طهران : 1971 م ، ص 102 .

«أحد النسابين الخطباء ، في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين أو ثلاثة ، وله كتاب الأمثال .

ب – كعب بن سؤار الأسلمي (ت 36 هـ)[31] . وهو الذي أسند إليه أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء البصرة بعد تصيرها لعلمه ونزاهته وعدله .

ج – أبو الشعثاء جابر بن زيد (21 – 93 هـ) . والذي يعتبر من أول من ألف كتابا أسماه الديوان ، أودعه الأحاديث التي رواها ، وآراءه في أصول العقيدة ، وفتاويه في كثير من النوازل والمسائل ، ويقال عنه : إنه ديوان ضخم جدا يعجز عن حمله البعير ويقع في عشرة أجزاء .

د – أبو عمرو الربيع بن حبيب صاحب الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب في الحديث وهو شخصية رسالة الباحث هذه .

هـ – الخليل بن أحمد الفراهيدي[32] (100 – 170 هـ) صاحب كتاب العين ومبتكر علم العروض والقافية ، له عدة مؤلفات – عدا العين – ذكرها النّديم في الفهرست .

و – أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري المعروف بالمبرد[33] ، (210 – 285 هـ) يعتبر إماما في النحو واللغة العربية والآداب ، له عدة مصنفات ومن أشهرها كتابه الكامل .

(31) راجع ترجمته في :
أ) النعمان بن محمد بن العراق ، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر . (تحق : محمد حميد الله) . إسلام آباد : مطبعة معهد البحوث الإسلامية ، 1973 م ، ص 38 – 40 .
ب) – نور الدين السالمي . تحفة الأعيان ، ص 12 .
(32) انظر : أ) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم . مرجع سابق ص 48 .
ب) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، (ت 608 هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (تحق : د . إحسان عباس) . بيروت : دار صادر 1978 م مجلد ح 2 . ص 248 .
(33) راجع : أ) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم . نفس المرجع ص 65 .
ب) – ابن خلكان . المرجع السابق ، ص 319 .

ز – أبو بكر محمد بن الحسن المكنّى باين دريد[34] (223 – 321 هـ) كان واسع الرواية ، لم ير أحفظ منه للشعر ، له كتب كثيرة ومن أجلها نفعا كتابه الجمهرة .

والباحث عند ماقال : إنّ الصحابة وكبار تابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن لهم بعمان مدارس علمية كالتي كانت لهم في الحجاز والعراق والشام ومصر واليمن ، لا يعني – إطلاقا – أنّه ليس هناك لبعض هؤلاء جهود في تعليم أبناء عمان وأهله ممّا لم يكن للمسلم منه بد من مبادئ الشريعة الإسلامية وأصولها ، كتحفيظ القرآن الكريم ، وما يتيسر من الأحاديث النبوية الشريفة ومسائل الإعتقاد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، وإنّما كان ذلك في نطاق محدود ، ليس بالكيفية التي جعلت من تلك المدارس المذكورة في الأقطار المشار إليها منارة للإشعاع الفكري الإسلامي ، وجه إليها أنظار طلاب العلم من مشارق العالم الإسلامي ومغاربه ، فتخرج منها علماء مفكرون أسدوا للإسلام والمسلمين وللعلوم العربية خدمات جليلة كان لها أثرها في صنع الحضارة الإنسانية بصفة عامة مثل هؤلاء العمانيين المتحدث عنهم .

هذا وإن عمان لم تكن بمنأى من تلك التيارات الفكرية السياسية التي عمت العالم الإسلامي بصفة عامة والجزيرة العربية بخاصة بسبب الفتنة الكبرى التي أدّت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وما تلاها من نزاع دموي بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وطلحة والزبير في واقعة الجمل ، وبينه أيضا وبين معاوية وعمرو بن العاص في معركة صفين التي كان من نتائجها تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص للنظر في أمر النزاع والنزول عند حكم الله بما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولمّا كان هناك عدد كبير من أنصار علي عارضوا فكرة التحكيم معارضة

(34) راجع : ابن خلكان . نفس المرجع ، مجلد : 4 . ص 323 .

شديدة ، «ونفروا من أن يحكم في كتاب الله ، ورأوا أن التحكيم خطأ ، لأن حكم الله في الأمر واضح وجلي ، والتحكيم يتضمّن شك كل فريق من المحاربين أيها أحقّ ، وليس يصح هذا الشّك ، لأنهم وقتلاهم إنما حاربوا وهم مؤمنون – بلا شك – أن الحق في جانبهم .

هذه المعاني المختلجة في نفوسهم صاغها أحدهم[35] في الجملة «لا حكم إلاّ للّه»[36] ، وبذلك خلعوا بيعة عليّ من أعناقهم ، ونصبوا عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي إماما .

ولقد حاول عليّ رضي الله عنه إقناعهم بالرجوع إلى طاعته ، وحاورهم كثيرا ، فأبوا إلاّ أن يتسكوا برأيهم المتمثل في مطالبته بالتوبة للتكفير عن خطيئته التي ارتكبها بإيقاف القتال من الفئة الباغية بصفين ، وقبول التحكيم ، والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، أي بيعة عبد الله بن وهب الراسبي .

وبذلك اضطر عليّ إلى قتالهم في معركة النهروان التي أتت على أكثرهم . قال المسعودي : «وكان جملة من قتل من أصحاب علي تسعة ، ولم يفلت من الخوارج إلاّ عشرة»[37] . وأن هؤلاء تفرقوا في البلاد ، فذهب منهم اثنان إلى عمان ، وكان أحدهما – على ماذكر بعض الرواة[38] – هو عبد الله بن إباض[39] ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن .

(35) أحدهم : هو عروة بن جدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أخ أبي بلال مرد اس بن جدير الشاري ، قتله ابن زياد وصلبه .

(36) أحمد أمين . فجر الإسلام . الطبعة العاشرة . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1969 م ، ص 256 .

(37) أبو الحسن علي المسعودي . مرجع سابق . ج : 2 . ص 406 .

(38) محمد عبد الله السالمي وناجي عساف . مرجع سابق ، ص 131 .

(39) عبد الله بن إباض بن تميم اللات بن ثعلبة التجيبي من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس ، وهو الذي فارق جميع الفرق الحائدة عن الحق من الخوارج والمعتزلة والقدرية . إمام الإباضية وزعيم حركتهم إبان نشأتها في العهد الأموي . راجع ترجمته في :

أ) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) . طبقات المشائخ في المغرب . : إبراهيم طلاي . قسنطينة : مطبعة البعث ، لا . ت . ج : 2 . ص 273 .

ب) – أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي . (ت 928 هـ) . السير (تصحيح : محمد يوسف البارون). القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية لا . ت . ص 77 .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت عمان مركزا للشراة والمحكّمة ، وأظهرت عداءها السافر لمعاوية بن أبي سفيان ومن جاء بعده من ملوك بني أمية والعباسيين لأنهم حوّلوا إمامة المسلمين المبنية على الشورى والاختيار الحر إلى ملك عضوض .

ولقد كان لمدرسة التابعي الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد في البصرة ، ولتلاميذه الذين تربوا على يديه الأثر الكبير في جعل عمان – موطنه الأصلي – يتمذهب بمذهب من تسموا – بعد النهروان من الخوارج – بأهل الدعوة ، ثم بالإباضية منذ خلافة عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ .) نسبة إلى عبد الله ابن إباض المقاعسي المري التميمي . بسبب – كما يقول الشيخ علي يحي معمر : «المناظرات والمناقشات الطويلة التي جرت بين عبد الله وعبد الملك[40] ، ولحركته النشطة في نقد سلوك الحكم الأموي ، بابتعاده عن منهج الخلفاء الراشدين السابقين ، ودعوته الصريحة لحكام الدولة إلى الاعتدال ، أو اعتزال أمور المسلمين ، ثم لمواقفه الجدلية المتصلبة ضد الخوارج ، بحيث ظهر عند العامة بمظهر الزعيم»[41] . غير أنه – في الواقع – كان يصدر في آرائه الجدلية وتصرفاته السياسية عن الإمام أبي الشعثاء الذي يعتبر – بحق – مؤسّس المذهب الإباضي وأصوله .

وقد قال عنه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب : «أصل المذهب وأسّه الذي قام عليه نظامه ، ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه»[42] ثم جاء من بعده أشهر تلاميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

(40) انظر رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان كاملة في :
أ – أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي . الجوهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات . طبعة حجرية مصورة . القاهرة : 1884 م ، ص 156 – 167 .
ب – سالم بن حمّود بن شامس السيابي السائلي . إزلة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء . (تحق : سيدة إسماعيل كاشف) القاهرة مطابع سجل العرب ، 1979 م ، ص 86 – 100 .

(41) علي يحي معمر (ت 1980 م) . الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة . مخطوطة . ورقة رقم 1 .

(42) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق . ج : 2 . ص 205 .

الذي اتسعت في عهده حركة الإباضية حتى شملت بالإضافة إلى عمان والبصرة حضر موت واليمن وجزءا من شمال أفريقيا ، وخراسان عن طريق مايسمى بحملة العلم إلى المشرق والمغرب ، وقامت إمامة عبد الله بن يحي طالب الحق[43] في حضر موت واليمن حتى شملت الحجاز سنة 129 هـ . وإمامه أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[44] بطرابلس 140 هـ . حتى شملت القيروان وما والاها .

وبعد أن أدّى أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة دورا إيجابيا كاملا في تنشيط الحركة الإباضية سلم زمام أمرها – وهو لا يزال على قيد الحياة – لمن رآه أهلا للسير بها على نهجه من تلاميذه ، ألا وهو أبو عمرو الربيع بن حبيب محدثنا الذي سيتولى الباحث الترجمة له ، وعرض جهوده المغمورة – إن صح التعبير – في مجال تدوين الحديث النبوي الشريف والفقه ، منذ فترة مبكرة من حياة التصنيف والتأليف في العلوم الإسلامية . فإليه في أدوار حياته ، وكفاحه العلمي .

(43) عبد الله بن يحي طالب الحقّ أعلن إمامة الإباضية باليمن بعد أن ضجّت الأمة من الجور والفجور اللذين أتى بها عمال بني أمية ، ففزعت إلى طالب الحق وهو قاض يومئذ بحضرموت ، فقام بالأمر بعد استشارة الإمام أبي عبيدة ابتغاء مرضاة الله ، وإقامة لشرعه ، فاستولى قائد جيوشه أبو حمزة المختار بن عوف على الحرمين الشريفين وذلك سنة 130 هـ . ودامت إمامته نحوا من ثلاث سنين وانتهت باستشهاده رحمه الله . عن الجيطالي : كتاب قواعد الإسلام . (تعليق : يكلي عبد الرحمن بن عمر) ، الجزائر : غرداية ، 1976 م ، ج : 1 . ص 64 بالهامش عن أبي إسحاق الطفيش .

(44) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني أحد الخمسة الذين حملوا العلم إلى المغرب عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، تولى إمامة الإباضية بطرابلس بعد مبايعته ببلدة صياد إحدى ضواحي مدينة جادو غربي طرابلس سنة 140 هـ . فأحسن السيرة ، وأنقذ القيروان من جور قبيلة ورفجومة البربرية الصفرية ، وكانت مدة إمامته 4 سنوات ، وقتل بموقعه تاورغاء على يد محمد بن الأشعث قائد أبي جعفر المنصور سنة 144 هـ .
راجع ترجمته في : أ – أبي زكرياء يحي بن أبي بكر (ت 471 هـ) . سير الائمة وأخبارهم . (تحق : إسماعيل العربي) . الجزائر : المكتبة الوطنية 1979 م ، ص 37 .
ب – أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) مرجع سابق . ج : 1 ، ص 22 – 34 .

5 - الربيع بن حبيب مولده ونسبه وأسرته

أ - مولده :

ولد أبو عمرو الربيع بن حبيب بإحدى قرى السهل الساحلي المسماة (بودام) من الباطنة في عمان . إلا أن سنة ميلاده لم تتحقق مع الباحث . وكل الذي يعلمه أن وجوده كان في زمان أبي الشعثاء جابر بن زيد (21 - 93 هـ .) بناء على ماذكره أبو عبد الله[45] محمد بن محبوب بن الرحيل أحد علماء ومؤرخي القرن الثالث الهجري في معرض حديثه عن جابر بن زيد حيث قال : «أدرك الربيع جابر بن زيد والربيع شاب و روى عنه في المسند حديثا»[46] .

وإذا افترضنا أن الربيع قد التقى بأبي الشعثاء الذي توفي على الصحيح سنة 93 هـ . في آخر أيام حياته وهو في أول مرحلة الشباب المتعارف عليها وهي سن السادسة عشرة - وهذا الذي ينبغي أن نقدره - لأن هناك اعتبارات لوفاته تحتم علينا ألاّ نذهب إلى أكثر من الحدّ الأدنى لمرحلة الشباب ، وإلا لأصبح الربيع من المعمرين لأكثر من قرن ، ولو كان ذلك لذكر من قبل من أرّخ له إهتاما بمن شذّ عن المألوف لذلك غلب على ظن الباحث أن تكون ولادته في منتصف العقد الثامن من القرن الأول الهجري أي حوالي سنة 75 هـ . أو قبلها أو بعدها بقليل زمن الخليفة الأموي عبد الملك .

أما ماذكره الإمام السالمي في آخر الجزء الثاني من مسند الربيع بن حبيب والأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عمر إذ ترجم للربيع في إحدى تعليقاته على كتاب

(45) أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل بن هبيرة القرشي ، كان رأس علماء الإباضية بالمشرق بعد أبيه ، وكانت إقامته بمكة ثم انتقل إلى عمان وبها توفي في صحار يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر المحرم سنة 260 هجرية ، وينسب له من الكتب سيرته إلى أهل المغرب في خمسة وسبعين جزءا . انظر ترجمته : د . عمرو خليفة النامي . أجوبة ابن خلفون ، بيروت : دار الفتح 1974 م ، ص 112 .

(46) عبد الله بن حميد السالمي (ت 1332 هـ) حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . مرجع سابق ، ج : 1 . ص 1 - 5 .

قواعد الإسلام الجيطالي ، إن ما ذكراه من أن الربيع قد روى أحاديث عن عبادة بن الصامت ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي أيوب الأنصاري فمستبعد جدا - في نظر الباحث ... لأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم قد انتقلوا إلى جوار ربّهم قبل هذا التاريخ المقدّر لميلاده .

فعبادة[47] بن الصامت كانت وفاته سنة (34 هـ) . وأبو مسعود[48] الأنصاري سنة (40 هـ) وأبو أيوب[49] الأنصاري سنة (53 هـ) ، ولو أنّه قدر للربيع الرواية عن الصحابة لكان أولى أن يروي عمن عاصر طفولته وشبيبته المبكرة بالبصرة مثل أنس بن مالك شيخ شيخه أبي الشعثاء ، ولكان من صغار التابعين لا من تابعي التابعين .

ب - نسبه :

ينتسب أبو عمرو الربيع بن حبيب إلى بني فراهيد[50] بن مالك بن فهم بن غنم

(47) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري أحد النقباء بالعقبة ، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مرثد الغنوي ، شهد بدرا ومشاهد الرسول عليه الصلاة والسلام كلها ، وهو ممن جمع القرآن على عهد النبي عليه السلام ، مات رضي الله عنه بالرملة من أرض الشام سنة 34 هـ . وهو ابن 72 سنة . راجع ترجمته :
أ) محمد بن سعد . الطبقات الكبرى . مرجع سابق . مج : 3 ص 546 .
ب) ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة . مرجع سابق ج : 2 ، ص 268 .

(48) هو : عقبة بن عمرو بن ثعلبة البدري ، سكن بدرا ولم يشهدها خزرجي أنصاري ، شهد أحدا وما بعدها من الغزوات . قيل إنه مات بالكوفة وقيل بالمدينة سنة 40 هـ . انظر :
أ) ابن حجر العسقلاني . نفس المرجع ، ج : 2 ، ص 490 .

(49) هو : خالد بن زيد بن كليب ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير ، ونزل في بيته صلى الله عليه وسلم عند مقدمه من قباء إلى المدينة ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها ، كما شهد مع علي بن أبي طالب مقتلة النهروان ، وتوفي زمن معاوية سنة 53 هـ . غازيا لبلاد الروم ، وصلى عليه يزيد بن معاوية أمير الجيش وقتئذ . وقبره اليوم بإستنبول .
انظر ترجمته في : محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى . مرجع سابق . مج : 3 . ص 484 - 485 .

(50) انظر : سالم بن حمود السيابي : إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان بيروت : مطابع الكتاب الإسلامي ، 1384 هـ ، ص 92 .

ابن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود نبي الله عليه السلام .

ومنازل آل فراهيد هي الباطنة من ودام وما يليها من أعمال السّويق .

فالربيع إذن يماني الأصل ، عماني الموطن ، بصري المنشأ .

ج – أسرته :

لم تتحدث تلك المصادر التاريخية القليلة التي تناولت حياة أبي عمرو الربيع ابن حبيب – وجلها إباضية – عن المكانة الاجتماعية ، والمستوى الاقتصادي لأسرته ، ولا عن عدد أفرادها ، إلا ماكان من إشارة عابرة لأحد المؤرخين المعاصرين[51] إلى أن والده حبيب بن عمرو كان أحد تلامذة أبي الشعياء جابر ابن زيد ، ولمّا لم ينوه بعمله كما نوه بابنه الربيع فأغلب ظن الباحث أنه لم يكن من العلماء . وهناك أيضا إشارة من صاحب[52] كتاب السير إلى أن للربيع أخا بعثه بجهاز من البصرة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن[53] الرستمي بتيهرت ، غير أنه لم يذكر اسمه ومكانته الاجتماعية والعلمية ، وهل كان أصغر من الربيع أو أكبر .

(51) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية ، مرجع سابق ، ص 150 .

(52) راجع : أ) – أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي . مرجع سابق ، ص 21 .

ب – سليمان عبد الله الباروني . (ت 1940 م) . الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية ، لا . ت ، ص 164 .

(53) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني أئمة بني رستم ، تولى إمامة الإباضية بتاهرت بعد وفاة والده الإمام عبد الرحمن بن رستم أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب عن أبي عبيدة من النصرة وذلك سنة 171 هـ بعد أن اختير من بين السبعة الذين جعل الإمام عبد الرحمن ولاية أمر المسلمين في أحدهم ، وفي عهده ثار ابن فندين بالجزائر ، وخلف بن السمح على عامله بطرابلس ، وكانت مدة إمامته أربعين سنة وتوفي سنة 211 هـ .

راجع ترجمته في :

أ – سليمان عبد الله الباروني ، المرجع السابق ، ص 166 .

ب – محمد علي دبوز (ت 1981 م) . تاريخ المغرب الكبير . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963 م ، ج : 3 ، ص 138 وما بعدها .

والباحث من جانبه يرى أن هذا الأخ لا بد وأن يكون على مستوى ثقافي واجتماعي يتناسب وسفارته إلى الإمام الرستمي وهو من هو في مكانته العلمية والادبية والسياسية وقتئذ عند الإباضية بخاصة ومن عاصره من علماء المسلمين وحكامهم بعامة .

وأمّا أمه فهي الأخرى لم يعثر الباحث لها على ذكر بالرغم من إلحاحه الجادّ الشديد للحصول على معلومات حولها ، لعله ما للأم من دور خطير في تنشئة الأبناء التنشئة الصالحة ، وتوجيههم الوجهة المستقبلية السليمة ، إذ كان لوالدة الإمام مالك[54] بن أنس ذلك الأثر في تغيير طموحات ومقاصد ابنها الذي كان يعتزم أن يأخذ عن المغنيين ويصبح معنيا إلى طلب الفقه والعلم .

فقد روى ابن نباتة المصري نقلا عن تذكرة ابن حمدون من أن مالك بن أنس نفسه يقول في كهولته : «نشأت وأنا غلام فأعجبني الأخذ عن المغنيين ، فقالت أمي : يابني إن المغني إذا كان قبيح الوجه ، لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه . فتركت المغنيين ، وتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي ماترى»[55] .

وهناك غير أم مالك كثير من الأمهات اللائي كان لهن الفضل الأكبر في نجاح أبنائهن بفعل توجيهاتهن الرشيدة .

وإذا كان الباحث لم يقدّر له أن يحصل على معلومات كافية حول الحالة الاجتماعية لأسرة أبي عمرو الربيع بن حبيب ، ولم تسعفه النصوص التاريخية بالحديث عن والدته التي لا بدّ وأن كان لها دور هام في حياته ، فإنّه يستطيع أن يستشف من خلال ما تمثل في شخصية الربيع من صدق العزيمة ، وسمو المقصد ، ونبل الهدف ، وكريم

(54) مالك : هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ولد سنة (93 هـ) في المدينة المنورة ، وسمع كبار التابعين ، حتى أصبح إمام عصره ، كان ثقة جليلا ، يحب أهل العلم ، وكان على صلة بالليث بن سعد إمام مصر في عهده . له كتاب الموطأ ورسائل في الرّد على القدرية وفي تفسير غريب القرآن ، توفي سنة (179 هـ) بالمدينة انظر ترجمته في : أ) ابن حجر العسقلاني . تهذيب التهذيب . مرجع سابق ، ج : 10 ، ص 5 .

ب) أمين الخولي . مالك بن أنس . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، لا . ت . الكتاب كله .

(55) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون . ط . الموسوعات ، 1332 هـ . عن أمين الخولي ، نفس المرجع ص 49 .

الصفات ، وحسن السيرة ، والشغف بالعلم ومحبة العلماء ، والعطاء السخي للإسلام والمسلمين من الفكر النير ، والعمل الدؤوب الصالح ، أنّ الأسرة التي نشأ فيها ، وترعرع بين أحضانها ، وتربى على نهجها وطريقتها ، إنما هي أسرة أصيلة كريمة ، عريقة نبيلة ، عرفت شرف رسالتها في الحياة ، ورأت أن أقدس مقومات تلك الرسالة هو حسن تربية الأبناء ، والسهر على تنشئتهم التنشئة الصحيحة القويمة التي تتفق مع منهج الإسلام الحنيف روحا ونصا ، مستلهمة في ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم : «**كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته...**» (الحديث)[56] .

6 – نشأتـه

تنازع نشأة أبي عمرو الربيع بن حبيب قطران : عمان مسقط رأسه ، وموطن آبائه وأجداده ، والبصرة في العراق التي كانت – إذ ذاك – كما قال سالم ابن حمّود السيابي : «عمانية بأولئك الرجال الفطاحل ، فإنّ أهل عمان استوطنوا البصرة من أول تخطيطها ، فإن الركب الذين خرجوا مع عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا بالبصرة ، وزادوا لما صارت البصرة بصرة المهلب وهو عماني أزدي»[57] .

أمضى الربيع طفولته المبكرة والمتوسطة في موطنه الأصلي عمان ، وأخذ تعليمه الأوليّ في أحد كتاب بلدته ، ولربما اختلف كثيرا إلى مجالس الوعظ والإرشاد في المساجد ، وحلقات الدروس التي تعقد بين وقت وآخر للصلاة ، واستمع إلى مناقشات طلبة العلم ومشائخهم حول تلك القضايا التي اختلفت فيها الأمة الإسلامية

(56) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (256 هـ) . شرح البخاري بحاشية السندي . القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، لا . ت . ج : 1 . كتاب الجمعة ، ص 160 .

(57) سالم بن حمّود بن شامس السيابي . إزالة الوشاء عن أتباع أبي الشعثاء مرجع سابق . ص 40 .

بعد قضية التحكيم عقب معركة صفين ، في الثلثين الأخيرين من القرن الأول الهجري ، والتي حصرها الشهر ستاني[58] في أربعة أصول كبار :

أ – الصفات والتوحيد فيها .

ب – القدر والعدل .

ج – الوعد والوعيد .

د – السمع والعقل والرسالة والأمانة[59] .

كما استمع إلى رأي الإباضية ممثلا في رأي أبي الشعثاء جابر بن زيد فيها حيث كان حجتهم وإمامهم ومتبني الأصل القائم «على أنّ الخلافة أهم مرافق الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وهي بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثي ، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، **وإنما يجب أن يشترط فيها الكفاية المطلقة : الكفاية الدينية ، والكفاية الخلقية ، والكفاية العملية ، والكفاية العقلية** ، فإذا تساوت الكفايات في مجموعة من الناس أمكن أن تجعل الهاشمية ، أو القرشية أو العروبية من أسباب المفاضلة ، أو من وسائل الترجيح ، أما في غير ذلك فليس لها حساب»[60] .

إنّ اسم أبي الشعثاء ومكانته العلمية لم يكونا غريبين عن الربيع لأن والده كان أحد تلاميذه ، ولا بد أن يكون قد حدّثه بما كان يتمتع به جابر في المحافل العلمية والأوساط الفكرية من تقدير وسموّ مقام حتى يجعل لابنه من شيخه القدوة الحسنة ،

(58) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم ، ولد في شهر ستان بين نيسابور وخوارزم سنة 479 هـ ومن كتبه الملل والنحل في ثلاثة أجزاء مطبوعة . توفي عام 548 هـ في بلده .
انظر : أ) ابن العماد الحنبلي . مرجع سابق . ج : 4 ، ص 149 .
ب) – خير الدين الزركلي . مرجع سابق ، ج : 7 ، ص 83 .

(59) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . (ت 548 هـ) ، الملل والنحل . بيروت : مكتبة خياط . لا ت ، ج : 1 ، ص 7 .

(60) علي يحيى معمر (ت 1980 م) . الإباضية في موكب التاريخ . القاهرة مطابع دار الكتاب العربي ، 1964 م ، الحلقة الأولى ، نشأة المذهب الإباضي ، ص 63 .

والمثال المحتذى – سيما وأنه في مرحلة مايسمّى في التربية وعلم النفس بمرحلة (عبادة البطل) . لذلك لابد أن يكون الربيع قد اشتاق إلى البصرة التي كان بها أبو الشعثاء ومدرسته التي تخرج منها والده ، وبها تلاميذ أبي الشعثاء الذين بدأوا يتقاطرون على عمان للدعوة إلى مبادئ تلك المدرسة التي من أخطرها دعوة المسلمين إلى التمسك بشوروية الخلافة ، ومناهضة الذين حولوها إلى ملك عضوض ، وصولجان وراثي .

7 – تحول الربيع من عمان إلى البصرة لطلب العلم

لم تحدد المصادر والمراجع التي توفرت للباحث تلك السنة التي غادر فيها الربيع بن حبيب عمان – بعد أن تلقى تعليمه الأولي بها – متوجها إلى البصرة للالتحاق بمدرسة أبي الشعثاء إلاّ ماكان من قول بعض المؤرخين : «إنه حرج إلى البصرة لطلب العلم من رجالها الأجلاء ، وأصحابها العلماء»[61] . غير أنه يمكن للباحث أن يجزم بأن مجيئه إلى البصرة كان قبل سنة 93 هجرية التي توفي فيها شيخه أبو الشعثاء جابر بن زيد حيث أدركه قبل وفاته ، وأخذ عنه من العلم قليلا ، وروى عنه في المسند حديثا .

قال السالمي في مقدمة شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب : «أدرك الربيع جابر بن زيد ، والربيع شاب ، وقيل قلّ ما حمل عنه من العلم»[62] .

نزل الربيع البصرة في محلّة يقال لها (الحريبة) وكانت تعج بفطاحل العلماء ، من صغار الصحابة كأنس[63] بن مالك رضي الله عنه ، وكبار التابعين وصغارهم وتابعيهم

(61) سالم بن حمّود بن شامس السيابي السالمي . إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، مرجع سابق ، ص 4 .

(62) عبد الله بن حميد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . مصدر سابق ، ج : 1 ، ص 3 .

(63) أنس بن مالك بن النضر أنصاري خزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه . صح عنه أنه قال . قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وأمّه أم سليم أنت النبي عليه الصلاة والسلام حين قدم المدينة فقالت له : هذا أنس غلام يخدمك ، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه» ، فقال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالا وولدا ، ويقال إنه ولد له ثمانون ولدا منهم ثمانية وسبعون ذكرا وبنتان ، غزا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ثماني غزوات ، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ، سنة 93 هـ .
انظر ترجمته : ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق : ج : 1 ، ص 71 .

وتزخر بمجالس المناظرة والجدل ، ففيها الشيعة ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجئة ، وإلى جانب هذا وذاك سلطة مستبدة ترقب تلك الملل والنحل بجدية وحذر ، وتضرب بعصا من حديد على أيدي دعاة الإمامة العادلة ، والعودة بالمسلمين إلى زمن الخلافة الراشدة .

فالتحق أبو عمرو الربيع بن حبيب بمدرسة التابعي الشهير شيخ والده جابر ابن زيد الذي كان قد نفاه – في تلك الفترة القريبة من مقدمه – إلى عمان مع صديقه الحميم وأحد أعوانه المخلصين (هبيرة القرشي) جد سفيان بن محبوب بن الرحيل – الحجاج[64] بن يوسف الثقفي بعد ماسجنه مع بعض تلاميذه المشهورين كضمام بن السائب ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كرية التيمي ، وصحار العبدي . وظل هؤلاء الأخيرون في السجن حتى وفاة الحجاج سنة 95 هـ .

وبذا يكون الربيع قد تلقى دروسه عند مقدمه إلى البصرة من الإمام جابر ابن زيد مباشرة ، غير أنه لم تطل ملازمته له لانتقاله إلى الرفيق الأعلى كما أسلفنا ، ولذلك قيل : «قل ماحمل من العلم عنه» ، وفي رواية أخرى : «وروى – أي الربيع في شبابه عن جابر قليلا»[65] .

لقد رأى الربيع في أول عهده بالبصرة مالاقاه ويلاقيه أبو الشعثاء وتلاميذه وأتباعه وغيرهم من العلماء . كالحسن البصري ، من عنت الحجاج بن يوسف الثقفي وجبروته ، وقسوة أعوانه وشدتهم ما ملأ نفسه كراهية لأولئك الحكام المستبدين وجعله كله عزما وتصميا لمناهضتهم ، والسير على منهج شيخه أبي الشعثاء وأتباعه للعودة بالمسلمين إلى نظام الشورى والاختيار الحر في الحكم . إلا أنه سلك – فيما يبدو –

(64) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي : قائد داهية ، سفاك خطيب ، ولد سنة 40 هـ ونشأ بالطائف ، لحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان من شرطته ، ثم مازال يظهر حتى عينه عبد الملك قائد عسكر لقتال ابن الزبير فقتله ، ورمى الكعبة المشرفة بالمجانيق وفرق جموعه ، فولاه عبد الملك الحجاز ، ثم أضاف إليه العراق ، فكانت ولايته عشرين سنة . مات بواسط التي أسسها بين الكوفة والبصرة عام 95 هـ انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام . مرجع سابق ج : 2 . ص 175 .

(65) محمد بن يوسف اطفيش (ت 1332 هـ) تكملة خارجه عن المدونة بعد ترتيبها ورتبة مخطوطة مصورة ، ص 1–6 .

طريقه[66] شيخيه أبي الشعثاء وأبي عبيدة مسلم في تجنب أي احتكاك معاد مع السلطة طيلة تلقيه للدراسة ، إذ أن كل المصادر التي بين يدي الباحث والتي تحدثت عنه لم تشر إلى اضطهاده ، أو إصابته بأذى ، مما جعله يتفرغ إلى تحصيل العلم في شغف ويتوجّه إلى أخذ الحكمة من أوعيتها في لهفة ، يدعمه حسن الا ستعداد والصبر والعزم والتصميم ، حتى صار بذلك علما من أعلام الفكر ، ورائدا من رواد الحديث ، وراوية من رواة السّنة ، وعالما من علماء الفقه مما جعل أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهو من أكبر شيوخه بعد أبي الشعثاء يقول عنه : «فقيهنا وإمامنا وتقينا وأميننا ، وثقتا»[67] ... ذلك هو الطالب أبو عمرو الربيع بن حبيب ... فمن هم شيوخه ؟ .

(66) انظر : عوض خليفات . نشأة الحركة الإباضية . عمّان : مطابع دار الشعب ، 1978 م ص 16 وما بعدها .

(67) أ – أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 276 .

ب – سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية . مرجع سابق ، ص 151 .

الفصل الثاني
من الباب الثاني

شيوخ أبي عمرو الربيع بن حبيب

☆ مقدمة الفصل

☆ ذكر شيوخ روى عنهم الربيع ورووا عن جابر بن زيد ولم تصلنا رواياتهم في مسنده .

☆ تراجم لبعض مشايخ الربيع الذين كانوا أكثر تأثيرا في تكوينه العلمي والاجتماعي والسياسي .

شيوخ أبي عمرو الربيع بن حبيب

مقدمة الفصل :

لم يقتصر الإمام أبو عمرو الربيع بن حبيب في تلقيه رواية الحديث والفقه على أئمة مشائخ أهل الدعوة بالبصرة ، ولكنه ظل يتنقل بين حلقات الدروس لمشائخ غيرهم من علماء الأمة على عادة من كان قبله ومن عاصره من طلبة العلم : كأبي حنيفة ، ومالك بن أنس الذي قيل عنه : «إنه روى عن تسعمائة رجل»[1] .

وفي هذا الفصل سيذكر الباحث أولئك الأشياخ الذين أخذ عنهم الربيع الحديث ولم يرو لهم شيئا في مسنده ، ومن روى عنهم المسند . ويخص أربعة منهم فقط بالترجمة لهم لما كان لهم عليه من تأثير كبير في تكوينه الفكري والاجتماعي والسياسي ، وهؤلاء هم :

1 – أبو الشعثاء جابر بن زيد .
2 – أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة .
3 – ضمام بن السائب .
4 – أبو نوح صالح الدهان .

أولا : شيوخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده

تتلمذ أبو عمرو الربيع بن حبيب على عدد من المشائخ قد ذكرهم أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي في كتابه (السير) فقال : «وسأذكر أشياخا يروي عنهم

(1) سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، ط . الموسوعات ، 1321 هـ ، ص 187 عن أمين الخولي . مالك بن أنس ، دار الكتب الحديثة . لا . ت . ص 49 .

الربيع ويروون عن جابر لكنهم مجاهيل ما رأيت من عرف بهم ، منهم : يحي بن أبي قرة ، وعباس بن الحارث ، وقتادة وسعيد ، وعبد الله بن الحارث ، والوليد ابن يحي ، وسري بن سالم ، وكعب بن سوار ، ويحي بن نافع ، والحبيب بن أبي الحبيب ، وعمرو بن هرم ، ومحارب بن يزيد ، وأبان بن يزيد ، وابن جريج ، وضام بن يحي ، وعمرو بن أبي قرة ، وسلام بن مسكين ، وعمار بن حبيب ، وأبو خليل ، وأبو عوانة بن جعفر ، وإلياس ، وخداش ، وابن عبد الحميد ، وحماد بن سلمة ، والقاسم بن الفضل ، وحسان العامري ، وأمّا جابر بن عمارة فمن شيوخ أهل الدعوة[2] بصري ، وإن عده أبو يعقوب[3] في المجاهيل ، وكذا أبو المهاجر الكوفي ، وإسماعيل بن القديد ، وأبو محمد عبد الرحمن بن مسلمة المدنيان ، وعبد السلام بن عبد القدوس رحمهما الله»[4] .

تلك هي قائمة الأشياخ الذين روى عنهم الربيع ورووا عن شيخه أبي الشعثاء ، وقد وصفهم الشماخي بأنّهم مجاهيل ما رأى من عرف بهم ، ولعل لأبي العباس الشماخي هذا عذره فيما ذهب إليه من وصف هؤلاء الأشياخ كلهم بالمجاهيل – وإن كان الواقع لايؤيد ما ذهب إليه بالنسبة لعدد من هؤلاء المذكورين بالقائمة : قتادة وكعب بن سوار ، وعمرو بن هرم وعماد بن سلمة وغيرهم – ، فهو ما رأى من عرّف بهم فيما تناولته يداه ، ووقع عليه بصره من المراجع والكتب التي لاشك أنها كانت محدودة جدا في زمانه إلى جانب صعوبة الاتصال بأماكن المخطوطات والمطبوعات التي يمكن أن يجد الباحث فيها بغيته ، والأصعب من هذا وذاك أن أسماء بعض هؤلاء الأشياخ جاءت مجردة من

(2) يقصد بأهل الدعوة : الإباضية إذ كانوا يسمون بذلك قبل أن ينسبوا إلى زعيم الحركة السياسي عبد الله بن إباض تلميذ أبي الشعثاء جابر بن زيد وإن كان يكبره سنا .

(3) أبو يعقوب : هو يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني مرتب مسند أبي عمرو بن حبيب ، فقيه فلكي وفيلسوف شاعر ، له مؤلفات عدة من أشهرها الدليل والبرهان ، كانت وفاته سنة 570 هـ .
انظر ترجمته : أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) ، طبقات المشائخ في المغرب . (تحقيق : إبراهيم طلاي) . قسنطينة : مطبعة البحث ، لا . ت . ج : 1 . ص 491 – 495 .

(4) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي . (ت 928 هـ) السير القاهرة مطبعة الأزهار البارونية . لا . ت . ص 121 – 122 .

الدعوة لآبائهم وكناهم وألقابهم ولايستطيع أيّ باحث أن يهتدي إلى حالهم من الجرح والتعديل أو للتعريف بهم مثل : قتادة ، وسعيد ، وأبو خليل وإلياس ، وخداش . اللهم إلا إذا كانت للإمام الربيع رجعة إلى الحياة الدنيا فيسأل عنهم ، وهذا مستحيل . ولذلك سيظل هؤلاء مجهولين ما دامت أسماؤهم مجردة ، ولا أحد يدعي التعريف بهم ، واللائمة ستنحى دائما على الشخص الأول الذي سجل هذه الأسماء المجردة .

ثانيا : شيوخ روى عنهم الربيع في مسنده

لم تتضمن تلك القائمة التي وافانا بها أبو العباس الشماخي صاحب كتاب السير بأسماء أشياخ أبي عمرو الربيع بن حبيب ذكر من روى عنهم الربيع في مسنده ، وقد تعمّد إهمال ذكرهم مكتفيا بذكر أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم لهم حيث قال : «وأمّا رجال حديث مسند الربيع فقد ذكرهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم ، فلا أتعرض لذكرهم»[5] .

فإذا كان عمل أبي يعقوب هذا كان موجودا – على مايبدو – زمن الشماخي فهو اليوم غير موجود معنا ، وما أكثر ماجدّ الباحث للحصول عليه فلم يوفّق ، لذلك تحتم عليه ذكر أولئك الأشياخ الذين روى عنهم أبو عمرو الربيع بن حبيب في مسنده ، وهم : أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهذان الشيخان هما عمدة أبي عمرو الربيع بن حبيب في مسنده المتداول بيننا ، وضام بن السائب ، ورواية الربيع عن ضام هذا قد اعتنى بجمعها – كما يقول السالمي – الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة[6] في غير هذا المسند المتداول الذي لم يرو فيه الربيع عن ضام غير ثلاثة أحاديث وهي :

(5) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(6) أبو الربيع بن حبيب (ت حوالى 170 هـ) . الجامع الصحيح مسند الربيع ابن حبيب . (تصحيح ح عبد الله بن حميد السالمي) بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، 1388 هـ ، ج : 1 . ص 4 .

1 – حديث في باب ما يجب منه الوضوء ومالا يجب ونصه : (أبو عبيدة عن ضمام ابن السائب قال : بلغني عن ابن عباس يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **«ليس على من مسّ عجم الذّنب وضوء ، ولا على من مسّ موضع الإستحداد وضوء»**[7] .

2 – حديث في باب ما يجوز من النكاح وما لايجوز وهو : (قال الربيع قال ضمام ابن السائب عن جابر بن زيد عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بخالته ميمونة[8] بنت الحارث وهو محرم)[9] .

3 – حديث في باب الضيافة والجوار وما ملكت اليمين واليتيم ونصه : (أبو عبيدة عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **«من آوى يتيما لله وقام به احتسابا لله وقع أجره على الله والله لايضيع أجر من أحسن عملا»**[10] .

ومن مشائخ الربيع أيضا : عبد الأعلى بن داود ، ويحيى بن كثير .

ويمكن للباحث أن يجعل دليله في اختيار من يترجم لهم من بين هؤلاء الأشياخ ماقاله الربيع نفسه عن مشائخه ، فقد جاء في كتاب الطبقات : «وكان الربيع إذا سئل عن مسألة فقيل يا أبا عمرو ممن سمعت هذه المسألة ؟ فيقول : إنما حفظت الفقه عن ثلاثة : عن أبي عبيدة وأبي نوح ، وضام»[11] .

لاشك أن هؤلاء الثلاثة هم الذين لازمهم أبو عمرو أكثر من غيرهم مدة مكّنته من استيعاب فقههم والتأثر بآرائهم واتجاهاتهم ، لذلك سيكتفي الباحث بالترجمة لهم بالإضافة إلى ترجمة لشيخهم جميعا وإمام مذهبهم التابعي الكبير ألا وهو :

(7) نفس المصدر ، ص 34 .

(8) قوله : بخالته ميمونة أي خالة ابن عباس أخت أمه لبابة بنت الحارث .

(9)) نفس المصدر ، ص 140 .

(10) نفس المصدر ، ح : 2 . ص 181 .

(11) أ – أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق . ج : 2 . ص 276 .
ب – سالم بن حمود بن شامس السيابي السائلي . إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء . (تحق : سيدة إسماعيل كاشف) . القاهرة : مطابع سجل العرب ، ص 41 .
ج – سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية . لبنان وسوريا : دار اليقظة . لا . ت . ص 152 .

أ – أبو الشعثاء جابر بن زيد :

أبو الشعثاء جابر بن زيد الجوفي من ولد عمرو بن اليحمد فرع من قبيلة أزد عمان ، وكني بابنته الشعثاء التي توفيت بعمان ، وقبرها موجود ومعروف إلى الأن ببلدة الفرق القريبة من نزوى العاصمة الثانية لعمان .

ولد أبو الشعثاء بفرق[12] زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلا أن سنة ميلاده مختلف فيها ، فقيل : إنه ولد سنة (18 هـ)[13] ، وقيل سنة(21 هـ)[14] ، وقيل سنة 22 هـ .

تلقى المرحلة الأولى من تعليمه في وطنه عمان ، ثم ارتحل مع أسرته إلى البصرة التي كانت آنذاك أهم مركز فكري في العالم الإسلامي ، واستقر بين أقاربه من الأزد الذين سكنوا أحد أحياء البصرة»[15] م ولم تعرف السنة التي قدم فيها البصرة .

وقد تتلمذ جابر على كثير من الصحابة وكبار التابعين ، فقد قال أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عنه : «روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعكرمة ، وغيرهم»[16] وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أخذ عن : أنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعا وغيرهم كثير . فقد أخبر جابر عن نفسه أنه أدرك سبعين بدريا فحوى ما عندهم من العلم إلا البحر[17] ، وكان يقصد بالبحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(12) نفس المصدر ، ص 95 .

(13) أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ت٠٠٠) الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات . القاهرة 1884 م ص 155 .

(14) أ – محمد يوسف طفيش (ت 1332 هـ) شرح عقيدة التوحيد . لا . ب : مطبعة حجرية ، 1326 هـ ص 133 .
ب – علي يحيى معمر (1980 م) ، الإباضية في موكب التاريخ . القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي ، 1964 م ، الحلقة الأولى . ص 143 .

(15) عوض خليفات . نشأة الحركة الإباضية . عمّان : مطابع دار الشعب 1978 م ص 86–87 .

(16) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ) . تهذيب التهذيب . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية 1335 هـ ج : 2 ، ص 38 .

(17) لم يكن عبد الله بن عباس ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاستثناء هنا منقطع .

قال صاحب الإباضية في الموكب : «وإذا استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من جهد وذكاء أن يجمع علم سبعين بدريا فإنه ليس غريبا أن يكون جمع من علم بقية الصحابة رضوان الله عليهم مالا يبلغه الحصر لكثرة عددهم وسهولة الأخذ عنهم»[18] .

وقد ساعده على ذلك كثرة تنقله بين البصرة والمدينة ومكة ، فقد قيل عنه : إنه حج أربعين حجة[19] مما جعله يتصل بجم غفير من علماء الصحابة وكبار التابعين ، إلا أنه كان أكثر ملازمة لعبد الله بن عباس ، وكان هذا يعده من أنجب تلاميذه وأعلمهم ، حتى أنّه يقول لسائليه من أهل البصرة . «كيف تسألوني وفيكم جابر بن زيد أو أبو الشعثاء ؟!»[20] . وفي رواية أخرى أنه كان يحيل سائليه إلى تلميذه جابر ويقول : «سألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه»[21] . ويقول عنه أيضا : «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله»[22] . وروى البخاري في تاريخه الكبير عن الفضل بن موسى عن ابن عقبة عن الضحّاك عن جابر بن زيد قال : «لقيني ابن عمر فقال : ياجابر ! إنك من فقهاء البصرة ، وستستفتى فلا تفتينّ إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية»[23] .

هذا ولم يكتف أبو الشعثاء جابر بن زيد بالرواية الشفهيّة من أولئك الصحابة العلماء وممن عاصره من كبار التابعين كمكحرم مثلا ، بل كان يسجّل الأحاديث التي سمعها ، والفتاوي التي كان يتلقاها عنهم ، حتى إنه استطاع أن يؤلّف كتابا ضخما سماه (الديوان) ضمّنه تلك الأحاديث التي رواها ، وأودع في صفحاته آراءه

(18) علي يحي معمر . الإباضية في موكب التاريخ . مرجع سابق ، الحلقة الأولى . ص 144 .
(19) محمد بن يوسف اطفيش . شرح عقيدة التوحيد ، مرجع سابق ، ص 134 .
(20) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني . (ت 430 هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ج : 3 . ص 85 – 86 .
(21) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 205 .
(22) أبو نعيم الأصبهاني . نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(23) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) «التاريخ الكبير» (مراقبة : محمد بن عبد المعيد خان) . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1977 م ، ج : 1 – قسم 2 ، ص 204 .

وفتاويه في كثير من أمور العقيدة ، وقضايا مجتمعه ونوازله ، ويقال : إنّ ديوانه ذلك كان من الضخامة بحيث يعجز عن حمله البعير ، ويقع في عشرة أجزاء كبيرة[24] . وكانت نسخة منه في إحدى مكتبات بغداد الكبرى في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد .[25]

وذكر الوسياني[26] أن نسخة من الديوان قد بقيت بعد موت جابر في حوزة خليفته أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، ثم توارثها أئمة الإباضية في البصرة»[27] .

وجاء من طريق أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي[28] أن ديوان جابر كان في حوزة أبي عبيدة ثم في حوزة الربيع بن حبيب ، وبعده صار في حوزة أبي سفيان محبوب ، ثم في حوزة ابنه محمد بن محبوب ومنهم نقل إلى مكة»[29] .

وأظنه من المفيد أن نذكر أن كلمة الدّيوان هنا تستعمل من قبل المؤرخين الإباضيين بمعنى مجموعة كتب ، وليس كتابا معينا»[30] .

ويروى أن أبا الفرج نفاث بن نصر أحد علماء جبل نفوسة في القرن الثالث الهجري استطاع أن يستنسخ نسخة من ديوان جابر في بغداد وأتى به إلى ليبيا ولم يمكّن أحدا من الاطلاع عليه أو نقله ، لحقده الدفين على الإمام أفلح بن عبد

(24) محمد علي دبوز (ت 1981 م) . تاريخ المغرب الكبير . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963 م ، ج : 3 . ص 144 .
(25) عمرو خليفة النامي . دراسات في الإباضية . دكتوراه من جامعة كبردج باللغة الإنجليزية . سنة 1971 م ، ص 146 .
(26) الوسياني : هو أبو سليمان بن عبد السلام الوسياني ، ذكره الدرجيني من الطبقة الثانية عشرة . 550 – 600 هـ ، وقال عنه : «أحد شيوخ الحلق الكبار ، الحافظ للسير والآثار ، المروي عنه التواريخ والأخبار لم تفته سيرة أهل الدعوة في كل الأعصار ...» انظر : الدرجيني . مرجع سابق ، ج : 2 . ص 513 .
(27) عوض خليفات . المرجع السابق ، نفس الصفحة . عن الوسياني . ورقة 61 .
(28) السوفي : ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الحادية عشرة (450 – 500 هـ) وقال عنه «هو في المذهب من أحد الأعلام ، الكاشف بحسن بيانه ، ونور منطق لسانه دياجي الظلام ، المغني في العلوم لا سيما علم الكلام ، المجاحش المدافع عن كلمة الإسلام .... انظر : الدرجيني . نفس المرجع . ج 2 ، ص 483 .
(29) و (30) عمرو خليفة النامي . دراسات الإباضية . مرجع سابق ، ص 147 .

الوهاب الرستمي وعلى عامله على قطرارة (قيجي اليوم) وقتئذ سعد بن أبي يونس الظهراوي فأخفاه وغيّب التراب.[31] والذي تجدر الإشارة إليه أن حاجّي[32] خليفة قد ألمح في كتابه كشف الظنون[33] إلى ديوان جابر بن زيد ولكنه لم يعط عنه أية تفصيلات، ولم يشر إلى المصدر الذي استقى منه معلوماته حول هذا السفر الضخم.

وبهذا كان أبو الشعثاء من أوائل روّاد حركة التدوين للسنة النبوية الشريفة والفقه الإسلامي، وبذلك كانت الإباضية - كما قال الدكتور عوض خليفات - أول المدارس الإسلامية عنيت بتدوين الحديث»[34]. ولهذا أيضا صار جابر بن زيد من أبرز كبار التابعين في علم الحديث والتفسير والعلوم الدينية بصورة عامة. وتخرّج على يده - في البصرة - كثير من علماء صغار التابعين، وكبار تابعي التابعين نذكر منهم على سبيل المثال:

أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وأبا نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج، والربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، وعمرو بن دينار، ويحيى بن مسلم، وعمرو بن هرم، وأيوب السختياني وهو الذي قال في حق أبي الشعثاء لما سئل عنه: كان لبيبا لبيبا.[35]

(31) أ - أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، (ت 471 هـ): أخبار الأئمة وأخبارهم، (تحق: إسماعيل العربي)، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1979 م، ص 92 - 96.

ب - سليمان عبد الله الباروني (1940 م): الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القاهرة: مطبعة الأزهار الباروني، ج 1، ص 206 - 209.

(32) حاجي خليفة: هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، تركي الأصل مستعرب، مؤرخ بحاثة، وله بإستانبول سنة 1017 هـ/ الموافق 1609 م، تولى أعمالا كتابية في الجيش العثماني، وانقطع في آخر حياته إلى تدريس العلوم، ومن كتبه كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون وهو أنفع وأجمع ماكتب في موضوعه بالعربية، توفي بالقسطنطينية سنة 1957 م. راجع ترجمته في: خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة الثالثة: بيروت 1969 م، ج: 8، ص 138 - 139.

(33) حاجي خليفة (ت 1657 م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: مكتبة المثنى، لا. ت، مج 1، ص 781.

(34) عوض خليفات، مرجع سابق، ص 89.

(35) محمد بن سعد (ت 230 هـ): الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، 1958 م، مج: 7، ص 18.

دور أبي الشعثاء في تنظيم حركة أهل الدعوة من المحكمة:

لا يستطيع الباحث أن يحدثنا - على وجه الدقة - متى بدأ أبو الشعثاء جابر ابن زيد دوره القيادي لفرقة أهل الدعوة من المحكمة القعدة بعد قضية التحكيم وانقسام أنصار علي رضي الله عنه على أنفسهم، وإن كانت هناك إشارات من بعض مؤرخي[36] الإباضية المحدثين إلى أنه تولى زعامة الحركة بعد وفاة عبد الله بن وهب الراسبي في معتقلة النهروان مباشرة، إلا أنّ هذه المعلومات يعوزها الدليل المادي العلمي وليس بمستطاع الجزم بصحتها ولا الإعتماد عليها، لأن أبا الشعثاء وقتئذ كان لا يزال شابا صغيرا يتراوح عمره بين السادسة عشرة والعشرين سنة فقط، وهذه السن لا تخوله - إطلاقا سواء من الناحية العلمية أو الخبرة العملية - أن يتولى قيادة فرقة من الأمة في أدق الظروف وأخطرها من الناحيتين السياسية والفكرية. ثم إنه - بالإضافة إلى ذلك - لا يملك أي دليل على أن جابر بن زيد كان ذا علاقة مباشرة مع عبد الله بن وهب الراسبي أو أنه اشترك في معركة النهروان، ومع ذلك فإن الباحث باعتماده على المعلومات الواردة في المصادر الإباضية يستنتج أن جابر بن زيد قد انظم إلى أهل الدعوة زمن ولاية عبيد الله بن زياد على العراق (57 - 64 هـ)، إذ كان يصلّي الجمعة في المسجد الجامع بالبصرة خلف ابن زياد[37]، حتى إن والد الربيع بن حبيب - وهو أحد تلاميذه كما سبقت الإشارة إليه - كان يعتب عليه حضور الصلاة خلف الجبابرة كابن زياد والحجاج فيقول جابر: «إنها صلاة جامعة وسنة متبعة»[38]، ولعل ذلك منه إمعان في الحفاظ على سرّية معتقده وإبعاد التهمة عنه.

وفي رواية لأبي سفيان محبوب بن الرحيل، أن أبا سفيان قبر أحد شيوخ

(36) أ - علي دبوز، مرجع سابق، ج 3.

ب - عوض خليفات، نفس المرجع، ص 90.

(37) راجع: عوض خليفات. نفس المرجع، ص 91.

(38) سالم بن حمد الحارثي، مرجع سابق، ص 97.

أهل الدعوة قد أخذه عبيد الله بن زياد وجلده ليدل على أحد المسلمين (الإباضية) فلم يفعل وقال جابر بن زيد : «وكنت قريبا منه ، وماكنت أنتظر إلا أن يقول : هذا هو فعصمه الله»[39] .

وهناك بعض روايات[40] تجزم على أن أبا بلال مرداس بن جدير لم يخرج كزعيم للشراة زمن ابن زياد إلا بمشورة أبي الشعثاء جابر بن زيد وموافقته له ، وهذا مما يؤكد تولي جابر ابن زيد تنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية) منذ ذلك الحين .[41]

ولما كان أبو الشعثاء قد وظّف نفسه لنشر تلك المبادئ التي نادى بها سلفه من الذين قتلوا في النهروان والنخيلة وغيرهما من المواطن ، والتي من بينها دعوة المسلمين للرجوع إلى شوروية الخلافة ، ومناهضة الحكام المتجبرين الذين حولوا الإمامة إلى ملك كسروي عضوض ، واعتبار هذه الخلافة أهم مرافق (مؤسسات) الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وتطبيق أحكام الكتاب العزيز ، وهي بهذا الوصف لايمكن أن تخضع لنظام وراثي ، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وإنما يجب أن يشترط فيها الكفاية المطلقة ، الدينية ، والخلقية ، والعملية والعقلية . فإذا تساوت هذه الكفايات في عدد من الأشخاص أمكن أن تجعل الهاشمية أو القرشية أو العروبة من أسباب المفاضلة ، أو من وسائل الترجيح .[42]

لما كان جابر بن زيد وظّف نفسه لنشر تلك المباديء فقد انتهج أسلوبا يمكّنه من تحقيقها تمثّل في أربعة خطوط رئيسة وهي :-

1 - اجتناب أيّ احتكاك أو صدام معاد مع الحكام الأمويين ، والإبقاء على علاقة حسنة معهم ، مما جعله لايتعرض لأي أذى من قبل ابن زيأد - وبالرغم

(39) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي ، مرجع سابق ، ص 93 .
(40) عوض خليفات . نفس المرجع ، ص 92 .
(41) عوض خليفات . نفس المرجع ، ص 92 .
(42) راجع : علي يحيى معمر . الإباضية في موكب التاريخ . مرجع سابق . الحلقة الأولى . ص 63 .

من أنّ بعض أعضائه لقي عنتا كبيرا منه ، وكانت علاقته مع الحجاج بن يوسف في البداية وديّة بفضل مساعي كاتبه يزيد بن مسلم الذي كان صديقا حميما لجابر ، فقد استطاع هذا أن يحببه إليه ، ويدرأ عنه شره ، ويخصص له راتبا شهريا مناسبا ، كما عرض عليه منصب القضاء ، إلا أنه رفض ذلك بحجة عدم القدرة على تحمل أعباء هذا المنصب الخطير ، وقال : «إني ضعيف» ولما سأله الحجاج عن سبب ضعفه ؟ أجاب : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما . قال الحجاج : إن هذا لهو الضعف»[43] .

2 - عدم اقتصار دعوته عن أتباعه في البصرة ومن كان موجودا بها ، بل تعدتها إلى الأمصار الإسلامية الأخرى ، حيث كان يبعث بالدعاة إلى مختلف المناطق ، مما جعله يكسب عددا من الأتباع ممّن تولوا - فيما بعد - مراكز المسؤولية[44] دون علم السلطات بمعتقدهم ، كالنعمان بن مسلمة الذي كان واليا في بعض مناطق خراسان ، ويزيد بن يسار الذي عيّن عاملا للأمويين على عمان ، فأرسل إلى جابر يستشيره في ذلك ويطلب نصائحه وإرشاداته .

3 - احتضان مدرسته لكل من يقبل على دروسه من الطلبة سواء أكانوا أعضاء في الحركة أم لم يكونوا[45] ، وبذلك نجد قد تتلمذ عليه كثير من علماء الأمة الذين ليسوا من أهل الدعوة : كقتادة بن دعامة السدوسي ، وعمرو بن دينار ، وأيوب السختياني ويعلى بن مسلم ، وعمرو بن هرم وغيرهم كثير ، وذلك ليوهم السلطات أنه لايعمل لتوجيه فئة معينة إلى غايته .

4 - حرصه الشديد على سرّية التنظيم ، وكتمان أسماء أفراد المنظمة من أن تعرف لدى الحكام ، لذلك اتخذ موقفا صارما وصلبا إزاء كل من دلّ على أتباعه ، أو أفشى سرّهم ، كما فعل (بخردلة) . فقد جاء في كتاب شرح عقيدة التوحيد للشيخ محمد بن يوسف طفيش : «أتى شاب أبا الشعثاء جابرا فقال : أي

(43) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 211 .
(44) عمرو خليفة النامي . دراسات في الإباضية . رسالة دكتوراه باللغة الإنجليزية . فصل جابر بن زيد .
(45) نفس المصدر . نفس الفصل .

الجهاد أفضل ؟ قال : قتل خرذلة ، والشاب لا يعرف خرذلة ، فأراه رجل إياه في المسجد ، ووضع يده عليه لئلا يخطئه ، فضربه بين كتفيه ضربة بخنجر مسموم وأخذ فقال له الوالي : قد علمت أنك لم تفعل هذا من نفسك وإنما أمرك . فدلني على من أمرك وتماه ، فقال (أي الشاب) دع عنك هذا فاقتله ، وكان خرذلة قد سعى بجملة من المسلمين (أي أتباع جابر) فقتلوا»[46].

ومما يدل على شدة حرص أبي الشعثاء لكتمان أموره أنه إذا بعث برسالة إلى أحد أصدقائه ومن كان على رأيه يوصيه بالألا يذيع ما جاء فيها ، وأن يكون على حذر من أن يناله أحد أعوان الحكم . من ذلك رسالته إلى الحارث بن عمرو أحد أتباعه الأوائل بالكوفة زمن ابن زياد التي قال فيها : «اعرف - أصلح الله أمورك - أنك في أرض لا أرغب أن تذكر اسمي فيها ، ولذا لاتذع شيئا مما كتبت إليك» .[47] وفي رسالته إلى عبد الملك بن المهلب قال : «اكتب لي بما تحتاجه ، وابعث إلي سرا مع من تثق فيه ، لأنه كما تعلم أنت موقفنا وما نخشاه من الذين يبحثون عن أسباب للضرر بنا ، لهذا لا نجازف مجازفة قد تهلكنا - أصلح الله أمرك» .[48] وفي رسالة أخرى يصف له أحوال الأمراء مجاهم فيقول : «كما تعلم أنت أحوال الأمراء (مجاهنا) محن نخافهم ، وهم يبحثون عن أسباب وأدلة لضررنا»[49].

كل تلك المعلومات تزيدنا أن جابرا استطاع أن ينجو بنفسه وحركته وسط خضم من المخاوف والأهوال . وإن كان قد عصه في آخر أيام حياته الحجاج بن يوسف بنابه بعدما ساءت العلاقة بينه وبين زعماء الأسرة المهلبية الذين كانوا حصنا حصينا لزعيمهم الروحي أبي الشعثاء . حيث نفاه مع صديقه ، وأحد مشايخ أهل الدعوة هبيرة الفرشي إلى

(46) محمد يوسف طفيش . شرح عقيدة التوحيد . مرجع سابق . ص 140.

(47) و (48) عمرو خليفة النامي . دراسات في الإباضية . مرجع سابق . وفصل جابر بن زيد .

(49) نفس المرجع . نفس الفصل .

عمان[50] ، إلاّ أنّ مدة نفيه لم تطل لإحتمال تدخل صديقه الوفي يزيد بن مسلم كاتب الحجاج لصالح أبي الشعثاء ، فعفا عنه ، وعاد إلى البصرة ثانية ، وسار على طريقته دون تردد أو توقف ، إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد جهاد طويل مرير في سبيل الله ودعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونشر لتعاليم الإسلام عن طريق حملة العلم ، وتفسير لكتاب الله ، وتدوين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآراء الصحابة والتابعين في موسوعته الكبرى ، وتحميل أتباعه أمانة السير على نهجه ، وافاه أجله سنة 93 هـ على أصح الأقوال وأرجحها والتي جاءت من طريق رواية أخص تلاميذه أبي عبيدة مسلم ، وأشهر رجالات الحديث كأحمد بن حنبل والبخاري ، ولما بلغ خبر موته الصحابي الجليل خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «مات أعلم من على ظهر الأرض ، أو قال : مات خير أهل الأرض»[51].

وفي كتاب الزهد لأحمد بن حنبل : لمّا مات جابر بن زيد قال قتادة : «اليوم مات أعلم أهل العراق»[52] . وكانت وفاته رحمه الله في الأسبوع الذي توفي فيه الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه ، وخلفه في قيادة أهل الدعوة تلميذه الأكبر أبو عبيدة مسلم .

2 - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[53] :

أ/ نسبه ومولده :

أبو عبيد : هو مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء . فقد ذكر الجاحظ أنّه مولى

(50) أ - سالم حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية . مرجع سابق ، ص 102.
ب - عوض خليفات . مرجع سابق ، ص101 .

(51) الدرجيني : الطبقات . مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 205.

(52) ابن حجر العسقلاني . التهذيب ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 38.

(53) راجع ترجمته في :
أ - الدرجيني . الطبقات ، ج : 2 . ص 238 - 246 .
ب - الشماخي . السيرة . مرجع سابق ، ص 83 - 86 .

لعروة بن أدية التميمي أخ مرداس بن أديّة[54] . وكني بابنته «التي كان لها آثار وأخبار فيما يتعلق بالنساء»[55] .

ولد بالبصرة إلا أنه لم تعرف سنة ميلاده ، وقد ذكره الدرجيني أنه من علماء الطبقة الثالثة التي حدد فترتها من (100 – 150 هـ)[56] إلا أن هناك رواية تثبت وجوده عام 58 هـ [57] زمن معاوية بن أبي سفيان .

وذكر السالمي أنّ أبا عبيدة أدرك من أدركه جابر بن زيد من الصحابة ، وبذلك تكون روايته عن جابر رواية تابعي عن تابعي .

ب) شيوخه :

يعتبر أبو عبيدة من أبرز وأعظم من خرجتهم مدرسة أبي الشعثاء جابر بن زيد إلى جانب أنه – كما ذكر السالمي – قد أدرك من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدركه شيخه أبو الشعثاء .

فقد روى الحديث عن جابر بن عبد الله (ت 78 هـ) وأبي هريرة (ت 57 هـ) وعبد الله بن عباس (ت 68 هـ) وأبي سعيد الخدري (ت 74 هـ) وعائشة أم

== ج – محمد اطفيش . شرح العقيدة ، مرجع سابق ، ص 142 – 149 .

د – عبد الله بن حميد السالمي . شرح مسند الربيع . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية سنة (1321 هـ . ج : 3 ، ص 6) .

هـ – أبو الربيع سليمان الباروني (ت 1962 م) مختصر تاريخ الإباضية ط : 2 . تونس . المطبعة السلفية . لا ت ، ص 25 .

و – علي يحيى معمر . الإباضية في موكب التاريخ . مرجع سابق ، الحلقة الأولى . ص 153 – 159 .

ز – محمد علي دبور ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 150 – 200 .

ح – سالم السيابي . إزالة الوعثاء عن إتباع أبي الشعثاء . مرجع سابق ، ص 33 – 39 .

ط– سالم الحارثي ، العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 139 – 148 .

ى – عوض خليفات . نشأة الحركة الإباضية ، مرجع سابق ص 103 – 115 .

(54) عوض خليفات . المرجع نفسه ، ص 102 .

(55) سالم الحارثي . العقود الفضية ، مرجع سابق ، ص 148 .

(56) الدرجيني . نفس المرجع السابق م ص 238 .

(57) سالم الحارثي . نفس المرجع ص 139 .

المؤمنين (ت 57 وقيل 58 هـ) وأنس بن مالك (ت 93 هـ) وصحار بن العباس العبدي ، وجعفر بن السماك العبدي ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد (ت 93 هـ) ، ويقال : إنّه أخذ عن ابن السماك وصحار بن العباس العبدي أكثر ممّا أخذ عن جابر[58] .

وكان أبو عبيدة مسلم يقول : «من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شيء من الدين ، وقد منّ الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن سلام وغيرهم[59] ، وهم الراسخون في العلم ، وعلى آثارهم اقتفينا ، وبقولهم اهتدينا ، وعلى سيرتهم اعتمدنا ، وعلى منهاجهم سلكنا»[60] .

ويقول : «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال ، فلولا أنّ الله تعالى منّ علينا بجابر بن زيد رضي الله عنه لضللنا»[61] .

ج) مكانته العلمية :

لقد آلت لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريبة الإمامة الروحية والرئاسة العلمية لأهل الدعوة (الإباضية) بعد وفاة شيخه أبي الشعثاء جابر بن زيد ، عقب خروجه من السجن بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 95 هـ إذ كان رحمه الله محدّثا ثقة ، وفقيها ضليعا ، ومتكلما بارعا ، إلى جانب ذلك كله كانت له كياسة ، وحسن تدبير وسياسة مع تواضع جم ، وعمل صالح دؤوب في سبيل

---

(58) انظر : أ) محمد بن يوسف طفيش . شرح العقيدة . مرجع سابق ، ص 142 .

ب) عبد الله بن حميد السالمي . من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع . مصدر سابق ن ج : 1 . ص 6 .

(59) يظهر أن رواية أبي عبيدة مسلم عن عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ) ، وعبد الله بن سلام (43 هـ) رضي الله عنهاليست رواية مباشرة كما هو الحال عن ابن عباس وغيره ممن ذكر من الصحابة من تأخرت وفاتهم ، وإنما قد تكون عن طريق بعض شيوخه كأبي الشعثاء أو غيره . لأنه لم يولد بعد – في اعتقاد الباحث – عند وفاة ابن مسعود ، وإن وجد عند وفاة ابن سلام فهو صغير جدا لم يصل درجة التلقي بعد .

(60) سالم بن حمد الحارثي : العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 140 .

(61) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 140 .

الله . قال عنه أبو العباس الدرجيني : «... كبير تلامذة جابر، ومن حسنت أخباره والمخابر، تعلّم العلوم وعلّمها، ورتّب الأحاديث وأحكمها، وحافظ في خفية على الدين حتى ظهر ، إلى أن قال : وكان عالما مع الزهد في الدنيا، والتواضع مع نيل الدرجات العليا ، والاعتراف بضيق الباع على ما علية من الاتساع»[62].

وقال أيضا في حقه البدر الشماخي : «... تعلم العلوم وعلّمها ، ورتّب رواياته الحديث وأحكمها ، وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ، ويُرْدَعُ لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه ، وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم»[63].

حقا لقد كان أبو عبيدة مسلم كما قال عنه الشيخان : الدرجيني والشماخي : «تعلّم العلوم وعلّمها ورتب روايات الحديث وأحكامها ، فهو في مجال الحديث راوية ثقة ، وعدل ضابط أمين ، أخذ عنه محدثنا أبو عمرو الربيع بن حبيب معظم - إذا لم نقل كل - أحاديث الجزأين الأول والثاني للجامع الصحيح من مسنده .

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في تنبيهه الثاني الوارد في أول صفحة من الجامع الصحيح مسند الربيع : «اعلم أن هذا المسند الشريف جميعه من رواية الربيع عن شيخ من شيوخه[64] ... ، إلى أن قال : ثم إن أكثر مافيه من رواية أبي عبيدة عن جابر بن زيد ، وهو أحد شيوخ أبي عبيدة»[65].

وفي الفقه كان مرجع الفتوى لأهل زمانه من الإباضية في المشرق والمغرب ومعتمدهم ، فإليه يكتبون فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ، ومن ذلك على سبيل المثال : رسالته في الزكاة ولمن تعطى ، ولمن لايجوز له أخذها ، والتي بعث بها

(62) الدرجيني : الطبقات ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 238 .

(63) الشماخي : السير . مرجع سابق ، ص 83 .

(64) يقصد بشيخه : أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

(65) عبد الله بن حميد السالمي . الجامع الصحيح ، مصدر سابق ص 3 ، 4 .

إجابة عن سؤال للشيخ إسماعيل بن سليمان المغربي ومن بحضرته من أصحابه[66] حيث جاء في مقدمتها : «... أتاني كتابكم تذكرون فيه ما منّ الله به عليكم من جمع كلمتكم ، وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم ، ولعمري ما كثرتهم وإن كثروا بأكثر ممّن كان قبلهم عن من قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم تهون عليكم كثرتهم . نسأل الله العون والتوفيق في جميع أمورهم ، وأن يكفنا وإياكم بأسهم ، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم . فلعمري لقد أسرّني ما انتهيتم إليه من أمركم ، وإن كان ذلك لم يخف عنا ، غير أنا لم نظنّ الذي كتبتم به إليّ ، والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه .

أتانا كتابكم بمسائل : فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها مارأيت ألاّ نجيبكم من غير هوان ولاتقصير ، إلاّ الذي رأيته أصلح لمحاتكم ، وأقوم لشأنكم ، وأرفق لضعيفكم وأعطف لقويكم ، وأجمع لأموركم ، وما التوفيق إلا بالله . وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى فقد أجبتكم في الذي أجبتكم فيه ، فما كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطإ في رواية أو خبر أو غير ذلك فمن نفسي ، وأستغفر الله ماليس هو له رضى.

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ؟

اعلموا - رحمكم الله - أنه يجمع أهل البلد في الإقليم الذي هم فيه ، فيوكلوا لعشرهم رجالا أمناء من قبلهم في كل منزل فينقله الناس إليهم ، حتى إذا اجتمع من آخره ، نظر فيه خواص من أهل الفقه والفضل والمعرفة في الدين ، ويجتهدون رأيهم فيه على ما أمر الله به من تفريقه لمن أمر له بإعطائه بلا حيف ولاميل ، ولا أثرة قريب دون بعيد ، ولا لاختيار منافع الدنيا ، ولا لدفع مضرتها ، فما رآه

(66) يبدو أن الرسالة كانت عقب قيام دولة الإباضية بشمال أفريقيا طرابلس وتونس برئاسة الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140 هـ راجع : عوض خليفات . مرجع سابق ص 149 .

المسلمون حسنا فهو كذلك إن شاء الله . وما رأوه سيئا فهو سيء ، وإذا حضر تفريقه حكم أولئك الرهط لم يحضر عند تفريقه إلا الأمين ، ولا يحضر عند تفريقه جماعة لا ممن يأخذ ، ولا ممن يعطي ، فيفرق عشر كل قرية في عشائهم ، ومن كان في يده من الأمناء ما يغني به أهل قريته مال بفضله على أقرب الفقراء إليه ، وإن كان أقرب الفقراء إليه ممن يليه ليس لهم عشر ، وفي يده عشر ليس فيه ما يغني به فقراءه ، نظر فيه لهم إذا كان أهل القرى متجاورين يسع بعضهم أذان بعض ونحو هذا ، وإذا تباعدت القرى مالوا به على فقرائهم حتى يغنوهم ، ليس لأحد معهم شركة إلا ابن السبيل إذا حضر ، والغارم ، وفي الرقاب إذا حضروا ، وليس لأحد فيها سهم إلاّ أن تقسم على عدد الثانية إنما ذلك من الله على الأمر بالعطاء لهم ، والدلالة لمن يعطى ، لأن ذلك سهم مفروض من عدد الثانية لكل صنف لمن حضر من هؤلاء أعطى له ، ومن غاب فلا شيء له ، فيعاد بفضل ذلك على من حضر حتى يغنوا عامتهم . ألا ترى أن العاملين عليها ليس ذلك السهم المسمى لهم على القسم وإن كان فيه أكثر من رزقهم وعلف دوابهم خرزوه فهذا ما لا يجوز ، ولا يتقدم أحد بذلك من السلف ولا الأئمة .

ليس للعاملين إلاّ نفقتهم وعلف دوابهم ما داموا سعاة ، فإذا فرغوا من جميع ذلك لم ينالوا منه شيئا ، وأدّوا ما قبضوا إلى بيت مال المسلمين .

وأمّا الوالي إذا كان للمسلمين فليس له من الحقوق إلا نفقته على أهله ونفسه كنفقته قبل أن يلي .

وأفضل الزكاة كلها تنصرف إلى الفقراء الذين أنت بين أظهرهم ، وهؤلاء الذين سميتا من قبل ، إن الخبر جله في الصدقات للمصدق أن يأخذ من خواص أموالهم فيرد على فقرائهم ، وليس للسعاة أن يأخذوا الثمن على سهم الأجراء من قبل أن الفرض لم يقع من الله على القسم . ألا ترى أن الخبر جاء عن عمر – وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حضور – كان يجعل الصدقة في الصنف الواحد ممن سمّى الله له ؟ وإنما للسعاة أجر مثلهم على التقسيط وللقوام بالعدل . ألا ترى أنه ليس للعاملين خلق هو أصبر من الإمام ، وأنه ليس للإمام مناول من فيئهم شيئا ، وإخراجهم إلى القوام بالمعروف .

وقد جاء الخبر عن الصديق رحمة الله عليه لما استخلف اجتمع المسلمون فقالوا : افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعيله . فقالوا : بردتان إذا أخلقها وضعها ، وأخذ مكانها غيرهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف ، فقال أبو بكر : رضيت . ولم يضنوا عليه كساء يشتمل به شملة ثوبه ، ضنا بذاك عليه ، ولكنهم أرادوا قطع الاحتجاج أن يكون تصير للإمام من بيت مال المسلمين فضلة يستأثر بها على المسلمين .

عن عمر رحمة الله عليه ، روى ذلك الأحنف بن قيس ، وعمر وقتئذ أمير المؤمنين فسألوا عما يحل من الفيء ؟ فقال عمر : قوت عمر وأهله ، قوت رجل من قريش رحلة الشتاء والصيف وما أحج به وأعتمر وسهم في الفيء .

وقول عمر : أحج وأعتمر إنما كان ذلك من قبل أن المسلمين يردون الموسم من الآفاق ، فصار إليه يستمع من حجتهم ، ويسألهم عن ولاتهم ليقطع عنهم مؤنة العناء في المسير إليه ، ولولا ذلك لم يكن ذلك ، وجاء عن عمر أنّه كان يقول : «أيها الناس ! ليس أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا ما ملكت أيمانكم» ، وجاء عن الصديق أنه كان يستمتع بالناضح[67] والمشملّة[68] مثل ذلك . وجاء عنه عند وفاته أنّه ردّ النّاضح الذي في يده ، والمشملّة ، هي الحبشة[69] واللقوح[70] . وجاء عن عمر مثل ذلك أنّه أصاب من فيء المسلمين مالا استمتع به في حوائجه ، فلما حضرته الوفاة أمر عبد الله ابنه وكسر فيه ماله ، وباع فيه رباعه حتى جمعه وأدّاه إلى بيت مال المسلمين ، وعبد الله بن أرقم يومئذ على بيت مال المسلمين .

وجاء عن الصديق رحمة الله عليه أنه قدم عليه مال احتمله من البحرين

---

(67) الناضح : البعير ، أو الثور ، أو الحمار الذي يستقى عليه .

(68) المشملّة : الناقة الحلوب التي جعل لها شمالا .

(69) الحبشة : هنا ما اجتمع له من المشملّة .

(70) اللقوح : الناقة الحلوب – انظر معاني هذه الكلمات في :

(أ) جمال الدين بن مكرم الأنصاري ، ابن منظور (711 هـ) لسان العرب .

(ب) الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط . ط : 3 الدار العربية الكتاب . 1980 م مادة : نضح وشمل وحبش ، ولقح .

فقسّمه على الناس خمسة خمسة ، ثم قدم عليه مال وقسّمه عشرين عشرين ، ففضلت فضلة فقال أبو بكر : ألكم خدم يخدمونكم ويعالجون لكم ؟ قلو قسمتموها بينكم» فقال الناس : أنت أولى بذلك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى الأثرة وقال : «معاشر الناس ! الأسوة في هذا خير من الأثرة» ومساوى بين الناس .

والدليل أن هؤلاء الثمانية في الزكاة : أنّ ذلك ليس لهم على الفرض من الله ألا ترى أن الفريضة تصير على تسعة أسهم لقوله في الآية الأخرى : «فأن لله خمسه وللرسول ...» الآية ؟ وذلك سهم التاسع غير الثمانية ، وكل ذلك إنما هو على الإعطاء لهم ، أمر الله رسوله أن يعطي أقاربه كما يعطي الفقراء ، إلا أن ذلك سهم محبوس عليهم دون غيرهم ، فكل مذكور في الآية إنما هو على البيان بالإعطاء له ، لا على الإسهام بقسم . وجاء عن عمر أنه جعلها صنفا واحدا من هؤلاء ، وجماعة من المسلمين لا ينكرون ذلك ولا يغيّرونه ...»[71] الخ .

هذا ونكتفي بالفقرة الأولى من إجابة أبي عبيدة مسلم عن سؤال جماعة المغاربة من أصحابه نظرا لطول الرسالة ومحدودية بحثنا لا تسمح بنشرها كاملة ، وقد سقنا ما كتبناه كنموذج لما عليه أبو عبيدة من العلم والفقه .

والذي نلحظه من خلال هذه الرسالة أن أبا عبيدة مسلم كان ذا مكانة مرموقة بين علماء الإباضية بصفة عامة ومرجع فتواهم ، وأنهم كانوا لا يقطعون أمرا دون استشارته ويسترشدون بنصائحه وتوجيهاته ، وواضح كذلك أنه كان يتجنّب معهم في رسائله الخوض في مسائل عميقة ، والإجابة على أسئلة قد تؤدّي إلى خلاف في الرأي بين أصحابه وأنصار دعوته ، إذ قال : «أتانا كتابكم بمسائل :

(71) تقع مدونة أبي غانم في اثني عشر جزءا كلها في الفقه . وقد جمعها عن سبعة من شيوخه تلاميذ أبي عبيدة مسلم وهم : الربيع بن حبيب صاحب الجامع الصحيح مسند الربيع ، ووائل بن أيوب الحضرمي ، وأبو المؤرج . وعبد الله بن عبد العزيز ، ومحبوب بن الرحيل القرشي وحاتم بن منصور ، وأبو غسان مخلد بن العمود . انظر : أبو غانم الخراساني الإباضي (ت حوالي 300 هـ) المدونة الكبرى (ترتيب : محمد بن يوسف اطفيش) . سوريا ولبنان : دار اليقظة العربية ، 1974 ، ج : 1 ، ص 4 .

فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت ألاّ نجيبكم من غير هوان ولا تقصير ، إلا الذي رأيته أصلح لجماعتكم ، وأقوم لشأنكم وأرفق لضعيفكم ، وأعطف لقويكم ، وأجمع لأموركم» . ثم إنه في تقريره للأحكام تراه يعتمد على الكتاب والسنة وآثار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا يلجأ إلى رأيه إلا في حدود ، وماليس هناك فيه نص أو أثر من صحابي أو تابعي .

ولا يبالغ الباحث إن قال : إن جلّ علماء الفقه الإباضي الأول كان أستاذهم أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، فمدوّنة أبي غانم[72] بشر بن غانم الفقهية التي تعتبر من أقدم ما دوّن في الفقه الإباضي ، ماجاء فيها كان كله من طريق تلامذة أبي عبيدة وعنه ، وكذلك ماجاء عن طريق حملة العلم إلى المغرب من علم فعنه أيضا ، حتى إن كلّ من جرت على أيديهم نسبة الدين (أي تعليم أصول المذهب الإباضي وفروعه) في ليبيا وتونس والجزائر من أتباع هذا المذهب ينتهون إليه ثم إلى أبي الشعثاء جابر بن زيد فإلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولعل خير ما مكّن أبا عبيدة من علوم الشريعة - بالإضافة إلى أساتذته الكبار من فقهاء الصحابة وكبار التابعين - وراثته لتلك الموسوعة الفقهية المسماة بالديوان لشيخه أبي الشعثاء جابر بن زيد .

هذا هو أبو عبيدة بالنسبة للفقه ، أمّا في علم الكلام فقد كان من المناظرين لأهل زمانه من الأكفاء الذين يملكون الحجة البالغة وفصل الخطاب ، إذ استطاع أن يفحم واصل بن عطاء إمام المعتزلة ، وأعظم فرسان جدالهم ، فقد أورد صاحب طبقات المشائخ بالمغرب : «أن واصل بن عطاء المعتزلي صاحب

(72) أبو غانم بشر بن غانم : أحد تلاميذ أبي عبيدة ، درس بالبصرة ، رجل الى تاهرت مارا بجبل نفوسة بليبيا في أواخر القرن الثاني ، ونسخ من مدونته عمروس المساكني نسخة . انظر : عمر خليفة النامي ، أجوبة ابن خلفون . بيروت : دار الفتح ، 1974 م ص 111 .

عمرو بن عبيد كان يتمنى لقاء أبي عبيدة ويقول : «لو قطعته قطعت الإباضية . قال : فبينا هو في المسجد الحرام ومعه أصحابه . إذ أقبل أبو عبيدة ومعه أصحابه ، فقيل لواصل : هذا أبو عبيدة في الطواف . قال : فقام إليه واصل فلقيه وقال : أنت أبو عبيدة ؟ قال : نعم قال : أنت الذي بلغني أنك تقول : إنّ الله يعذب على القدر ؟ ! فقال أبو عبيدة : ما هكذا قلت ! لكن قلت : إن الله يعذب على المقدور فقال أبو عبيدة : أو أنت واصل بن عطاء ؟ قال : نعم . قال : أنت الذي بلغني عنك أنك تقول : إن الله يعصى بالاستكراه ؟ قال : فنكس واصل رأسه فلم يجب بشيء . ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب واصل على واصل يلومونه يقولون : كنت تتمنى لقاء أبي عبيدة فسألته فخرج ، وسألك فلم تجب !! فقال واصل : ويحكم ! بنيت بناء منذ أربعين[73] سنة ، فهدمه وأنا قائم . فلم أقعد ولم أبرح مكاني»[74] .

د) تلاميذه :

استطاع أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة – رغم الرقابة الشديدة المفروضة عليه من قبل عمال بني أمية بالبصرة ومن عاصر من عمال العباسيين بعدهم[75] أن يكوّن مدرسة سرية ظاهرها معمل قفاف ، وحقيقتها مصنع عقول وأفكار . قال صاحب الإباضية في موكب التاريخ : «ولما كانت الرقابة الشديدة على أبي عبيدة لاتنفك عن التجسّس عنه ، وكانت أوامر الظلمة تمنعه من التدريس ، فقد اتخذ مدرسته في سرداب خفي طويل ، ووضع على مدخله سلاسل من حديد ، فإذا سمع صلصتها هو وطلابه علموا أن غريبا يريد الدخول إليهم ، فأوقفوا الدرس ،

(73) أ – علي يحيى معمر . المرجع السابق ، ص 68 .
ب – عبد الله يحيى الباروني (ت 1332 هـ) سلم العامة والمبتدئين (تحق : سليمان عبد الله الباروني) . ص 26 بالهامش .
(74) أبو العباس الدرجيني . مرجع سابق . ج : 2، ص 246 .
(75) عاصر أبو عبيدة مسلم ثمانية من ملوك الأمويين : عبد الملك ، والوليد ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ومروان بن محمد ، ومن العباسيين : السفاح ، وأبو جعفر .

واشتغلوا بصنع القفاف ، فلا يشتبه الزائر في أمرهم ، فإذا غادرهم وأمنوا عيون الظلمة ، رجعوا إلى ما كانوا عليه وانتقلوا من إدارة معمل لإنتاج القفاف ، إلى إدارة معمل لإنتاج القلوب والعقول والعزائم»[76] .

من هذه المدرسة تخرج الربيع بن حبيب محدثنا ، وحملة العلم الخمسة إلى المغرب وهم : أبو الخطاب[77] عبد الأعلى بن السمح المعافري مؤسس الإمامة الإباضية بطرابلس سنة 140 هـ وعبد الرحمن[78] بن رستم الأمام الأول للدولة الرستمية بتاهرت سنة 160 هـ وإسماعيل[79] بن درار الغدامسي ، وعاصم[80] السدراتي وأبو داود[81] القبلّي ، كما تخرج منها أيضا : عبد الله[82] بن يحي طالب الحق مؤسس الإمامة الإباضية في حضر موت واليمن ، والذي استولى بعد ذلك على مكة والمدينة سنة 129 هـ وأبو حمزة[83] المختار بن عوف قائد جيش طالب الحق ، وغير هؤلاء كثير ممن أسهموا في نشر العلم والإصلاح الاجتماعي ، والدعوة إلى سبيل المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله .

(76) علي يحيى معمر . المرجع السابق ، ص 157 .
(77) انظر ترجمته : أ) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر . مرجع سابق ، ص 37 – 46 .
ب) الدرجيني . مرجع سابق . ج : 1 ، ص 32 – 34 .
ج) الشماخي . مرجع سابق ، ص 123 – 132 .
د) علي يحيى معمر . المرجع نفسه ، الحلقة الثالثة ، ص 93 – 36 .
(78) انظر : أ) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر . نفس المرجع ، ص 53 – 55 .
ب) الدرجيني ، نفس المرجع م ص 40 – 45 .
ج) الشماخي ، نفس المرجع ، ص 138 – 141 .
د) سليمان عبد الله الباروني . مرجع سابق ، ص 84 – 100 .
هـ) علي يحيى معمر ، نفس المرجع ، ص 37 – 43 .
(79) انظر : أ) الشماخي ، نفس المرجع ، ص 141 – 142 .
ب) علي معمر نفس المرجع ، الحلقة الثانية م ص 13 – 16 .
(80) انظر ترجمته : الشماخي . نفس المرجع ، ص 141 .
(81) الشماخي . نفس المرجع ، ص 144 .
(82) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 258 – 260 .
(83) أ) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 266 – 269 .
ب) الشماخي . نفس المرجع ، ص 99 – 101 .

هـ) وفاة أبي عبيدة :

انتقل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى جوار ربه بعد أن أمضى عمرا حافلا بجلائل الأعمال في جوانب الحياة المختلفة : العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وكانت وفاته على ما ذكره بعض المحققين من المؤرخين المحدثين[84] حوالي سنة 150 هـ زمن خلافة أبي جعفر المنصور الذي قال عنه : «أو قد مات ؟! إنّا لله وانّا إليه راجعون . ذهبت الإباضية»[85] .

3 – ضمام بن السائب[86] :

ضمام بن السائب الندبي نسبة إلى بني ندب بن شمس من أزد عمان الذين يقطنون وادي العقّ المفضي إلى الشرقية من أعلاه[87] . أحد الأعلام الذين خرجتهم مدرسة أبي الشعثاء جابر بن زيد ، ذكره الدرجيني في طبقاته من علماء الطبقة الثالثة (100 – 150) أي من تابعي التابعين ، وقال عنه : «ومنهم – أي من علماء الطبقة الثالثة – ضام بن السائب رحمه الله كهف اليتامى والأرامل ، المفزوع إليه في النوازل ، فطال ما أوصى عليه أبو عبيدة في الفتاوى والمعضلات ، فانكشفت بأجوبته ظلم المشكلات ، وكان ذا رفق وتلطف ، واجتهاد وتقشف»[88] .

وقال في حقه أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي في كتابه السير : «ضام بن السائب من أهل العلم والتحقيق ، والكاشف أمر المعضلات عند حصر ذوي الضيق ، أخذ عن جابر وغيره ، وكان ما أخذ عن جابر أكثر مما أخذ عنه أبو

---

(84) انظر : أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت 751 هـ) . قواعد الإسلام ، (تحقيق : بكلي عبد الرحمن بن عمر) غرداية . المطبعة العربية 1976 م ج : 1 ، ص 88 بالهامش .

(85) نفس المرجع ، نفس الصفحة بالهامش .

(86) راجع ترجمته : أ) الدرجيني . مرجع سابق ، ج : 2 م ص 246 – 248 .

ب) الشماخي . مرجع سابق ، ص 86 – 88 .

(87) سالم بن حمّود السيابي . إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان . بيروت : مطابع الكتب الإسلامية ، 1384 هـ ، ص 130 .

(88)الدرجيني . نفس المرجع ، ص 246 – 247 .

عبيدة»[89] ، وذكر أيضا : أنه كان راوية جابر بن زيد[90] ، ونقل أبو سفيان[91] محبوب بن الرحيل المؤرخ العماني الثقة أن أبا الحر[92] علي بن الحصين العنبري قال لأبي عبيدة مسلم أقم للناس بمكة خمسة أيام بعد الموسم فأبى ، فقيل له عليك بضام . فقال : أو عنده من العلم ما يكتفي به الناس ؟ قالوا : وفوق ذلك . فأتاه . فأقام للنّاس ، وكثر عليه السؤال وكان جوابه : سألت جابرا ، وسئل جابر ، وسمعت جابرا ، وقال جابر .[93]

وكان ضام ممن تناولته يد الحجاج بن يوسف الثقفي بالسجن والتعذيب لنشاطه العلمي والسياسي . قال أبو سفيان : «لما سجن الحجاج أبا عبيدة وضاما منع أن يصل لهما شيء ، وكانا يقصان شاربيهما بأسنانها ، وكان أحدهما لينفض لحيته فيتساقط منها القمل . وكان يطعم أهل السجن خبز الشعير وملح الجريش ، ويعمد إلى مراكن[94] عظام فيسكب فيها الماء ، ويطرح فيها الملح ثم يضرب حتى تخرج رغوته فمن شرب أولا كان أمثل قليلا ، ومن شرب آخرا كان العذاب ، وربما ضاق ضام فيقول أبو عبيدة : على من تضيق ؟! ولم يخرجا من السجن حتى مات الحجاج[95] .

---

(89) الشماخي . نفس المرجع ، ص 86 .

(90) نفس المرجع ، ص 88 .

(91) أنظر ترجمة :

أ) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 278 – 289 .

ب) الشماخي . نفس المرجع ، ص 117 – 190 .

(92) أبو الحر : هو علي بن الحصين العنبري من علماء الإباضية وفقهائهم ، أقام بمكة ، وقد ناله من مروان بن محمد الملك الأموي عنت واضطهاد ، وكان غنيا موسرا يبذل الأموال للفقراء والمساكين وفي الدعوة للحركة الإباضية ، قتل مع قائد طالب الحق المختار بن عوف الشاري يوم مكة .

راجعاً) الدرجيني . نفس المرجع ، ص 262 وما بعدها .

ب) الشماخي . نفس المرجع ، ص 100 – 102 .

(93) الشماخي . السير . المرجع السابق . ص 88 .

(94) مراكن : جمع مركن ، جاء في اللسان : والمركن بالكسر الإجّانة التي تغسل فيها الثياب ومنه حديث جمنة أنها كانت تجلس في مركن لأختها زينب وهي مستحاضة . راجع : حرف النون فصل الراء . مادة : ر ك ن .

(95) أ – الشماخي . نفس المرجع ص 87 .

ب – الدرجيني . مرجع سابق ، ص 247 .

وقد تخرج على يد ضمام كثير من علماء أهل الدعوة (الإباضية) ، وكان منهم أبو عمرو الربيع بن حبيب محدثنا . قال شارح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب : «وإنّ للربيع زهاء خمسة وعشرين شيخا أخذ عن جميعهم ، وأكثر ما أخذ عن ضمام بن السائب البصري العماني عن جابر .. إلى أن يقول : وروايته عن ضمام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة»[96] . عاش ما عاش رحمه الله متعلما ومعلّما ومفتيا حتى لاقى ربّه في عام غير معروف .

4 – أبو نوح الدّهان :

هو صالح بن نوح الدهان من أهل البصرة ، ومنزله في طي ، لم يعثر الباحث على تاريخ ميلاده ، وقد عده الدرجيني في طبقاته من علماء الطبقة الثالثة (100 – 150 هـ) ، وقال عنه : «شيخ التحقيق ، وأستاذ أهل الطريق ، وناهج طرق الصالحين ، وناقض دعاوي الزائغين الجانحين ، أخذ عنه الحديث والفروع ، وكان ذا خشية لله وخضوع»[97] .

ومما قاله الدرجيني تتبّين لنا مكانة أبي نوح صالح العلمية والاجتماعية والروحية . فقد كان محققا ثقة ، وأستاذا كبيرا لكثير من طلبة العلم الإباضيين ، وداعية إلى سبيل المؤمنين الصادقين الصالحين ، ومقارعا ومناظرا لأولئك المبتدعين الجانحين عن المحجة البيضاء التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلها كنهارها ، كما أنه كان – رحمه الله – محدّثا وفقيها ، يجلل كل تلك الصفات فيه خشية لله تعالى ، وتواضع في غير ذلة وهوان .

أخذ العلم عن كبار التابعين ، وأكثر ما أخذ عن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وكان شديد الملازمة لدروسه ، وإذا ما فاته مجلس من مجالسه ، سأل من حضره

(96) عبد الله بن حميد السالمي . الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (ترتيب : أبي يعقوب الوارجلاني) . مرجع سابق ، ص 2 .

(97) الدرجيني : مرجع سابق ، ص 254 – 255 .

للاستفادة ، فمن ذلك ما رواه أبو سفيان إذ قال : «دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب ، وكانت من المسلمات (أي الإباضيات) فقال : كأني أرى مجلس رجل (قالت : الآن خرج من عندي (الأحول) .. تعني جابرا –(قال أبو سفيان : «وكان يغمز بإحدى عينيه من غير علة ، قال : أي أبو نوح : فهل ظفرت منه بشيء ؟ قالت : نعم سألته عن ثلاثة أشياء كن في نفسي ، سألته عن لباس الخفين ؟ قال : إن كنت تلبسينهما من حرّ الأرض وبردها فلا بأس ، فلا تبالين وإن انكشفا ، وإن لبستها لغير ذلك فلا تبديها . وسألته عن حلي عندي ليتيمة يقوّم بمال فيستعار مني ؟ قال : إن أعرته فاضمني فإنك ضامنة . وعن عبد كان من أنفس مال عندي وأوثقه ، فأعتقته ثم استخلفته على ضيعتي ؟ قال : لا . أخرجيه من ذلك ، ولا تدخليه في شيء من منافعك»[98] .

وقد جمع أبو نوح صالح إلى العلم الغزير المرونة في الفتوى وعدم التشدد ، فهو نقيض زميله أبي عبيدة مسلم الذي كان يميل إلى التشدد ، فمن ذلك ما حكاه المليح أن حسانًا قال : «دخلت أنا وعبد الملك[99] الطويل على أبي عبيدة وقلنا : ياأبا عبيدة ! ما تقول في رجل دخل على امرأة فأدخل يده من تحت ثيابها فنهضت المرأة فأنكرت ذلك إنكار الحرّة ، أله أن يتزوجها ؟ قال : لا . قال فبينا نحن عنده إذ دخل أبو نوح صالح الدهان ، فقلنا من يسأله ؟ قال الغضل بن جندب : أنا أسأله ، فسأله الفضل فقال :نعم . له أن يتزوجها ويعطيها ماله إن شاء . فقال له أبو عبيدة : إنّها الفروج ياأبا نوح (قال : صدقت . ثم قال أبو نوح : يامعشر الفتيان ألم أنهكم ، أو قال : إني أنهاكم أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضرا»[100] .

هذا ، وبقدر ما كان عليه أبو نوح من مرونة في الفتيا وتشدّد مع عمال

(98) راجع : أ) – الدرجيني . نفس المرجع ، ص 255 .
ب – الشماخي ، السير . مرجع سابق ، ص 59 .

(99) عبد الملك الطويل ، أحد الذين ساندوا حركة الإباضية ، وكان منزله موضع مجالسهم الخفية .

(100) الدرجيني . مرجع سابق ن ص 239 .

الأمويين في البصرة ودعوة إلى الثورة عليهم ، كان احتياط أبي عبيدة فيما يتعلق بالحلال والحرام ومعارضته للثورة ضد عمال السلطة المركزية .

يقول الدكتور عوض خليفات في كتابه نشأة الإباضية : «فقد نقم الإباضية في البصرة على الحكم الأموي بعد قمع ثورة يزيد بن المهلب ، وضاقوا ذرعا بسياسة ولاة البصرة تجاه إنصارهم من الأزد ، وارتفعت أصوات بعض مشائخهم بوجوب الانتقام ، وإعلان الثورة ومن بين هؤلاء ، الشيخ الإباضي أبو نوح صالح الدهان ، وبعض أفراد الأزد الذين نجوا من الموت والهلاك ومن بينهم : عاتكة أخت يزيد بن المهلب المعروفة بحماسها الشديد للمذهب الإباضي ، وتفانيها في خدمته ، ولكن الإمام أبا عبيدة كان يرى أنّ الوقت لم يحن بعد لإعلان الثورة المسلحة ، ورفض بشدة آراء المنادين بها ، وحبذّ أن يقوم أتباعه بثوراتهم في أماكن بعيدة عن متناول السلطة المركزية»[101] .

وقد شارك أبو نوح بجهوده في نشر العلم وتعليم مريديه ، وتخرج على يده علماء خدموا الإسلام والمسلمين ، ومنهم محدثنا أبو عمرو الربيع بن حبيب فقد قال : «حفظت الفقه عن ثلاثة : أبي عبيدة ، وضمام ، وأبي نوح»[102] .

ولم يهتد الباحث إلى متى قدم على ربّه أبو نوح صالح بعد جهاده الطويل في سبيله ، شأنه شأن ضمام وغيرهما من المشائخ .

(101) عوض خليفات . مرجع سابق ، 111 – 112 .

(102) راجع : أ) الدرجيني . نفس المرجع م ص 276 .

ب) سالم بن حمود شامس السيابي السمائلي . إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، مرجع سابق ، ص 41 .

ج) سالم حمد الحارثي . العقود الفضية ، مرجع سابق ، ص 152 .

الفصل الثالث – من الباب الثاني

تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي

☆ مقدمة الفصل .

☆ تراجم لبعض ممن حمل العلم عن الربيع من أهل عمان وحضرموت .

☆ أسباب انقطاع طلبة العلم بشمال أفريقيا من الإباضية عن مدرسة الربيع بالبصرة .

☆ إنتاج الربيع العلمي ، ومكانته الاجتماعية والعلمية .

تلاميذ الربيع بن حبيب وإنتاجه العلمي

مقدمة الفصل :

لم يكن أبو عمرو الربيع بن حبيب أقل حظا من شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فمن تخرج على يديه من العلماء الذين أسهموا بجهود مشكورة في محاربة الباطل وكفاحه في جميع صوره وأشكاله : كفاح الباطل الذي يأتي عن طريق القوة من ذوي السلطة ، أي الذي يأتي عن طريق العقل في منطق البدعة ، أو الذي يأتي عن طريق العلم في إغفال بعض تراث الأمة ، أو الذي يأتي عن طريق الجهل في التقليد الأعمى ، أو الذي يأتي عن طريق الصبر في صورة الوداعة واحتمال المذلة ، أو الذي يأتي عن طريق الجزع في صورة الفرار من الصمود وعدم احتمال النازلة ودرء المصيبة[1] .

لقد استطاع أبو عمرو الربيع بن حبيب أن يكوّن هذا النموذج من الرجال الذين حملوا لواء الإصلاح بقوة لاتضعف ، وعزيمة لاتلين ، ونشروا ينابيع العلم والحكمة بإيمان يؤكد إخلاص الجهود ويقين يؤيد التفاني في ذات الله ونصرة الحق . ومن هؤلاء :

أولا : من عمان

1 – أبو المنذر :[2]

هو بشير بن المنذر النزواني ، من بلدة نزوى ، وهو المراد عند الإطلاق في الأثر

---

(1) راجع : علي يحي معمر ، (ت 1980 م) . الإباضية في موكب التاريخ . (القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي) ، 1964 م ، الحلقة الأولى م ص 158 .

(2) انظر ترجمته في : أ – سالم بن حمود بن شامس السيابي السالمي ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء (تحقيق السيدة إسماعيل الكاشف) القاهرة : مطابع سجل العرب) ، لا . ت . ص 41 . ب – سالم بن حمدالحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية . لبنان : دار اليقظة ، لا . ت ، ص 154 .

المشرقي «بالشيخ»[3] . وقد ملأ الأثر العماني بفتاويه ، ورضي الناس أقواله . توفي سنة 178 هـ [4] على ماجاء في بعض الروايات .

2 – منير النير الجعلاني :[5]

هو أحد الذين حملوا العلم عن أبي عمرو الربيع بن حبيب من البصرة إلى عمان ، فقد قال عنه السالمي «هو رجل من بني ريّام ، علامة جليل ، وفهّامة نبيل ، أحد زعماء العلم في الربيل الأول من ركب العلم»[6] ، قتل في معركة (دما) قرب مسجد الجامع التي وقعت بين الأهيف بن حمحام الهنائي الذي كان هو معه ، وبين محمد[7] بن بور سنة 280 هـ وكان يومئذ ابن مائة وعشرين سنة ، ويبدو أن خروجه مع الأهيف كان للاستشارة والأخذ برأيه لا ليقاتل في المعركة[8] .

3 – موسى بن أبي جابر الأزكوي :[9]

أحد رجالات بني ضبة من بني سامة بن لؤي بن غالب ، كان – رحمه الله – الحجة في عمان ، ومن يعوّل عليه في المهام الدينية ، ومن أقوى دعائم أهل الحق في زمانه ، وهو الذي عقد الإمامة للوارث[10] بن كعب .

(3) يراد بالأثر المشرقي هنا : الأثر العماني ، والحضرمي ، والخراساني . عن محمد ابن يوسف اطفيش ملحق المدونة ، ورقة 3 .
(4) ينظر : أ) سالم بن حمد الحارثي . نفس المرجع . نفس الصفحة .
ب) عبد الله بن حميد السالمي ، (ت 1332 هـ) . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (تحق : أبي إسحاق إبراهيم اطفيش) ط 2 . القاهرة : مطبعة الشباب ، 1350 هـ ، ج 1 . ص 93 .
(5) راجع ترجمته في : سالم بن حمود السيابي . نفس المرجع ، ص 43 – 44 .
(6) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(7) محمد بن بور : هو عامل الخليفة المعتضد العباسي على البحرين ، استنجده محمد بن القاسم وبشير بن المنذر من بني سامة بن لؤي بن غالب ضد الإمام عزان بن قيم الخروصي . فوقعت بينهما معركة ضارية بين نزوى وحدا لسان سنة 280 هـ انهزم فيها الجيش العماني وقتل عزان وبعث برأسه محمد بن بور إلى الملك العباسي ببغداد ، انظر : عبد الله بن حميد السالمي ، تحفه الأعيان ، مرجع سابق ، ج : 1 . ص 220 .
(8) السالمي . نفس المرجع ، ص 225 – 222 .
(9) انظر : أ) السالمي . نفس المرجع ، ص 93 وما بعدها .
ب) سالم بن حمود السيابي . إزالة الوعثاء . مرجع سابق ص 45 – 46 .
(10) هو أحد أئمة عمان من بني خروص من الجحيد ، عقدت له الإمامة بعد عزل محمد بن أبي عفان سنة 179 هـ . كان عادلا ، مات غريقا في سيل كلبوه من نزوى ومعه تسعون من أصحابه سنة 192 هـ .

قال في حقه سالم بن حمود السيابي أحد علماء عمان المعاصرين : «أحد الشهب الخمسة التي أضاءت القطر العماني بنور العلم»[11] . وكانت وفاته سنة 181 هـ[12] وعمره 94 سنة .

4 – محبوب بن الرحيل :[13]

هو أبو سفيان محبوب بن الرحيل العبدي ، ينحدر نسبه من بني مخزوم القرشي . عده أبو العباس الدرجيني من علماء الطبقة الرابعة أي ممن عاش في الخمسين الثانية من المائة الثانية للهجرة . تتلمذ على أبي عبيدة مسلم والربيع بن حبيب ، وكانت والدته تحت الربيع . كان حجة في السيرة لايكاد يشذ عنه شيء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا سير المسلمين من بعده . وهو من أوائل من دوّن أخبار أهل الدعوة[14] قال عنه الدرجيني : «سبق إلى تخليد سير الأخيار ، وألف ما تحصل عنده عنهم من الآثار»[15] . وقال الشماخي صاحب السير عنه أيضا : «أحد الأشياخ في الأخبار ، والمقيد غرائب الفقه وعجائب الأمصار ، ساد الفضلاء علما وحفظ الآثار»[16] .

وإلى جانب كونه مؤرخا فقد كان محدثا ثقة ، روى عن شيخه أبي عمرو الربيع بن حبيب أحاديث أثبتها أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني مرتب المسند بالجزء الرابع منه .

(11) سالم بن حمود السيابي . المرجع نفسه ، ص 45 .
(12) أ) السالمي . نفس المرجع م ص 96 .
ب) سالم بن حمد الحارثي ، مرجع سابق ، ص 154 .
(13) راجع ترجمته في : أ) – أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) ، طبقات المشائخ بالمغرب ، (تحق : إبراهيم طلاي) قسنطينة : مطبعة البعث ، لا . ث . ج : 2 ، ص 278 – 279 .
ب) – أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي ، (ت 928 هـ) . السير (تصحيح محمد يوسف الباروني) القاهرة ، المطبعة الباروني ، ص 117 – 118 .
ج) سالم بن حمود السيابي . نفس المرجع ، ص 47 .
(14) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، (ت 750 هـ) قناطير الخيرات . (تحق : عمرو خليفة النامي) القاهرة . مطبعة الاستقلال الكبرى سنة 1965 م القسم الأول قنطرتا العلم والإيمان ، ص 163 بالهامش رقم : 3 .
(15) الدرجيني ، مرجع سابق ، ص 278 – 279 .
(16) الشماخي ، مرجع سابق ، ص 117 – 118 .

وفي هذا الخصوص قال الشيخ عبد الرحمن بكلي محقق كتاب قواعد الإسلام للجيطالي : «أبو سفيان محبوب بن الرحيل تابعي جليل ، ومحدث ثقة ، لذلك نجد الإمام أبا يعقوب مرتب مسند الربيع يضم إليه روايات محبوب عن الربيع»[17] .

وهو أيضا فقيه ضليع وصل إلى درجة الاجتهاد وتصدر للفتوى بمكة المكرمة والبصرة ، قال عنه الدرجيني «وهو من صحت عنه الفتاوى ، وانتفع به صاحبه من مرتحل وثاوي»[18] .

ولقد كان – رحمه الله – أبا لأسرة عريقة في العلم والتقوى ، فهو وابنه محمد ابن محبوب وحفيده بشير بن محمد بن محبوب من أعلام الإسلام الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، وتركوا في المكتبة الإسلامية آثارا خالدة[19] ، كما يقول الأستاذ عبد الرحمن بكلي .

وحتى يتبين ماهو عليه من العلم ، ومدى اهتمامه بشؤون الإسلام وأمر المسلمين يستعرض الباحث نماذج من عهده[20] الذي كتبه إلى عبد الله بن يحي طالب الحق وهو يعظه فيه .

ومما جاء في بعض فقراته : «..... وقديما اتخذت الجبابرة عباد الله خولا[21] ، ودينه دغلا[22] ، وماله دولا[23] ، واستحلوا الخمر بالنبيذ ، والمكس بالزكاة ، والسحت بالهدية ، يأخذونها من غضب الله ، وينفقونها في معاصي الله ، ووجدوا على ذلك من خونة العلم أعوانا ، فبهؤلاء الأعوان خطب أهل الجور على

(17) الجيطالي ، قواعد الإسلام (تحقيق : عبد الرحمن بكلي) . غرداية : المطبعة العربية 1986 م ، ج : 1 ، ص 53 .
(18) الدرجيني . نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(19) الجيطالي . نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(20) انظر نص العهد بكامله : الدرجيني ، نفس المرجع ، ص 279 – 289 .
(21) خولا : عبيدا .
(22) دغلا : أدخلوا فيه مايفسده .
(23) دولا : تعاقبوا عليه من دون الناس .

المنابر ، وبهؤلاء الأعوان قامت راية الفسق في العساكر ، وبهؤلاء الأعوان اختفى العالم فلا ينطق ، ولا يفطن لذلك الجاهل فيسأل ، وبهؤلاء الأعوان مشى المؤمن في طرقات الأرض بالتقية والكتمان ، فهو كاليتيم المنفرد ، يستبد به من لايتقي الله»[24] .

وجاء في هذا العهد أيضا في ذكر أولياء الله : « ... أولئك الذين لا تعترهم سآمة ، ولا تخترمهم رغبة ، ولا ينظرون إلى الدينا بعين بغية ، ولا يعتقدون لها مودة ، ولا يعرجون فيها على زينة ، بل ضربوا في السهم الأوفر ، ولزموا الطريق الأقصد ، وسلكوا سبيل الرشد ، وهم أئمة التقى ، ونجوم الهدى ، وأعلام الدين ، ومنار الإسلام ، كلامهم حكمة وسكوتهم حجة ، ومباينتهم حسرة ومخالطتهم غنيمة ، والاستئناس بهم حياة ، والاقتداء بهم نجاة ، فعليك أيها الزائغ عن طريقهم ، الراغب عن سبيلهم بالاتباع ، فإنه ليس الاتباع كالابتداع ، وعليك بطريق من كان بالله أعلم ، وبحلاله وحرامه منك أبصر ... الخ»[25] .

وفي الجملة : إن أبا سفيان محبوبا كان عالما موسوعيا له اطلاع واسع في الأصول والفروع ، وكان لنشاطه الملحوظ في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانته عند شيخه وزوج والدته أبي عمرو الربيع بن حبيب ، فأحبّه ، واختار صحبته عندما غادر البصرة إلى عمان في أواخر أيام حياته ، حيث نزلا صحارا واستقبلا بحفاوة بالغة وإكرام لانظير له من قبل العمانيين لما كان لهما من سمو المقام في نفوسهم[26] .

عاش أبو سفيان محبوب ما عاش مكافحا للبدعة ، مقاوما للظلم ، شديدا على الظالمين ، حتى توفاه الله تعالى مأسوفا عليه . ولم تتحقق للباحث سنة ميلاده ، ولا عام وفاته ، إلاّ أن الإمام السالمي ذكر في تحفته أنه كان على قيد الحياة زمن

(24) انظر : الجيطالي ، القناطر (تحقيق : عمرو خليفة النامي) . مرجع سابق ، ص 228 – 229 .
(25) نفس المرجع ، ص 244 .
(26) راجع : سالم حمود السالمي ، إزالة الوعثاء ، مرجع سابق ، ص 47 .

الإمام المهنا بن جيفر الذي بويع له بالإمامة سنة 226 هـ على عمان ، فقد قال : «وفي زمانه (أي المهنا) اختلف في البصرة محبوب بن الرحيل وهارون بن اليمان في مسائل خالف فيها هارون قول المسلمين ، وكانت أئمته فيها الشعبية[27] ، وكتب كل من محبوب وهارون رسائل إلى المهنا وإلى حضرموت ، وهي سير مأثورة موجودة ، نقض فيها كل واحد على صاحبه ما قال به ، وكان الحق فيها مع محبوب ، فأخذت به عمان وحضرموت ، وتابعت اليمن هارون»[28] .

وعلى هذا تكون وفاة أبي سفيان محبوب بن الرحيل بعد سنة 226 هـ والله أعلم .

5 – محمد بن المعلى الكندي :[29]

محمد بن المعلى هذا من أهل (فحش) من قلب عمان ، وكان من الرجال المعدودين في الطليعة ، وحسبه أنه أحد حملة العلم عن الربيع بن حبيب من البصرة إلى عمان .

وقد اتجهت همة ذوي الحل والعقد من العلماء والوجهاء بعمان أن ينصبوه إماما ولكنه خاف على نفسه من قطع الشرى[30] ، وألاّ يكون له سلطان فيقع في القصور أو التقصير ويستفاد من هذا أنه كان أهلا للإمامة ، ولكن الآراء لم تتفق حوله .

هذا ولم تعرف سنة مولده ، ولا عام وفاته ، غير أنه ثبت وجوده سنة 177 هـ وهي السنة التي أراده فيها موسى بن أبي جابر الأزكوي أن يتولى إمامة

(27) الشعبية : فرقة أصحاب شعيب بن محمد ، وهي من فرق المجاردة ، وهم أشبه أن يكونوا أميل إلى المعتزلة ، إلا أنهم يخالفونهم في مسألة القدر ، ولعلهم لا يقولون فيه بقول القدرية ، ومن ذلك الحين يوجد في اليمن مذهب المجاردة ، غير أن التشيع لآل البيت تغلب عليهم بعد ، فأخذوا في الفروع بمذهب زين العابدين . انظر : السالمي ، تحفة الأعيان ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 129 – 130 بالهامش .

(28) السالمي . تحفة الأعيان . مرجع سابق . ج : 1 م ص 129 – 130 .

(29) راجع ترجمته : سالم بن حمود السيابي . إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشمّاء ، مرجع سابق ، ص 47 – 48 .

(30) معنى قطع الشرى : تقدّم فقاتل عن القوم ، أو تقدم إلى السلطان فتكلم عنهم .

عمان فكره محمد هذا أن يقطع الشرى كما أشرنا ، وبذلك ولّى مكانه محمد بن أبي عفان[31] .

ثانيا : تلاميذه من أهل حضرموت

أمـا من حمل العلم عن أبي عمرو الربيع بن حبيب من أهل حضرموت فأشهرهم .

أبو أيوب وائل[32]

أبو أيوب وائل بن أيوب من علماء الطبقة الرابعة (150 – 200 هـ) كما ذكر الدرجيني ، وهو من حضرموت ، أخذ العلم بالبصرة عن أبي عبيدة مسلم وأبي عمرو الربيع بن حبيب .

وقد تولى رئاسة علماء الإباضية بالعراق بعد رحيل الربيع إلى عمان ، وكان مع الإمام طالب الحق أبي يحيى عبد الله بن يحيى الكندي في حروبه ، وله دور خطير ومشاركة إيجابية في شؤون الإمامة بحضرموت . وهو أحد رجال الفتيا المشهورين في المذهب الإباضي ، وممن روى عنهم أبو غانم بشر بن غانم في كتبه[33] ، وكان أبو عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم لجلالة وعلو كعبه في العلم إذا سئل عن مسألة قال : «عليكم بوائل فإنه أقرب عهدا بالربيع»[34] . وذكر عنه أنه كان من المتكلمين المناظرين ، قال الشماخي : «رأيت جزءا فيه مناظرة أبي أيوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له : كهلان وأصحابه»[35] .

(31) السالمي . نفس المرجع ، ص 91 .

(32) راجع ترجمته : أ) الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 228 .
ب) الشماخي ، مرجع سابق ، ص 105 .
ج) الجيطالي ، قوعد الإسلام . تعليق : بكلي ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 103 بالهامش .
د)عمرو النامي ، أجوبة ابن خلفون . بيروت : دار الفتح ، 1974 م ، ص 110 .

(33) عمرو خليفة النامي ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(34) الدرجيني ، مرجع سابق م ج : 2 . ص 228 .

(35) الشماخي ، مرجع سابق ، ص 105 .

لم تتحقق مع الباحث سنة ميلاده ، ولا سنة وفاته – رحمه الله تعالى – .

هذا وكان لأبي عمرو الربيع بن حبيب تلاميذ من خراسان ومن أشهرهم هاشم بن عبد الله الخراساني ذكره السالمي عند حديثه عن تلاميذ الربيع ، ولم يعثر الباحث على ترجمته في الكتب التي تحدثت عن حياة زملائه .

وقد أخذ عنه أيضا من العراقيين الجم الغفير كما قال السالمي[36] .

2 – أسباب انقطاع طلبة العلم الإباضيين بشمال أفريقيا عن مدرسة الربيع بن حبيب بالبصرة

لم تتحدث المصادر والمراجع من الكتب التي بين أيدينا عن أنّه كان لأبي عمرو الربيع بن حبيب تلاميذ من المغرب كما كان لشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ولعل السبب في ذلك – كما يعتقد الباحث – يرجع إلى عاملين اثنين :

1 – لما ظهرت إمامة الإباضية في طرابلس بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140 هـ وكان ماكان من قتال بينه وبين عمال العباسيين بشمال أفريقيا ثم بينهم وبين من جاء بعده كأبي حاتم الملزوزي إمام الدفاع (145 – 155) وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمامة بتاهرت (160 – 171 هـ) ، أصبح الذهاب من شمال أفريقيا إلى البصرة بالعراق – مهد الحركة الإباضية – من العسر بمكان ، وبذلك لم يتسنّ لطلبة العلم في المغرب الذهاب إلى مدرسة الربيع بن حبيب التي عاصرت تلك الأحداث .

2 – كان لرجوع حملة العلم من البصرة إلى المغرب ، ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، أثره في قيام حركة علمية مباركة أتت نتائجها على يد من تتلمذ على هؤلاء الحياة . ولعلّ ما يسمى عند إباضية المغرب بسلسلة نسبة الدين – التي

(36) السالمي ، حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية ، 1326 هـ ، ج : 1 ، ص 4 .

سنورد نصها – خير شاهد لما بذله حماة العلم العائدون من البصرة من جهود في تعليم أبناء المغرب وتثقيفهم بحيث لم يعودوا بحاجة للذهاب إلى العراق ، مما أدّى إلى عدم تتلمذ أحدهم عن الربيع ، ثم بالتالي لم يكن له ذكر في هذه السلسلة ، لقد جاء في رسالة سلم العامة والمبتدئين لأبي محمد عبد الله[37] بن يحي الباروني ما نصه :

سلسلة إسناد المذهب :

الطريقة الأولى في نسبة المذهب : ومبدؤها من آخر القرن السادس عن الشيخ مقرين بن محمد البغطوري[38] قال – رحمه الله – بعد البسملة والصلاة والسلام : «تأملت في تسمية من أخذنا عنه الدين من خلق الله أجمعين فوجدتهم على الجمع ثلاثة : الملائكة ، والأنبياء ، والمسلمين ، وعلى الإنفراد من الملائكة أربعة ، ومن الأنبياء ثمانية عشر نبيا والنبي محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومن الفقهاء ثلاثين رجلا وامرأة .

أمّا الملائكة فهم : جبرائيل ، ومكائيل م وإسرافيل ، واللوح المحفوظ[39] .

(37) أبو محمد : هو عبد الله بن يحي الباروني والد المجاهد سليمان الباروني ولد بكباو ولم تتحقق لدينا سنة ميلاده ، إلا أن الشيخ محمد بن يوسف اطفيش قال عنه «والشيخ عبد الله بن يحي هو عالم وورع نفوسه وأظنه تربي» ، ولما كانت ولادة اطفيش على الثابت الصحيح سنة 1236 هـ . فيكون مولد عبد الله الباروني في هذا التاريخ أو قبله أو بعده بقليل . أخذ العلم عن مشائخه بجربة ثم انتقل إلى ليبيا وقد ملأ وطابه علما نفع به جبل نفوسة عند اشتداد ظلمة الجهل في أواخر العهد العثماني ، ومن تلاميذه الشيخ عمرو بن عيسى التندميرتي ، وعربي العزابي وغيرهما ، له ديوان شعر صغير ، ورسالة سلّم العامة والمتدئين ، توفي سنة 1912 م . وضريحه بكباو ملاصق مسجد أبي محمد الكباوي .

(38) مقرين بن محمد البغطوري نسبة لبلدة بغطورة خربة بالحرابة قريبة من بقيقلة وجربجن ، قال عنه الشماخي : «أحد الأشياخ الذين تمسكوا بالعلم واهتموا بالعمل ... إلى أن يقول : وذكر أنه أكل الكتاب (يعني سير أشياخ نفوسة) عام 599 هـ . في إجنون في عشرة الشيخ أبي يحي توفيق رحمه الله «انظر : السير ، مرجع سابق ، ص 548 ، وعلي مصطفى المصراتي . مؤرخون من ليبيا ، منشورات الشركة العامة للنشر ، سنة 1977 م ، ص 15 وما بعدها .

(39) لو قال : جبرائيل عن اللوح المحفوظ لكان أولى ، إذ أن الوحي لم يأت الرسول صلى الله عليه وسلم إلا عن طريق جبرائيل عليه السلام .

وأمّا الأنبياء فهم الذين ذكرهم الله في سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربّك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون ، أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[40] .

فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فبهداهم اقتده ، فاقتدينا نحن بالنبي عليه السلام كاقتدائه بالنبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

وأمّا الفقهاء من أشياخنا الذين أخذنا عنهم الدين فهم ثلاثون رجلا من عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا[41] ، وكلهم من نفوسة غير سبعة من غيرهم وهم : ابن عباس ، وجابر بن زيد الأزدي البصري ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري ، وإسماعيل بن درار الغدامسي ، وأبو مرداس مهاصر السدراتي ، والإمام عبد الوهاب ووالده الإمام عبد الرحمن ابن رستم الفارسي رضى الله عنهم أجمعين»[42] .

ثم بدأ يذكر أسماءهم فردا فردا حتى وصل إلى حملة العلم عن أبي عبيدة إلى

(40) الأنعام : الآيات 83 – 90 .

(41) أي زمن مقرين وهو أواخر القرن السادس .

(42) عبد الله بن يحيى الباروني ، (ت 1912 م) . سلّم العامة والمبتدئين . (تعليق : سليمان عبد الله الباروني ، القاهرة : مطبعة النجاح ، 1906 م ، ص 31 – 93 .

ليبيا حيث قال : «وأخذ أبو ذر[43] عن أبي مرداس[44] مهاصر السدراتي الساكن بتبرس ، وأخذه أبو مرداس عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الفارسي ، وأخذه عبد الوهاب عن أبيه عبد الرحمن (أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب) وأخذه عبد الرحمن عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري» .

وقال الشيخ مقرين رحمه الله من طريق آخر : ... وأخذه أبو ذر عن أبي خليل[45] الدركلي وأخذه أبو خليل عن أبي المنيب محمد[46] بن يانس ، وأخذه أبو المنيب عن إسماعيل بن درار الغدامسي (أحد حملة العلم الخمسة أيضا) ، وأخذه إسماعيل عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس وعائشة أم المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم»[47] .

هذا وإننا إذا ما تتبعنا نسبة الدين في تونس (جربة والجنوب التونسي) ووادي سوف وأريغ ووارجلان وميزاب بالجزائر ، وجبل نفوسة وزوارة بليبيا ، وهذه كلها مواطن الإباضية في زمن هذه النسبة نجدها تنتهي إلى حملة العلم من البصرة إلى المغرب وبالخصوص إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم ، وإسماعيل بن

(43) أبو ذرّ : هو أبان وسم النفوسي من بلدة ويغو بالحرابة قريبة آثارها من مرقس . ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الخامسة (200 – 250 هـ) أخذ العلم عن أبي خليل الدركلي وهو كبير ، وقد أعجب شيخه بما انتهى إليه فقال له «أعلم أن لكل زمان نذيرا وأنت نذير زمانك يا أبا ذر ! أنت الناس بما لا بأس به من الرخص «ولكلاته العلمية والاجتماعية عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب واليا على الجبل بعد وفاة العباس بن أيوب . راجع : الدرجيني ، مرجع سابق . ص 301 – 305 .

(44) أبو مرداس مهاصر التورستي أحد الذين جرت نسبة الدين على يديه ، ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الخامسة (200 – 250 هـ) كان زاهدا ورعا وعلما لكل الفضائل . قبره بآثار تبرست المقابلة لفرسطاء شمال شرقي كباو .

(45) أبو خليل صال الدركلي من علماء النصف الأول للقرن الثالث ، تلميذ لأبي المنيب محمد بن يانس ، أسس مدرسته تخرج منها علماء أجلاء منهم أبو ذر ، وكان من أكثر الناس عبادة وحمية للصلاة . انظر : الدرجيني ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 299 – 301 ، والشماخي ، السير ، مرجع سابق ، ص 211 – 213 ، وعلي يحي معمر ، الإباضية في الموكب . مرجع سابق ، الحلقة الثانية ، القسم الثاني ، ص 73 – 74 .

(46) أبو المنيب : هو محمد بن يانس الدركلي من علماء النصف الأول من القرن الثالث (200 – 250 هـ) . تلقى العلم عن إسماعيل بن درار الغدامسي وأحد العلماء الأربعة الذين أرسلوا إلى تيهرت لمناظرة المعتزلة في علوم القرآن وتفسيره زمن الإمام عبد الوهاب . راجع ترجمته : الدرجيني ، الطبقات المرجع نفسه ، ص 296 – 299 ، والشماخي ، نفس المرجع ، ص 165 – 170 .

(47) عبد الله بن يحيى الباروني . نفس المرجع ، ص 26 .

درار الغدامسي وأبي داود القبلى ، تنتهي إلى هؤلاء ثم إلى أبي عبيدة مسلم إلى التابعي الكبير أبي الشعثاء فالصحابة ، أمّا أبو الخطاب ، وعاصم السدراتي فيظهر أنه لم ينتسب إليهما طلبة العلم لوفاة عاصم بعد سنة واحدة من قدومه من العراق أي سنة 141 هـ ولانشغال أبي الخطاب بأمور المسلمين ، والدفاع عن كيان الإمامة حتى توفي سنة 144 هـ .

3 – إنتاج أبي عمرو الربيع بن حبيب العلمي ومكانته الاجتماعية والعلمية

أ – إنتاجه العلمي :

لقد أسهم أبو عمرو الربيع بن حبيب بجهود موفقة في ميدان العلم ونشره ، ولعل خير شاهد له في هذا المجال بعض من ذكرنا من تلاميذه العلماء الذين كانوا سرجا أناروا بعض أقطار العالم الإسلامي بعلمهم من أمثال : أبي أيوب وائل ، وأبي سفيان محبوب وغيرهما ، ولم تنته جهوده المخلصة عند صناعة عقول الرجال وتنمية مداركهم ، وشحذ عزائمهم لمواجهة ما تمليه ظروف الحياة المجددة المتطورة ، وإنما انتهج سبيل أستاذه الأكبر أبي الشعثاء جابر بن زيد في التدوين ، فكان من أوائل من دونّوا علم الشريعة في القرن الثاني الهجري ، حيث عمد إلى تقييد ما تلقاه مشافهة من شيوخه من كبار التابعين وصغارهم في التفسير والحديث والفقه ، فكان ما وصلنا مما دوّنه – عدا الذي عبثت به يد التلاشي :

1 – مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب في الحديث النبوي الشريف ، وأغلب روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2 – كتاب آثار الربيع : وقد رواه الربيع عن شيخه ضام بن السائب عن

جابر ابن زيد مقطوعا ، وقد جمعه أبو صفرة عبد الملك[48] بن صفرة ، ولم يطبع بعد[49] . ولعله من المفيد أن يسوق الباحث نماذج من هذه الرواية في ذلك الكتاب المخطوط فيما يلي :

☆ حدثنا أبو صفرة عبد الملك بن صفرة قال : حدثنا الهيثم عن الربيع بن حبيب عن ضام بن السائب عن جابر بن زيد الأزدي رضي الله عنه عن رجل قذف امرأته ولم يتلاعنا ولم يترافعا ، لم يريدا ذلك ثم مات أحدهما قال : يرثه صاحبه .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : الطعام[50] والصوم والعتق في الظهار قبل أن يتماسا .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : إن شاء المحرم باع ثيابه التي فيها وهو محرم واشترى غيرها .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء قال : في رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ثم مات ، قال : لا صداق لها ، وعليها العدة ولها الميراث . وقال أبو علي إمام الفقهاء : إن لها صداق نسائها ، أو من كان مثلها من أهل بيتها ، وروى ذلك عن ابن مسعود أن لها الصداق . قال : لو نجد ذلك عن ابن مسعود وعن ثقة لأخذنا به .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء في رجل طلق امرأته وهو مريض ؟ قال : ترثه ما دامت في العدة ، فإذا انقضت العدة فلا ميراث لها .

☆ الربيع عن ضام عن أبي الشعثاء أوصى أن تغسله امرأته .

☆ الربيع عن ضام وأبي نوح عن جابر بن زيد في المختلعة قال : لا يأخذ

---

(48) أبو صفرة : عبد الملك بن صفرة ذكره الشماخي في طبقة الربيع ، وقال عنه : «بلغ في العلوم فكان كبيرا ، وحاز منها شيئا كثيرا ، روى آثار الربيع عن ضام عن جابر وهو مشهور» . راجع : الشماخي ، السير ، ص 119 .

(49) مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم 21582 ب (القسم الأول من ورقة 73 – 80 في القرن العاشر الهجري ، انظر فهرست المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة 2 : 233 . راجع : فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي (تر : فهمي أبو الفضل ، ومحمود فهمي حجازي) ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة ، 1971 م ، مج : 1 ، ج : 1 . ص 267 .

(50) الإطعام .

منها أكثر ممّا أعطاها . وقال أبو علي : لا بأس إن أخذ أكثر مما أعطاها إذا كان ذلك بطيب من نفسها . والبصريون يقولون : لا يأخذ أكثر مما أعطاها .

☆ الربيع قال : أخبرنا أبو نوح قال : متع أبو الشعثاء امرأته بخمسين درهما والسعر يومئذ رخيص .

☆ الربيع قال : أخبرنا ضمام عن أبي الشعثاء في قراءة الظهر والعصر بفاتحة الكتاب لا يزيد على ذلك .

☆ الربيع عن ضمام عن أبي الشعثاء : إنه لم ير بأسا بالسواك للصائم في أول النهار ، وكرهه في آخره .

تلك هي نماذج من كتاب آثار الربيع الذي أشار إليه مصحح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب الإمام عبد الله بن حميد السالمي في تنبيهاته بأول الكتاب حيث قال : «وروايته (أي الربيع) عن ضمام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة[51]» ، ولعل من يقرأ هذه العبارة يتبادر إلى ذهنه أن للربيع مسندا حديثيا آخر غير المتداول عندنا رواه عن ضمام أحد شيوخه كما روى هذا المعروف عن أبي عبيدة مسلم ، إلاّ أن من هذه الأمثلة التي أوردناها يتبين له أن ماجمعه أبو صفرة للربيع عن ضمام إنما هو فتاوى فقهية لأبي الشعثاء جابر بن زيد وليس حديثا موقوفا عن صحابي أو مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

3 – فتيا الربيع : وهي إجابات عن أسئلة في مختلف فروع الفقه ، وسيورد الباحث نماذج منها عند حديثه عن (الربيع الفقيه) في فصل لاحق .

4 – إجابات حول أسئلة في الطهارة والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وردت في الغانية (المدونة الصغرى) والمدونة الكبرى لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني ضمن إجابات لنفس الأسئلة لكل من : وائل بن أيوب الحضرمي ، وأبي المورّج ، وعبد الله بن عبد العزيز ، ومحبوب بن الرحيل

(51) انظر : أبو عمرو الربيع بن حبيب (ت حوالي 170 هـ) . الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (تحق : عبد الله بن حميد السالمي . بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ ، ص 3 .

القرشي ، وحاتم بن منصور ، وأبي غسان بن مخلد بن العمود ، وابن عماد المصري ، وهؤلاء كلهم من تلاميذ أبي عبيدة مسلم ومن علماء الإباضية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

5 – آراء فقهية وكلامية ، وفتاوى متناثرة في جل كتب الفقه الإباضي وكتب الأصول الدينية ككتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، وكتابي القناطر وقواعد الإسلام لأبي طاهر إسماعيل الجيطالي ، والايضاح لأبي ساكن عامر الشماخي ، والنيل لضياء الدين عبد العزيز التيمني ، وغيرها من مؤلفات علماء الإباضية في عمان وحضرموت ، وخراسان ، والمغرب التي لايخلو منها مصنف واحد من آراء الربيع بن حبيب وعلمه .

ب – مكانته الاجتماعية والعلمية :

المصادر التاريخية القليلة التي تناولت حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب باختصار شديد – وكلها إباضية – تجمع على أنه كان يتمتع بمكانة مرموقة ، ومنزلة عالية في الأوساط الاجتماعية الإباضية ، ليس على مستوى المجتمع البصري أو العراقي – حيث نشأ وتعامل – فحسب ، وإنما كان ذلك على صعيد الأقطار العربية والإسلامية التي انتشرت بها الدعوة الإباضية في ذلك الحين .

فعندما مات أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة صارت الإباضية في المغرب – مصر – ليبيا وتونس والجزائر – وحضرموت وعمان وخراسان والسند ، يرجعون إليه في مهامّهم ومشاكلهم العلمية والسياسية والاجتماعية[52] . ولذا قال عنه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : «طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب الأصم ، ومن تشد إليه حبال الرواحل وترزم»[53] .

فَبِمَ نال الربيع بن حبيب تلك المكانة ؟ وكيف اكتسب هذه الشهرة دون غيره من علماء الإباضية الذين كان يزخر بهم ذلك العهد ؟!

(52) انظر : سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية ، مرجع سابق ، ص 153 .
(53) الدرجيني : مرجع سابق ، ج : 2 . ص 273 .

لعل هناك من الناس من يقول : ربما كانت تلك المكانة عظامية وراثية ، وامتدادا لمجد باذخ أو مال مؤثل (إذ أن كثيرا من الأبناء والأحفاد يحظون بالتبجيل والإكرام ، ويحاطون بهالة من التقدير والاحترام في ظل ما خلفه الآباء والأجداد من تراث مادي أو معنوي ... ! إلا أن هذا الظن يشجبه ، ويسقط قواعده من أساسها إغفال المؤرخين الذين كتبوا عن الربيع لأسرته ، وعدم تعرضهم لها بتاتا ، فلو كانت بتلك المنزلة العظامية ، وبذلك الشأن من الثراء لشادوا بذكرها – حتما – ولملأوا صحائف الكتب بتالد مجدها الغابر ، وطارف حاضرها الزاهر ، كما فعل ويفعل بمن ذاك شأنه .

وكل الذي نعلمه عن أسرة الربيع بن حبيب أن والده حبيبا كان أحد تلامذة أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأنه من المنتقدين عليه صلاته وراء ابن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي ، وأن له أخا – لم يذكر اسمه ، وهل كان أصغر منه أو أكبر ، أو كان متعلما أو غير متعلم – قد بعثه إلى تيهرت بسلة اشتراها «باثني عشر ألف درهم كان بعث بها إليه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي إعانة له ، فكلّف بها الإمام بعض تجار فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه»[54] .

وأمّا الناحية الاقتصادية للربيع وأسرته فالمصادر التي بيننا لم تسعفنا بشيء من الحديث عنها ، فلو أنه كان غنيا ماتخلف اسمه عن قائمة أولئك الأثرياء الإباضيين في البصرة[55] من أمثال : أبي الحر علي بن الحصين العنبري ، وقرة بن عمرو ، والفضل بن جندب ، والنظر بن ميمون ، وأبي عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم ، وغيرهم من الذين بذلوا الأموال ناشطة سخية لفقراء أهل الدعوة ، وفي سبيل نشر الحركة الإباضية ، ونصرة القائمين بذلك : كأبي يحيى عبد الله بن يحيى

(54) سليمان عبد الله الباروني ، (ت 1945 م) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية ، لا . ت . ص 164 .

(55) راجع : عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية . عمان : مطابع الشعب ، 1978 م ، ص 114 – 115 .

الكندي طالب الحق ، وقائده أبي حمزة المختار بن عوف الشاري ، وعبد الرحمن بن رستم ، بل إن هناك إشارة تاريخية تدل أو توحي بأن الربيع بن حبيب فقير عجز في سنة من السنوات عن السفر إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ، والقيام بواجبه نحو إخوانه المسلمين الوافدين من أقطار العالم الإسلامي . فلنستمع إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل يحدثنا في هذا الخصوص فيقول : «اجتمع وائل بن أيوب ، والمعتمر بن عمارة ، وجماعة إلى الربيع ، فسألوه أن يخرج إلى الموسم فقال : لا أقدر ، وما عندي ما أتحمّل به ، فمشوا إلى رجل من المسلمين يقال له : النظر بن ميمون ، وكان رجلا موسرا من تجار الصّين ، أعلموه بقوله ، فأتاه بأربعين دينارا فقال : حجّ بها ، فلم يقبلها منه وكان به خاصا . فجاء وائل والمعتمر فقالا له : سبحان الله ياأبا عمرو ! تعلم حاجة الناس إليك ، وكنت اعتللت بأنك لا تجد ما تحمل عليه فلما جاءك الله بما تتمتع به أبيت أن تقبل !.

قال : إنه قال لي : خذها على أنّك تحج بها ، ولست أقبلها على شرط . فأتيا إلى النظر فأعلماه بما كره من قوله فاعتذر قائلا : والله ما علمت أنه يكره ذلك ، والآن خذاها أنتا فادفعاها إليه ، فأبى أن يقبلها بعد ذلك»[56] .

مما ذكر نستنتج أن تلك المكانة التي نالها الربيع في أوساط أهل زمانه من الإباضية ليست عظامية موروثة ، وإنما كانت عصامية مكتسبة ، قد انتزعها انتزاعا من ذلك المجتمع الذي لايعترف بالجاه الزائف ، ولا يقيم لأعراض الدنيا الزائلة وزنا .

نال الربيع تلك المنزلة الرفيعة بما حباه الله تعالى به من الورع ، والتقوى ، والأمانة ، والإخلاص ، والعلم والعمل لما فيه خير الصالح العام ونفعه .

والنصوص الآتية مما قاله عنه من عاصره وعاشره وتعامل معه تؤكد صدق ما نعت به من تلك الأوصاف :-

(56) الدرجيني ، الطبقات . مرجع سابق ، ج : 2 . ص 273 – 374 .

☆ قال أناس من أهل البصرة : انظروا لنا رجلا ورعا قريب الإسناد حتى نكتب عنه ونترك ما سواه . فنظروا فلم يجدوا غير الربيع بن حبيب ، فطلبوا منه ذلك ، وكان يروي لهم عن ضام عن جابر بن زيد عن ابن عباس رحمهم الله ، فلما خاف أن يشيع أمره أغلق بابه على نفسه دونهم إلاّ من أتاه من إخوانه المسلمين»[57] .

☆ قال أبرهة بن عطية من أهل الشام عندما حجب الربيع عنه مجلسه ، لما بلغه عن وائل بن أيوب الحضرمي ، والمعتمر ، وعبد الملك الطويل أنّه أفسد هو وأبوه أهل خراسان بدعوتهم لهم بقول أهل القدر ، قال أبرهة : «ماكنت أظن أن الربيع في فضله وورعه وعلمه وحلمه يرد مثلي ، وإنما أسأله عما ينتفع به الناس من أمر دينهم»[58] .

☆ لما أصاب أبا عبيدة الفالج ، وحضر خروج الناس إلى الموسم[59] ، ومضى حاجب إلى أبي عبيدة وعبد الله بن عبد العزيز ليبعثه مع الربيع إلى الموسم ، فأبى أبو عبيدة وقال : لا أفعل ، فقيل له : فالمثنى بن المعرّف . قال : نعم . فبعث إلى المثنى في ذلك . قال : ما كنت لأفعل ، أخرج مع الربيع ؟! والربيع حاله في فضله وسنه ومعرفته على ما تعلمون ! فما أشير عليكم أن تبعثوا غلاما حدثا مثلي مع الربيع ، فيقال : لم نجد من نبعث إلى الموسم إلا هذا الغلام ! وفي الربيع كفاية عمن سواه فبلغ قوله أبا عبيدة فازداد في نفسه له محبة ، وازداد عندهم بذلك رضى ، قال أبو عبيدة : صدق المثنى . فتوجّه الربيع للناس يومئذ[60] .

(57) السالمي ، حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، مصدر سابق ، ج : 1 ، ص 4 .

(58) انظر : أ – الدرجيني . نفس المرجع . ص 277 .
ب) – الشماخي . مرجع سابق ، ص 104 .

(59) يقصد هذا بالموسم موسم الحج ، وكان من عادة أبي عبيدة مسلم أن يعدّ له سرادق في عرفات ومنى يجتمع له فيه حجيج الإباضية من الأقطار الإسلامية يستفتونه في أمر دينهم ، ويستشيرونه في شؤونهم الدنيوية ، فلما مرض وعجز رشح الربيع بن حبيب مكانه ، وكان ذلك بداية لاختياره مكان شيخه أبي عبيدة .

(60) أ – الدرجيني . نفس المرجع ، ص 276 .
ب – الشماخي . نفس المرجع ، ص 102 .

☆ قال أبو سفيان : «سمعت أبا طاهر ذكر الربيع عند أبي عبيدة فقال : فقيهنا ، وإمامنا ، وتقينا»[61] وفي رواية : «تقينا وأميننا وثقتنا»[62] .

☆ «لقد كان في البصرة بمنزلة إمام البيعة مع الإباضية ، فلا يقدمون أمرا ولا يؤخرونه إلاّ بمشورته ، وكانوا يؤدون إليه زكاة أموالهم ليضعها حيث شاء ، قال أبو سفيان – وكان ربيبه – كتب إلَيّ الربيع أن آتيه ، ولا أصوم[63] في اليوم الذي آتيه فيه ، فأتيته ، فأعطاني حمارا وقال : اركب هذا الحمار في أحياء البصرة ، فطف واكتب لي من كان من المسلمين[64] . فركبت الحمار ، وجعلت أستخرج من على رأي المسلمين من أحياء البصرة ، وأكتبهم حتى بلغوا ثمانمائة وألف ، ووجدت نساء من المسلمين قد تزوجن برجال من قومنا قد ماتوا ، وخلفوا أيتاما معهن ، ولم يكن الربيع أمرني فيهم بشيء ، فكتبتهم وميزتهم ، ليرى رأيه فيهم ، فلما رجعت إليه وعرفته ، أعطى أولئك اليتامى الذين من قومنا رحمة لأمهاتهم»[65] .

☆ لمّا وقع الخلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي والذين أنكروا إمامته[66] رضي الفريقان الربيع بن حبيب حكما بينهما ، وذلك في العقد الثامن بعد المائة ، فكتب إليهم ما نصّه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين . أما بعد : فقد بلغنا يا إخواننا ما كان قبلكم ، وفهمنا ماكاتبتمونا به . أما ما كتبتم به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة ألا يقضي

(61) الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 276 ن

(62) الشماخي ، مرجع سابق ، ص 103 .

(63) يعني صوم التطوع ، إذ أن أبا عبيدا كان صواما – على مايبدو – .

(64) يقصد بالمسلمين هنا : الإباضية .

(65) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية ، مرجع سابق م ص 153 – 154 .

(66) راجع : أ – أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ، (ت 471 هـ) سير الأئمة وأخبارهم ، (تحقيق : إسماعيل العربي) ، الجزائر : المكتبة الوطنية ، 1979 م ، ص 58 – 59 .
ب – سليمان عبد الله الباروني ، مرجع سابق ، ص 50 .
ج – سالم بن حمد الحارثي . نفس المرجع ، ص 154 – 155 .

أمرا دون جماعة . ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ، ولا حد ، ولعطلت الحدود ، وبطلت الأحكام ، وضاع الحق . على أن الإمام إذا قدّم إليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا ! أوزنى أحد فلا يرجم ، ولا يجلد حتى تحضر أيضا ، ولا يجاهد الإمام عدّوا ، ولا ينهى عن فساد إلاّ بحضرة الجماعة المعلومة ، والجماعة يتعذر اتفاقها . «فالإمامة صحيحة والشرط باطل» .

وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم منه ؟ فذاك جائز ، إذا كان الثاني من القناعة والفضل بمنزلة حسنة ، فقد ولي أبو بكر الصديق وضي الله عنه ، وزيد بن ثابت أفرض منه ، وعلي بن أبي طالب أقضى منه ، ومعاذ بن جبل أعلم منه ، وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«أفرضكم زيد ، وأقضاكم علي ، وأقرؤكم أبي ، وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»**[67] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : **«معاذ بن جبل سيدّ العلماء ، سيحشر غدا يوم القيامة أمام العلماء»**[68] .

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[69] .

☆ عندما توجه الإمام عبد الوهاب يريد أداء فريضة الحج مرّ بجبل نفوسة ، فاجتمعت عليه جموع نفوسة ، فأخبرهم بما عزم عليه من قصد الحج . فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رأيت المقام فعلت فإنا نخشى عليك من المسودة[70] ، فإنهم إن علموا بمسيرك عن بلادك وتوّجهك إلى بلادهم لم تسلم من آفة تصيبك منهم ، من قتل ، أو سجن ، أو نكال ، وقد تعّين عليك القيام بأمور

(67) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ط 3 ، القاهرة : دار القلم ، 1966 م ، ج : 1 ، ص 36 .

(68) سليمان عبد الله الباروني ، مرجع سابق ، ص 107 – 108 .

(69) انظر : أ – أبو زكرياء يحي بن أبي بكر . مرجع سابق ، ص 59 .

ب – الدرجيني ، الطبقات ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 49 – 50 .

ج – سليمان الباروني ، مرجع سابق ، ص 107 – 108 .

د – سالم حمد الحارثي ، العقود الفضية . مرجع سابق ، ص 154 – 155 .

(70) لقب للعباسيين إذ كان شعارهم السواد .

المسلمين ، والنظر فيما يجمع كلمتهم ، ويصلح شأنهم ، فإقامتك فيهم آكد وأوجب . فقد علمت أنك لو غبت لضاعت الحقوق وتفرقت الكلمة .

فأرسل الإمام عبد الوهاب إلى إخوانه بالمشرق ، وكان المقدم في ذلك العصر في العلم والورع والفضل أبا عمرو الربيع بن حبيب رحمه الله ، وابن عباد المصري ... فأجابه الربيع : بأن من كان مثلك في العناية بأمور المسلمين ومحل أمانتهم ، وخاف على نفسه من أهل الجور والبغي ، فينبغي له أن يستأجر من يحج عنه وهو حي ، وأمّا ابن عبّاد المصري[71] فأجاب ، بأن من كان على هذه الصفة فليس عليه حج ، لأنّ أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه . فلما قدمت الرسل بالجوابين أخذ بجواب الربيع ، وأرسل من حج عنه[72] .

هذا ونرى الربيع بن حبيب قد ألزم الإمام عبد الوهاب بإنابة من يحج عنه ، اعتمادا على وجوب الحج في ماله – حينما انعدم أمن طريقه – وهذا ما يسمّى عند الفقهاء (باستطاعة النيابة مع العجز عن المباشرة)[73] ، والأصل في ذلك ما روي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان الفضل بن عباس – وهو أخي – رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله ! إن فريضة الله على العباد في الحج وقد أدركت أبي شيخا كبيرا لايستطيع أن يثبت

(71) هو محمد بن عباد المصري أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم ، فقيه مفت بمصر ، وهو ممن روى عنهم أبو غانم الخراساني في مدونته .

راجع ترجمته : الشماخي . مرجع سابق ، ص 121 – 122 .

(72) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ، مرجع سابق ، ص 76 .

(73) راجع : أ – عامر بن علي الشماخي (ت : النصف الأخير من القرن الثامن) الإيضاح . ط : 2 . بيروت : مطبعة الوطن ، 1971 م ، ج : 2 . ص 229 .

ب – محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت 595 هـ) بداية المجتهد ونهاية المقصد . بيروت : دار الفكر م لا . ت . ج1 ص 233 – 234 .

على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ فقال : أفرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أفكنت قاضية عنه ؟ قالت : نعم . فقال : فذا كذلك»[74] .

ففي هذا دليل على أن وجود المال هو الإستطاعة[75] .

وأمّا ابن عباد المصري فإنه أسقط الحج عن الإمام لأخذه بما يعبّر عنها الفقهاء (بالاستطاعة المباشرة)[76] والتي من شرطها الاستطاعة بالبدن والمال مع الأمن ، وعملا بالقياس الذي يقتضي أن العبادات لا ينوب فيها أحد عن أحد ، فإنه لا يصلّي أحد عن أحد باتفاق ، ولايزكي أحد عن أحد[77] .

ولعل هناك من يسأل أو يتساءل لماذا بعث الإمام عبد الوهاب بسؤاله ذاك إلى الربيع بن حبيب وإلى ابن عباد المصري ، أليس في جبل نفوسة الذي كان بين ظهرانيه وقتئذ علماء يرجع إليهم في المسألة ؟ ولم لم يكتف بابن عباد المصري الذي كان أقرب مكانا من الربيع إليه ؟ ولِمَ لم يأخذ بفتوى ابن عباد وأخذ برأي الربيع ؟.

والجواب عن الفقرة الأولى من السؤال يتعين ببلى . لقد كان في جبل نفوسة عند مقدم الإمام الرستمي إليه جم غفير من العلماء الفطاحل ، وأجلة الفقهاء الذين استنار المغرب الأدنى والأوسط بعلمهم ، من أمثال : محمد بن عبد الحميد الجناوني المعروف بابن مغطير[78] الذي تتلمذ على أبي عبيدة مسلم بالبصرة وعاد

(74) رواه الخمسة .

(75) عامر بن علي الشماخي ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(76) و (77) ابن رشد : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(78) ابن مغطير كان أول من فكر في البعثات العلمية إلى أبي عبيدة مسلم في البصرة وابتدأ بنفسه ، وحمل عنه العلم ورجع إلى ليبيا قبل أن يسافر حملة العلم إلى العراق سنة 135 هـ وصار مرجعا في التدريس والفتوى إلى أن تخرجت البعثة العلمية في البصرة ورجعت إلى المغرب ، فأمسك عن الفتوى معتذرا بأن حملة العلم أولى بالفتوى لأنهم أخذوا عن الإمام أبي عبيدة بعد أن حرر جميع الأقوال ، راجع ترجمته في : علي يحيى معمر ، مرجع سابق ، الحلقة الثانية ، القسم الأول ، ص 27 – 30 .

إلى ليبيا قبل سفر حملة العلم إلى المغرب إليها ، ومهدي[79] النفوسي المتكلم المروف الذي ناظر المعتزلة بتاهرت وأفحمهم ، وأبي زكرياء التوكيتي[80] الذي وصفه أحد العمانيين عندما سئل في أثناء زيارته إلى تاهرت زمن الإمام عبد الوهاب عن حال جبل نفوسة بقوله : «الجبل هو أبو زكرياء ، وأبو زكرياء هو الجبل» . وأبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي اختاره علماء الجبل وأهله إذ فوضهم الإمام عبد الوهاب واليا على الجبل بعد وفاة عامله عليه أيوب بن العباس ، وأبي مرداس مهاصر التبرستي السدراتي أحد الذين جرت نسبة الدين على أيديهم ، وغير هؤلاء كثير . ثم إن الإمام نفسه من كبار علماء عصره حيث أخذ العلم عن اثنين من حملة العلم ، والده عبد الرحمن بن رستم ، وأبي داود القبلي .

وأن هاته المسألة لاتعجز أحدا من هؤلاء فقها ، ولكن مكانة الربيع الاجتماعية والعلمية – كما أشار الباحث – جعلت هؤلاء العلماء لايقطعون أمرا – مهما كان نوعه – دون الرجوع إليه ، باعتباره الإمام الروحي ، ووارث مكانة شيخه أبي الشعثاء ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة اللذين يرجع لهما الفضل في تأسيس حركة أهل الدعوة (الإباضية) .

(79) مهدي النفوسي : ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الخامسة (200 – 250 هـ) وقال عنه : «قرم الجدال ، ومدره النضال ... الرادع لقيام أهل البدع والضلال» . وهو أحد الأربعة الذين أوفدوا إلى تاهرت لنجدة الإمام عبد الوهاب ، وكان أوفد خصيصا لمجادلة المعتزلة ، وهو أيضا من الذين تصدوا لمكايد نفاث الذي شق عصا الطاعة عن الإمام . راجع : الدرجيني . مرجع سابق ص 313 .

(80) أبو زكرياء التوكيتي نسبة إلى توكيت خربة جنوب تمزدة بالرحيبات وبها ضريحه ذكره الدرجيني من علماء الطبقة الخامسة (200 – 250 هـ) وقال عنه : «كان عالما لكل الفضائل ، ومعلما لكل ناهل» ، ولما اعتذر أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني عن ولاية الجبل زمن الإمام عبد الوهاب بعث إلى مشائخ الجبل يقطع عذره فقال : «إن كان ضعيف البدن فإن الله يقويه إذا تولى أمور المسلمين ، وإن كان ضعيف المال ففي بيت المال مايسعه ويسع غيره وإن كان ضعيفا في العلم فعليه بأبي زكرياء التوكيتي . راجع سيرته :-

أ – الدرجيني ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 291 – 294 .

ب – الشماخي ، السير ، مرجع سابق ، ص 182 .

ج – سليمان عبد الله الباروني ، الأزهار ، مرجع سابق . ص 153 .

د – علي يحيى معمر ، الإباضية في المركب . مرجع سابق ، الحلقة الثانية – القسم الثاني ، ص 45 – 46 .

وبذلك أيضا لم يقتصر الإمام عبد الوهاب في إستفتائه على ابن عباد المصري الذي كان أقرب مكانا من الربيع ، ورّجح فتوى الربيع على فتواه .

ومن خلال ما ساقه الباحث مما تيسّر له من النصوص التي أشادت بأخلاق أبي عمرو الربيع وصفاته من زهد ، وورع ، وتقوى ، وسداد رأي ، وعلم ، وأمانة يتبيّن أن الهالة التي أحاطها به معاصروه من أهل الدعوة (الإباضية) من التقدير والمحبّة والاحترام كان لها أهلا وبها جديرا ، ولمثل هذا فليعمل العاملون و في ذلك فليتنافس المتنافسون .

وإليه في أشرف ميدان ، وأعظم مجال . إليه رحمه الله محدثا في الرعيل الأول . وراوية ثقة عن الرواة الرواد .

الباب الثالث

☆ الباب الثالث ☆

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدث .. وفيه :

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ مساهمة علماء الإباضية في تدوين السنة .
- ☆ نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وكيفية تلقيه .
- ☆ جهود أبي عمرو في أداء ماتحمل من الحديث .
- ☆ نماذج ممّا جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من أحاديث ، وعدد ما يتضّمنه منها .
- ☆ عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه و ما قيل في حقه .

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه :-

- ☆ مقدمة الفصل .
- ☆ معنى الفقه لغة واصطلاحا .
- ☆ الفقيه والصفات التي يجب أن تتوفّر فيه .
- ☆ المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها الربيع بن حبيب .
- ☆ نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب ، وبعض أقواله التي لم يجر العمل بها في المذهب .
- ☆ وفاة الربيع .

الربيع بن حبيب الفراهيدي المحدث

مقدمة الفصل :

يعتبر مطلع القرن الثاني الهجري مبعث حركة نشيطة لتدوين الحديث النبوي الشريف ، وبداية جادة لجمع السنة المطهرة وإخراجها من حيز الصدور إلى عالم السطور ، وذلك بعد ما تخطى الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز (99 – 101 هـ) – بأمره الرسمي الجريئ بهذا العمل – ذلك الحاجز الذي أقيم لمنع الكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم ، خشية التباس أقواله عليه الصلاة والسلام ، وشروحه ، بالقرآن العظيم . ولاسيما إذا كان ذلك في صحيفة واحدة . فقد جاء فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم : **«لاتكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، حدثوا عني ولاحرج ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»**[1] .

فعل هذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد ما استند – في أغلب الظن – إلى آراء العلماء ، واطمأن إلى تأييد كثرتهم[2] ، وذلك لخوفه على دروس العلم وذهاب أهله . فقد أورد الإمام البخاري في هذا الخصوص ما نصه : «وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلّم من لا

---

(1) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ) ، صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، لا ت . ج : 8 ، ص 229 .

(2) انظر : صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ط : 6 . بيروت : دار العلم للملايين ، (1971 ، ص 44) .

يعلم ، فإن العلم لايهلك حتى يكون سرّا»[3] ، وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق : «انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه»[4] .

هذا ما حمل ابن عبد العزيز على تدوين السنة من جهة ، ولحرصه الشديد – من جهة أخرى – على سلامة الحديث من الكذب والوضع اللذين فشيا وانتشرا بين الأوساط الإسلامية على إثر انقسام المسلمين على أنفسهم .شيعا وأحزابا بقيام الفتنة الكبرى وما تلاها من أحداث سبقت الإشارة إليها في فصل سابق .[5] وفي هذا المعنى يقول محمد بن شهاب الزهري (ت 124 هـ) وهو أحد أئمّة الحديث والسنة ، ومن أوائل من كتب لعمر بن عبد العزيز : «لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق[6] ننكرها ، ولا نعرفها ما كتبنا حديثا ، ولا أذنت في كتابه»[7] .

ومنذ ذلك التاريخ قام العلماء في كل مصر بما ندبوا إليه خير قيام ، وأقبلوا على جمع الأحاديث والسنن والآثار ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، ومقبولها من مردودها ، وأخذت الحركة العلمية التدوينية تزدهر يوما بعد يوم في أنحاء الدولة الإسلامية وإن لم تظهر المؤلفات إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

1 – مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث النبوي والسنة المطهرة

كان أئمّة الإباضية من أوائل من أسهموا بجهودهم المخلصة في حركة التدوين المباركة التي حفظت للأمّة الإسلامية أصلها التشريعي الثاني بعد كتاب الله

(3) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . (ت 852 هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري . بيروت : دار المعرفة ، لا. ت. ج : 1 ، ص 174 .
(4) العسقلاني . نفس المرجع . نفس الصفحة في الشرح .
(5) انظر : الفصل الثاني من الباب الأول ، الفقرة : 2 .
(6) يقصد العراق وقتئذ وتسمى (بدار الضرب) .
(7) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، (463 هـ) . تقييد العلم . (محق : يوسف العش) . ط : 2 . القاهرة . دار إحياء السنة النبوية ، 1975م ، ص 108 .

العزيز . يقول الدكتور مصطفى الشكعة في كتبه (إسلام بلا مذاهب) : ... وهم (أي الإباضية) أوّل من دوّن الحديث ، وأول من قام بذلك جابر بن زيد المتوفى سنة 93 هـ جمع الحديث في كتاب أسماه «ديوان جابر» ، ولكن هذا الديوان مفقود بكل أسف ، ثم رسم على منواله الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش حوالي منتصف القرن الثاني ، وكتابه معروف باسم «مسند الربيع بن حبيب» وهو مطبوع متداول»[8] .

وقال المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سابقا في مقدمته للجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي : «ومن يمن الطالع على الحديث أن يكون الربيعان الربيع بن صبيح ، والربيع بن حبيب في طليعة ركب الجامعين للحديث ، والمصنّفين فيه ، ومن الأسف أنا لا ندري شيئا عن مصير مسند ابن صبيح ، وعسى أن يهتم بذلك الباحثون عن نفائس المخطوطات ، ومن لطف الباري أن أبقى لنا مسند سميّه الربيع بن حبيب ، ثم من نعمته عليّ أن وفقني لإعادة نشره مع شرح علاّمة عمان عبد الله بن حميد السالمي ، ولمّا يطّلع على المسند وشرحه من علماء مصر والشام والعراق إلاّ قليل»[9] .

وهناك أيضا في الرعيل الأول من أئمّة الحديث من الإباضية غير أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي رجال ثقات روى عنهم بعض أئمّة الحديث ، ووثقهم نقاد الحديث واعترفوا بصدقهم ، فلنستمع إلى المغفور له الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش[10] يحدثنا عنهم في كتابه (نقض شبهات المؤرخين) فيقول :

(8) مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب . ط : 3 . لا.ت. 1979م ، ص 169 .
(9) عبد الله بن حميد السالمي ، (ت 1332 هـ) ، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . (تحقيق : عز الدين التنوخي . دمشق : المطبعة العمومية ، 1963 م ، ج : 3، ص ، د و ، هـ .
(10) أبو إسحاق اطفيش : أحد أعلام النهضة الجزائرية الحديثة الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى تونس ثم إلى مصر . استقر بالقاهرة موظفا بدار الكتب المصرية ، وتفرغ للعلم والبحث والتحقيق ، خدم التراث العلمي الإباضي خدمة

«وأصحابنا أقرب إسنادا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشد تثبيتا ، وأبعد عن الضعف في الحديث ، بشهادة أئمة الحديث من سائر الطوائف حتى قالوا عنهم : إنهم أصدق الأمة حديثا ، وهو الحق الذي لا شبهة فيه .

فقد روى البخاري عنهم ، ومالك بن أنس الايحصبي[11] المدني كان من أصحابنا من هم شيوخه :

كثير بن زيد الديلي – بكسر الدال – المدني مات سنة 135 هـ وثقه يحي بن معين ، وابن زرعة والنسائي وغيرهم . وقال ابن عبد البر صدوق لم يتهمه أحد .

ومن شيوخ مالك الإباضية : **دواد بن الحصين المدني** مات سنة 135 هـ ، وثقه العجلي و ابن معين ، وابن إسحاق ، وابن سعد ، والنسائي ، وسئل مالك كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن زيد ، وذكر غيرهما ؟ فقال : **«لأن يخروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا ...»** .

وكان من أئمة أصحابنا بالمدينة : **محمد بن عباد المدني** : وهو معاصر للإمام الحافظ الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي إمام الحديث بالبصرة ، وكلاهما من منتصف القرن الثاني .

وفي رسائل ابن تيمية أنه قال : **«لا يعرف عن أحدهم الكذب قط»** .

ومن رجال الحديث الإباضية . **الوليد بن كثير القرشي المخزومي** المدني نزيل الكوفة ، وثقة ابن معين ، وأبو داود ، والبخاري ، والآجري ،

== جليلة ، فقد حقّق ، وصحّح وعلّق على مجموعة من المؤلفات الإباضية منها : شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب لعبد الله بن حميد السالمي الجزأين الأول والثاني ، وتحفة الأعيان للسالمي نفسه ، وشرح النيل الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر لمحمد قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش ، والذهب الخالص اطفيش عمه أيضا ، وتعليق على كتاب الوضع لأبي زكرياء يحيى بن الخير الجناوني ، وله كتاب نقض الشبهات ، والدعاية إلى سبيل المؤمنين ، ورسالة النقد الجليل للعتب الجميل ، وغيرها من الرسائل ، وشارك في تحقيق تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، وكان محرر مجلة المنهاج التي اشتهرت بالدفاع عن قضايا الإسلام والعروبة بصفة عامة ووطنه الجزائر بصفة خاصة . توفي رحمه الله سنة 1966م . بالقاهرة .

(11) لعله أراد : الأصبحي .

مات سنة 151 هـ **وأبو نوح صالح بن لوح الدهان** البصري أخذ عن جابر بن زيد ، **وحيان ابن الأعرج البصري** وثقه ابن معين ، وأخذ عن جابر **وصحار ابن العباس العبدي** ، كان من أخص أصدقاء الإمام جابر ، وشيخ الإمام أبي عبيدة مسلم وكان من خطباء عمان وأدبائها ، وهو أول من ألّف في الأدب ، وله تأليف في أمثال العرب ، ذكره ابن النديم في الفهرست[12] ، وابن الأثير في كامله[13] . قيل : إنّه كان عثمانيا . **وحاجب بن عمرو الثقفي** أبو خشيلة البصري ، روى عن عمه الحكم بن الأعرج ، وابن سيرين ، والحسن البصري ، وهو معدود من الثقات ، وروى عنه ابن عون وهو أكبر منه سنا ، وشعبة وهو من أقرانه ، وحماد بن زيد ، وابن عليه ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، ووكيع ، والقطان ، وأبو نعيم صاحب الحلية ، وسمع منه ابن عينية وقال : سمعت حاجبا . ووثقه أحمد بن حنبل ، ويحي بن معين ، والعجلي ، وقال اللآجري عن أبي داود : «رجل صالح» وذكره «ابن حبان في الثقات» وكان رأسا في الإباضية قائما بمهمتهم الكبرى ، وكان عونا للإمام أبي عبيدة ، توفي سنة 158 هـ وتوفي بعده أبو عبيدة بمدة قصيرة»[14] .

هذا وعلى ذكر أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لشيخي مالك بن أنس : ثور بن زيد الديلي ، وداود بن الحصين الإباضيين ، وإشارته العابرة إلى ما قاله عنهما ابن عبد البر فإن الباحث لا يسعه إلا أن يثبت ما قاله عنهما في كتابه (التهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وكذلك ما روى عنهما الإمام مالك من أحاديث باستفاضة وتفصيل .

---

(12) جاء في الفهرست للنديم : وصحار بن العباس ، أحد النسابين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وله مع دغفل أخبار ، وكان صحار عثمانيا من عبد القيس ، وروى عن النبي حديثين أو ثلاثة ، وله من الكتب كتاب الأمثال . راجع : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم (ت 380 هـ) ، كتاب الفهرست ، (تحق : رضا – تجدد) ، لا. ب. لا. ت 380 ، ص 102 .

(13) علي بن محمد بن الأثير الجزري ، (ت 830 هـ) . الكامل في التاريخ ، بيروت : دار الفكر 1978م . ج :2 . ص 144 .

(14) سالم محمد بن يعقوب الجربي «مقتطف من كتاب نقض شبهات المؤرخين» مخطوطة ، تونس : جربة ، لا. ت. ص50 – 54 .

أولا : ثور بن زيد الديلي : هو من أهل المدينة صدوق روى عنه مالك بن أنس ، وسليمان بن بلال ، وأبو أويس ، والدّراوردي لم يتهمه أحد بالكذب ، وكان ينسب إلى رأي الخوارج والقول بالقدر[15] ، ولم يكن يدعو إلى شيئ من ذلك . قال أحمد بن حنبل : هو صالح الحديث وقد روى عنه مالك .

قال أبو عمرو : كأنه يقول : (أي أحمد بن حنبل) حسبك برواية مالك عنه .

توفي ثور بن زيد هذا سنة خمس وثلاثين ومائة ، لا يختلفون في ذلك ، وذكر الحسن بن علي الحلواني عن علي بن المديني قال : كان يحيى بن سعيد يأبى إلاّ أن يوثق ثور بن زيد وقال : إنما كان رأيه ، وأما الحديث فإنه ثقة ، إلى أن يقول : لمالك عنه في الموطأ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث ، أحدها مسند متصل ، والثلاثة منقطعة ، يشركه في أحد الثلاثة حميد بن قيس . والأحاديث بأسانيدها هي :

1 – مالك ، عن ثور بن زيد الديلي ، عن أبي الغيث سالم مولى بن مطيع ، عن أبي هريرة أنه قال : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم م عام خيبر ، فلم نغنم ذهبا ولا ورقا ، إلاّ الأموال ، الثياب والمتاع ، قال : فأهدى رفاعة بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما أسود يقال له : مدعم ، فوجه[16] رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ، حتى إذا كانوا بوادي القرى ، بينما مدعم يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر[17] فأصابه فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة . فقال رسول الله : **«كلاّ ، والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»** ، قال : فلما سمع الناس ذاك ، جاء رجل بشراك[18] أو

(15) الإباضية لا يقولون بالقدر ، ولعل الرواية التي ساقها الدرجيني في طبقاته والتي ألمح إليها الباحث في الفصل الثالث من الباب الثاني الفقرة 3 ، بشأن طرد أبرهة بن عطية من مجلس الربيع بن حبيب لإفساده هو وأبوه أهل خراسان بدعوتها لهم بقول أهل القدر . هذه الرواية خير شاهد على بعد الإباضية عن هذه الجماعة .

(16) (ووجّه) أي توجّه .

(17) عائر : أي لا يدري من رمى به . وقيل هو الحائد عن قصده .

(18) شراك : سير النّعل على ظهر القدم .

شراكين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله : **«شراك أو شراكان من نار»** .

2 – مالك عن ثور بن زيد الديلي عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : **«لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»** .

3 – مالك عن ثور بن زيد الديلي أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«أيما دار أو أرض قسّمت في الجاهلية فهي على قسم الجاهلية ، وأيما دار أو أرض أدركها الإسلام ولم تقسم فهي على قسم الإسلام»** .

4 – مالك عن حميد بن قيس وثور بن زيد أنهما أخبراه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدهما يزيد في الحديث على صاحبه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فقال : **«ما بال هذا ؟»** قالوا : نذر ألا يتكلم ولا يستظل ولا يجلس ويصوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليجلس ، وليتم صيامه»**[19] .

ثانيا : داود[20] بن الحصين أبو سليمان مولى عبد الله بن عمرو بن عثمان ، كذا قال مصعب الزبيدي . وقال ابن إسحاق : داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان مدني جائز الحديث . وقال يحيى بن معين : داود بن الحصين ثقة . قال مالك رحمه الله : كان لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في الحديث ، قال ذلك فيه وفي ثور بن زيد ، وكانا جميعا ينسبان إلى القدر وإلى مذهب الخوارج ، ولم ينسب إلى واحد منهما كذب ، وقد احتملا في الحديث وروى عنهما الثقات الأئمة ... وتوفي داود بن الحصين بالمدينة سنة خمس وثلاثين ومائة وهو

(19) انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد البر ، (ت 463 هـ) . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . (تحق : هيئة من العلماء العاملين بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية) المحمدية بالمغرب : مطبعة فضالة ، لا. ت. ج : 2 ، ص 1 وما بعدها .

(20) نفس المرجع . ص. 31 .

ابن اثنين وسبعين سنة ولمالك عن داود من مرفوع حديث الموطأ أربعة أحاديث منها ثلاثة متصلة وواحد مرسل . وهي :

1 – مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنّه قال : سمعت أبا هريرة يقول : (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلّم في ركعتين ، فقام ذو اليدين فقال : أقصرت الصلاة يا رسول الله ! أم نسيت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«كل ذلك لم يكن»** . فقال : قد كان بعض ذلك يارسول الله ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : **«أصدق ذو اليدين ؟** «فقالوا : نعم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتمّ ما بقي من الصلاة ، ثم سجد سجدتين بعد التسليم وهو جالس)[21] .

2 – مالك عن داود بن الحصين عن أبي[22] سفيان مولى ابن[23] أبي[24] أحمد عن أبي سعيد الخدري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة ، والمحاقلة ، والمزابنة اشتراء التمر بالتمر في رؤوس النخل ، والمحاقلة كواء الأرض بالحنطة)[25] .

3 – مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخص في بيع العرايا يخرصها فيما دون خمسة أوسق أو في خمسة أوسق)[26] . يشك داود قال : خمسة أو دون خمسة .

4 – مالك عن داود بن الحصين عن الأعرج[27] : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الظهر والعصر في سفره إلى تبوك)[28] .

(21) انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد البر ، نفس المرجع ، ص 331 .

(22) أبو سفيان : هو قزمان من الطبقة الثالثة ، مدني ثقة حجة فيما روى ، مولى ابن أبي أحمد . روى عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وكان مكاتبا وكان يصلي لبني عبد الأشهل في رمضان وفيهم قوم قد شهدوا بدرا والعقبة يصلون خلفه . انظر : أبو عمرو يوسف بن عبد البر ، التمهيد نفس المرجع ، ص323 .

(23) ابن أبي أحمد : هو عبد الله بن أبي أحمد بن جحش الأسدي . المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

(24) أبو أحمد : هو عبيد بن جحش أخو زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ .

(25) نفس المرجع ، ص 313 . (26) نفس المرجع ،ص 223 .

(27) الأعرج : هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، من خيار التابعين ، توفي سنة 128 هـ بالإسكندرية . انظر نفس المرجع ، ص 337 .

(28) نفس المرجع ، ص 337 .

تلك هي لمحة مختصرة عن الجهود الصادقة التي بذلها الرعيل الأول من أئمّة ومشائخ الإباضية في مجال تحمل الحديث النبوي الشريف وروايته ، والمحافظة على السنة المطهرة وأدائها .

ولمّا كان أبو عمرو الربيع بن حبيب أحد هؤلاء السابقين إلى هذا العمل النبيل ، وانفرد دونهم – باستثناء أبي الشعثاء جابر بن زيد – بتدوين ما تحمل من الأحاديث في فترة مبكرة من عمر التدوين ، وأودعها كتابه المسمى «بمسند الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصري» الذي اعتمد عليه الإباضية كأصل ثان لتشريعاتهم بعد كتاب الله عز وجلّ منذ أن عرف طريقه إلى أيدي مشائخهم وعلمائهم حتى يومنا هذا ، .. لما كان هذا من أبي عمرو الربيع بن حبيب – رأى الباحث أن يتناوله بالدراسة كمحدث في هذا الفصل دون غيره .

2 – نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وكيفية تلقيه له

لعلّ ما وصل إلينا من آثار أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث وتدوينه له – سواء أكان ذلك في مسنده المتداول بيننا ، أو ما جاء فيما يسمى (بكتاب آثار الربيع) المخطوط والذي اعتنى بجمعه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة – لعل ذلك يحدّد لنا المظهر العام لنشاط الربيع في كيفية تلقيه للحديث النبوي الشريف وأدائه له في مدينة البصرة بالعراق ، حينما جعلت ألسنة تنتشر في العالم الإسلامي عند نهاية القرن الأول الهجري ، وصارت تحتاج إلى هذا اللون من النشاط ، وكانت الحال الاجتماعية والفكرية للبيئة الإسلامية العامة والخاصة تثير هذا النشاط بل وتهيجه ، إذ بدأت معالم الوضع للأحاديث ، واختلاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم يدر قرنها ، ويستفحل أمرها – ولا سيما في العراق – موطن الملل والنحل ، ومجتمع النزعات والأهواء وسار الضرب[29] – كما أسماها مالك – للأحاديث .

(29) انظر : مصطفى حسني السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي . ط : 2 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1976م ، ص 93 .

أ – يبدو أن أبا عمرو الربيع بن حبيب لم يكن من الرّحالة في طلب الحديث ، كأولئك الذين سمع عنهم أنهم كانوا يقطعون الفيافي ، ويجوبون الأقطار الإسلامية المترامية الأطراف من أجل طلب الحديث الواحد .

فقد جاء عن التابعي الكبير سعيد بن المسيب[30] (ت 94 هـ) قوله : «إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»[31] . وعن أبي قلابة : «لقد أقمت بالمدينة ثلاثا ما لي حاجة إلا رجل عنده حديث واحد تقدم ، فأسمعه منه»[32]. وقال مكحول[33] : «كنت عبدا بمصر لامرأة من بني هذيل فأعتقتني ، فما خرجت من مصر وبها علم إلاّ حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النّفل[34] ، فلم أجد أحدا يخبرني فيه بشيء ، حتى أتيت شيخا يقال له : زيّاد[35] بن جارية التميمي فقلت له : هل سمعت في النّفل شيئا ؟ قال : نعم «سمعت حبيب[36] بن مسلمة الفهري يقول : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم نفّل الرّبع في البدأة ، والثلث في الرجعة»[37] .

(30) أحد أعلام التابعين ولد سنة 15 هـ وروى عن عدد من الصحابة منهم عمر ، وعثمان بن عفان ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وابن عمر ، وجل روايته عن صهره أبي هريرة ، وجمع عنه كبار التابعين كالزهري وغيره . أجمع أهل الحديث على ثقته ، توفي سنة 93 هـ راجع : ابن حجر العسقلاني ، (ت 853 هـ) التهذيب ، ج 4 ص 84 – 88 .

(31) صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ط 6 ، بيروت : دار العلم للملايين ص 5 .

(32) هو : عبد الله بن زيد البصري ، كان رأسا في العلم ، طلب للقضاء فهرب ونزل الشام . توفي سنة 104 هـ انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 1 ، ص 126 .

(33) صبحي الصالح . نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(34) النّفل : محركة : الغنيمة .

(35) هو : أبو عبد الله يقال له : أبو أيوب . ويقال أبو مسلم الفقيه الدمشقي ، وثقة العجلي . وقال أبو حاتم : ما أعلم بالشام أفقه منه ، توفي سنة 112 هـ .

(36) من دمشق يقال إن له صحبة روى عن مكحول وغيره ، وثقة النسائي . راجع ابن حجر التهذيب . جـ3 ، ص 356 – 357 .

(37) قال صاحب المغني : حبيب بن مسلمة كان مستجاب الدعوة شريف الدين . وقال البخاري له صحبته . انظر . ابن حجر ، التهذيب ج : 2 ، ص 54 – 55 .

نقول : إن الربيع بن حبيب لم يكن مثل أولئك الذين ذكروا كنماذج للرحلة في طلب الحديث اعتمادا على تلك المصادر التي تحدثت عن حياته العلمية ، وإن كان هذا لا يعني أنه لم يتنقل مطلقا بين العواصم العلمية وقتئذ . فقد كانت له رحلات ورحلات إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة اللتين كانتا مصدر الهداية ، ومنبع السّنة – لأداء فريضة الحج والعمرة – وخصوصا عندما تولى الزعامة الروحية والعلمية للإباضية بعد عجز شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثم وفاته رحمه الله ، إذ كانت مواسم الحج والعمرة أعظم فرصة تتاح لالتقاء مشائخ الإباضية وطلبتهم ، بأئمتهم ومنظمي حركتهم بالبصرة منذ زمن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وذلك لتنظيم شؤونهم الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية . وقد سبق للباحث وأن أشار[38] إلى اهتمام علماء البصرة وأغنيائها بالإعداد لمثل تلك اللقاءات ، وتخير من سيتولى أمر المسلمين في موسم الحج للذين سيفدون من الأقطار الإسلامية المختلفة ، وكان الإلحاح على أبي عمرو الربيع بن حبيب شديدا لتولي هذا الأمر – بعد أبي عبيدة مسلم ، فكان بذلك يرحل إلى الحرمين الشريفين لذلك الغرض ، ولكنه في ذات الوقت استفاد في مجال رواية الحديث (تحملا وأداء) لما عرف عنه من العناية بالسنة وتدوينها .

أمّا بالنسبة لتلقيه الحديث والتفسير والفقه في البصرة فقد كان للربيع نشاط ملحوظ ، إذ أنه لم يقتصر في تلقيه الدروس عن شيخيه أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وغيرهما من علماء أهل الدعوة ، ولكنه أخذ عن عدد من علماء الأمة الذين أشير إلى أسمائهم عند الحديث عن مشائخه[39] ، إلاّ أنّه اقتصر في مسنده على تدوين روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم عن شيخه أبي الشعثاء عن الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث لم يرد فيه من غير طريقهما إلا ثلاثة أحاديث :

(38) راجع : الفصل الثالث من الباب الثاني . الفقرة (المكانة الاجتماعية والعلمية وإنتاج الربيع العلمي) .

(39) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني –الفقرة : (شيوخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده) .

أحد هذه الثلاثة في الباب الثالث (في ذكر القرآن) رقم (16) من طريق عبد الأعلى[40] بن داود ونصّه : (قال الربيع بن حبيب عن عبد الأعلى بن داود عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، وكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزل منه حتى جمعه»** قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بالقضية فينزل القرآن بخلاف قضائه فلا يردّ قضاءه ويستقبل حكم القرآن[41] .

أمّا الحديثان الآخران فقد رواهما الربيع عن يحي بن كثير : أولهما موقوفا في الباب الثالث أيضا (في ذكر القرآن) رقم (17) ونصّه :

(قال الربيع عن يحي[42] بن كثير ، عن شعيب[43] ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : **«البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والتوبة مدنيات ، والرعد مدنيّة إلاّ آية واحدة وهي ، ﴿ولو أنّ قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض﴾[44] والنحل ما فوق الأربعين من أولها إلى آخرها مدني ، والحج مدنيّة إلاّ أربع آيات وهي : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ...﴾ إلى قوله : ﴿عذاب يوم عقيم﴾[45] مكيّة ، والنور كلها**

(40) عبد الأعلى بن داود راوية ثقة ، وثقه ابن معين وأبو حاتم ، وقال عنه محمد ابن سعد في طبقاته : «كان عابدا ناسكا» روى عن هشام بن عروة ، والأعمش وابن جريج وغيرهم ، وروى عنه ، بشر بن الحارث ومسدد وبندار وغيرهم . توفي سنة 213 هـ عن سبع وثمانين سنة . راجع : السالمي ، شرح مسند الربيع بن حبيب ، ج 1 ص 35 .

(41) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . الجمع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ ، ص 11 .

(42) يحي بن كثير بن درهم العنبري ويكنى أبا غسان ، قال النسائي : ليس به بأس .وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، مات سنة 206 هـ . على ما ذكره ابن عاصم ، راجع : السالمي ، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع ، مصدر سابق ج 1 ص 37 .

(43) شعيب : قال السالمي : يشبه أن يكون هو شعيب بن أبي إسحاق الأموي . كان مولى لبني أمية ، وكان بصريا ، ثم نزل دمشق ، وثقه غير واحد ، وقال أحمد : ما أصح حديثه ! وقال ابن صيفي : مات سنة 189 هـ وعمره إحدى وسبعون سنة راجع السالمي ، نفس المصدر ، ج 1 ص 37 .

(44) الرعد : 31 .

(45) الحج : 52 – 55 .

مدنية ، والأحزاب كلها مدنية ، والقتال ، والفتح ، والحجرات مدنيات ، ومن الحديد عشر سور متواليات إلى : ﴿يأيّها النبيّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك﴾ فهذا كله مدنيّ ، ﴿ولم يكن الذين كفروا﴾ مدنية ، ﴿وإذا جاء نصر الله والفتح﴾ مدنية ، والمعوّذتان مدنيتان ، فهذه سبع وعشرون سورة مدنيات ، وسائر القرآن مكي»[46] .

والحديث الثاني :- في الباب السادس والخمسين : (إثم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) رقم (739) ونصّه :

(الربيع عن يحي بن كثير ، عن عطاء[47] بن السائب قال : «كنا عند عبد الله[48] ابن الحارث فقال : أتدرون لمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار»** ؟ قال : قلنا : لا قال : إنما قال ذلك من قبل عبد الله بن أبي جذعة أتى ثقيفا بالطائف فقال : هذه حلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أتبوأ أيّ بيوتكم شئت ، فقالوا هذه بيوتنا فتبوّأ أيها شئت . فانتظر سواد الليل وقال : وأتبوأ أيّ نسائكم شئت ، فقالوا : إنّا عهدنا برسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّم الزنا فسرسل إليه ، فأرسلوا إليه رسولا ، فسار إليه وقدم عليه عند الظهر فقال : يارسول الله ! أنا رسول ثقيف إليك . إنّ ابن أبي جذعة أتانا فقال : هذه حلّة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ، أمرني أن أتبوأ أي بيوتكم شئت ، فقلنا : هذه بيوتنا فتبوّأ أيها شئت ،

(46) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري ، مصدر سابق ، ج : 1 . ص 11 ، 12 .

(47) يكنى أبا محمد ، أحد الأئمة في الحديث والفقه ، سمع أنسا ، وابن أبي أوفى ، وعمرو بن حريث ، وروى عنه شعبة والسفيانان ، ويحيى القطان ، وغيرهم . قال ابن سعد : مات سنة 136 هـ وثقه أحمد ، والنسائي ، والعجلي ، وقال ابن عدي : اختلط في آخر عمره . راجع : ترجمته باختصار : السالمي ، المرجع السابق ، ج : 3 ، ص 602 – 603 .

(48) قال السالمي : الأشبه أنه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي له ولأبيه صحبته ، كنيته أبو إسحاق ، وقيل أبو محمد ، وأمّه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ، وحنكه عليه الصلاة والسلام روى عن عمر ، وعثمان ، وعلي ،والعباس . وأبي بن كعب ، وروى عنه أبناؤه إسحاق وعبد الله وسليمان بن يسار وغيرهم . مات بعمان سنة 84 هـ راجع : السالمي . نفس المصدر (تحق : عز الدين التنوخي) دمشق : المطبعة العمومية ، 1963م ، ج : 3 ص 603 .

فانتظر سواد الليل وقال : وأتبوأ أي نسائكم شئت . فقلنا عهدنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحرّم الزنا !! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا لم أر أشد منه ثم قال : **«يا فلان ! ويا فلان !**[49] **اذهبا إليه فإن أدركتماه فاقتلاه وأحرقاه ، ثم قال : لا أراكما تأتيانه إلا وقد كفيتماه»** قال : فخرج في ليلة مطيرة ليقضي حاجته فلدغته حية فقتلته ، فأحرقه الرسولان ، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»**[50] .

هذا ولعلّ الذي جعل أبا عمرو الربيع بن حبيب يقصر جهوده في تدوين الحديث النبوي الشريف والفقه على أشياخه من أهل الدعوة دون غيرهم من محدثي الأمة وفقهائها ، إنما يرجع – في نظر الباحث – إلى عوامل ربما كانت وليدة لتلك الظروف والملابسات التي واكبت حياته التي امتدت طيلة زمن ازدهار الدولة الأموية حتى ضعفها وانهيارها ، ومدة نشوء الحركة العباسية سرّا إلى إعلانها ثم قيامها دولة ، وتعاظمها نفوذا واتساعا ، واكتمال نشاطها فكرا وسياسة ، وما نجم عن ذلك كله من صراع حزبي سياسي ، واتجاهات أيديولوجية ونحلية ، جعلت المسلمين ينقسمون على أنفسهم شيعا وطوائف تتعصب كل فرقة منها لأتباعها طريقة ومذهبا ، فهؤلاء سنية ، وأولئك معتزلة ، وتلك شيعة ، وغيرهم خوارج ، وأصبح كل فريق لا يعتد بآراء الآخر ، ولا يقبل أحاديث جاءت من غير أتباع فرقته إلا النادر القليل الشاذ ، وذلك عندما كثر الوضع ، وفشا الكذب والاختلاق ، وتجرأ المتعصبون لأحزابهم السياسية ، وشيعهم النحلية أن يضعوا أحاديث نسبوها إلى وسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد ما يعتقدون ، وتناصر من يكرهون .

(49) يافلان ! ويا فلان !، هما : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء عن الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(50) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . مصدر سابق . ج : 2 ، ص 191 – 192 .

إن هذه العوامل تتمثل فيما يلي :

1 – تخليص الحديث النبوي الشريف ، والسنة المطهرة من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق ، ولا يمكن أن يطمئن الربيع من ذلك إلا إذا أخذ عن الثقات الذين لا يتعمدون الكذب مطلقا ويعتقدونه كبيرة حتى على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف به إذا كان عليه صلى الله عليه وسلم وهو القائل : **«من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار»**[51] . وأشياخه من الإباضية هم الذين يرون ذلك ويعتقدونه ، فكان أولى له أن يحدث عنهم ، ويدوّن ماجاء من طريقتهم .

2 – معاملة علماء غير الإباضية بالمثل ، حيث إنهم يرون الخوارج مبتدعة – ويعتقدون أنّ الإباضية منهم – ولا ينبغي أن تروى عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أن يعتمد على إسنادهم ، إلاّ ما كان من الإمامين : مالك والبخاري اللّذين رويا عن بعضهم ، ولكنهما عوتبا عمّا فعلا . فقد قيل لمالك : كيف رويت عن داود بن الحصين ، وثور بن زيد ، وذكر غيرهما ؟ فقال :**«لأن يخروا من السّماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا»**[52] . لذلك اقتصر الربيع في روايته عن مشائخه من أهل الدعوة (الإباضية) ...

3 – تجنب الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة الكبرى ، أو التي اشترك رواتها في الفتنة ، بمعنى أن الصحابة كلهم عدول إلى زمن الفتنة . وأمّا بعد الفتنة فهم كغيرهم يخضعون إلى الجرح والتعديل ، وفي هذا المعنى يقول الإمام السالمي :

أمـا الصحـابي فقيـل عـدل ... وقيـل مثـل غيره والفصـل
بـأنّه عـدل إلى حين الفتن ... وبعـدهـا كغيره فليتحن

ليس هناك لأبي عمرو الربيع بن حبيب شرط وضعه في تلقيه للحديث

(51) أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري . مصدر سابق ، ج : 2 ،، ص 191 – 192 .

(52) أبو عمرو يوسف بن عبد البر . مرجع سابق ، ج : 2 . ص 310 .

النبوي الشريف أو يمكننا استنباطه من لفظ ما ورد في مسنده من أحاديث كشرط الإمام البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث . فإن ما رواه دوّنه في مسنده كان جلّه قد أخذه مشافهة ومباشرة من شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن شيخها أبي الشعثاء جابر بن زيد عن الصحابي ، وهذا النوع من التحمل هو مايسمّى عند علماء مصطلح الحديث (بالسماع) من لفظ الشيخ إملاء أو تحديثا ، أو من حفظه أو كتابه . وهو أعلى درجات التحمل عندهم .

ولذلك جاءت سلسلة إسناده الثلاثية ذهبية ، لأنها قصيرة ، وقريبة الاتصال بالنبع المحمدي الصافي ، ولشهرة رجالها بقوة الحفظ والضبط ، وكمال الصدق والصيانة والأمانة . وفي هذا الخصوص يقول المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي في معرض حديثه عن رتب الحديث الصحيح في مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب :

«إن رتب الصحيح تتفاوت تفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح ، وأن من المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث أنّه أصح الأسانيد الثلاثية ، كسند الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه . وسند إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود ، وسند مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهو قول : البخاري ... إلى أن يقول : ويشبه هذه السلاسل الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب وثلاثياته ، أبو عبيدة ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس . ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال ، وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار أو إرسال ، ولا انقطاع وإعضال ، لأن الثلاثيات بأجمعها موصولة باتصال إسنادها ، ولم يسقط من أسانيدها الثلاثية أحد . (والمعضل) هو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر بشرط التوالي كقول مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الشافعي : قال ابن عمر .

وقد يورد على قولنا هذا أنّ في مسند الربيع البلاغ والسماع مما يجعل الحديث مرسلا ، ويجاب على هذا القول : إن رجال هذا المسند إذا نقلوا عن غير مشافهة بينوا ذلك بقولهم : (بلغني) ، أو (بلغنا) ، أو (سمعت من فلان) أو نحو ذلك مما

يبعد بالسند عن التدليس ، فهم رحمهم الله أجل وأتقى من أن يوهموا الناس بالسماع وليسوا سامعين .

وبذلك يظهر أن عنعنة هذا السند مقطوع باتصالها ، لأن أبا عبيدة أخذ عن جابر ، وجابر أخذ عن الصحابة مباشرة ، حتى قيل : إنّ أبا عبيدة أدرك من أدركه جابر من الصحابة .

ومن مزايا هذه الثلاثيات ، أو السلاسل الذهبية ، سهولة حفظها . وحافظ المسند الثلاثي الرجال إذا روى حديثا من أحاديثه صدّره بسنده الثلاثي الذي لا يختلف في جميع أبوابه وحفظ الأحاديث الثلاثية أيسر على المستظهر من حفظ سلاسل طويلة كثيرة الحلقات والرجال ، ولأنه يسهل على حافظ الثلاثيات معرفة رجالهم لقلتهم ، والتثبت من أوصافهم بالحفظ والصدق ، والأمانة أكثر مما يعرفه عن رجال سلسلة عديدة الحلقات ، قد يوجد بينهم من لا يطمئن القلب بصدقه وديانته ، مما يضعف الحديث ، ويجعله غير مقبول .

ولمزايا هذه الثلاثيات اهتم كثير من أئمة الحديث بتأليف الثلاثيات نذكر منها : ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل المطبوعة بدمشق سنة 1380 هـ وشرحها في جزأين الإمام محمد السّفاريني ، وعدد ثلاثياته خمسة وستون ومائة حديث ، وثلاثيات البخاري وهي في صحيحه إثنان وعشرون حديثا ، غالبها عن مكي بن إبراهيم ممن حدث عن التابعين ، وهو في الطبقة الأولى من شيوخه مثل : محمد بن عبد الله الأنصاري ، وأبي عاصم النبيل ، وأبي نعيم ، وخلاد بن يحيى ، وعلي بن عباس . وثلاثيات الدارمي وهي : خمسة وعشرون حديثا وقعت في مسنده بسنده . وثلاثيات الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمود الناجي وغيرهم . ونضيف اليوم إليها :

ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدي ، وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سندا ، ورجال سلسلته الثلاثية الحلقات هم : أبو عبيدة التميمي ، وجابر

ابن زيد الأزدي ، والبحر عبد الله بن عباس شيخ جابر ، وغيره من الصحابة ، وهم بأجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة . وهذا المسند لا يختلف في جميع أبواب المسند كما يختلف في سائر كتب الثلاثيات[53] .

3 – جهود أبي عمرو الربيع بن حبيب في أداء ما تحمل من الحديث :

لقد كان لأبي عمرو الربيع بن حبيب جهود في أداء ما تحمله من الأحاديث لا تقل عما بذله في أثناء تلقيه لها . فقد تتلمذ عليه – ثقة به ، وتقديرا لعلمه – عدد غير قليل من طلبة العلم خصوصا من أهل الدعوة ، وتخرّج على يديه فحول العلماء ، وأساطين الفكر من أمثال من ترجمنا لهم من تلاميذه .

وقد جاء في الجزء الرابع من الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب أحاديث من روايات أبي سفيان محبوب بن الرّحيل عنه رحمه الله ، وعددها تسعة عشر حديثا[54] .

وكان قد اقتصر في أدائه للحديث – كما هو الحال في تحمله – على الإباضية دون غيرهم من أهل الفرق الأخرى على ما يظهر . ولعل ما أورده السالمي في مختصر ترجمته له في مقدمته على شرح الجامع الصحيح مسنده يؤيد هذا الاحتمال .

قال رحمه الله : «وقال أناس من أهل البصرة انظروا لنا رجلا ورعا قريب الإسناد حتى نكتب عنه . ونترك ما سواه ، فنظروا فلم يجدوا غير الربيع بن حبيب فطلبوا منه ذلك ، وكان يروي لهم عن ضمام عن جابر بن زيد عن ابن عباس رحمهم الله ، فلما خاف أن يشيع أمره أغلق بابه على نفسه إلا من أتاه من إخوانه المسلمين»[55] .

(53) «السالمي» شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب . (تحق : عز الدين التنوخي . مصدر سابق ، ج : 3 ، ص ها ، و .

(54) روايات أبي سفيان محبوب عن الربيع ، صفحة 255 – 259 ، من رقم (883) إلى رقم (909) .

(55) السالمي ، من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، مصدر سابق ، ج : 1 . ص 4 .

قد تكون هناك إشارة أو علامة استفهام كبيرة جدا عن هذا المسلك من أبي عمرو الربيع بن حبيب ، إذ كيف ساغ له أن يغلق بابه على نفسه دون أناس قدروا فيه صفة الراوية الأمثل من الورع قرب الإسناد من النبع المحمدي ، فجاءوا إليه ليطلبوا العلم . ويأخذوا الحديث منه دون سواه من علماء البصرة – وما أكثرهم آنذاك ! – ! وهو يعلم علم اليقين قول أسوته وقدوته الأول محمد صلى الله عليه وسلم يقول : **«بلّغوا عني ولو آية»**[56] ، ويقول : **«من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة»**[57] .!! ولماذا اصطفى إخوانه من المسلمين (الإباضية) وآثرهم بدروسه ؟.

من خلال النص الذي أورده الإمام السالمي تلوح إشارة إلى أن أبا عمرو الربيع بن حبيب لم يغلق بابه في بداية الأمر ، ففي قوله «وكان يروي لهم عن ضمام ... تعميم الرواية لكل من جاءه ، ثم ما لبث أن أغلق بابه إلاّ على إخوانه ، فلا بد وأن هناك شيئا ما حمله على هذا الصنيع ربّما كان بعضه ما يلي :

أ) اختلاف نزعات البصريين ، وكثرة الاتجاهات الفكرية ، من معتزلة ، وقدرية ، وشيعة ، ومرجئة .. و .. في ذلك العهد بينهم قد تكون جرت مشاكل على الربيع في أثناء إلقائه للدروس ، وهو أحد الذين تبنوا فكرة أبي الشعثاء وأبي عبيدة شيخيه في مناهضة الملك الوراثي والدعوة إلى الإمامة الشورووية العادلة لأنه لابد وأن يكون هناك منهم من لا يرى رأيه بل ويعارضه أشد المعارضة ويتشيّع لحكام بني أمية ثم للملوك بني العباس من بعدهم . فخشي إن أكثر الاحتكاك بأمثال هؤلاء سيكشف أمره ، ولا يتمكن من أداء مهمته التي سلمها له شيخه أبو عبيدة مسلم أمانة في عنقه للسير بحركة أهل الدعوة قدما دون تردد أو توقّف .

ب) كثرة الزنادقة ، وأصحاب الأهواء والبدع في الوسط البصري ، جعل من

(56) جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) . مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة . ط 3 . المدينة المنورة ؛ مطابع الرشيد 1979م ص37 .

(57) أبو عبد الله أحمد بن حنبل . المسند . (تحق : أحمد شاكر) ، ط : 2 . القاهرة : دار المعارف ، 1950م ، ج : 14 . ص 86 .

الربيع ألا يثق في غير دعوته من عدم التزيد فيما يرويه من الأحاديث والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وكبار التابعين وصغارهم - لاسيما - وهو في تلك الفترة من المرحلة الخطيرة التي تجتازها السّنة بسبب الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج) استقطاب طلبة أهل الدعوة ، وإخلاء الجّو له ولهم في دروسه يؤمنان له السير القاصد نحو تحقيق ذلك الهدف الذي يسعى إليه من نشر الدعوة في أنحاء العالم الإسلامي لإنقاذه من السقوط في وهدة النزعات المتطرفة من الغلو في الدين والتطرف في السير في ركاب الحكام المتسلطين الذين يجعلون من عباد الله خولا ، ودينه دغلا .

4 - عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه ومقاييل في حقّه

انقسم علماء الأمة في الربيع باعتباره محدّثا إلى قسمين : قسم أغفل ذكره وأهمله إهمالا كاد أن يكون كاملا ، ولم يجعل له مكانا بين من أسهموا بنصيبهم في تدوين السنة والمحافظة عليها نقية خالصة من الكذب والوضع والاختلاق ، ولم يتعرض لشخصه أو لإنتاجه بالتوثيق أو التضعيف ، وهذا الفريق يكوّن جمهور علماء الأمة الأعظم الذين اهتموا بتتبع أحوال رواة الحديث واقتفاء آثارهم جرحا وتعديلا .

ولعلّ تلك العوامل التي سبق ذكرها في الفقرة الثانية من الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث تكون هي السبب المباشر في هذا الإغفال والإهمال .

إلاّ أن هناك من علماء الأمة غير الإباضية من وثقه ، فمن علماء السلف ، وثقه يحيى بن معين[58] في كتابه التاريخ حيث قال : «الربيع بن حبيب أيضا بصري

(58) هو أبو زكريا يحي بن معين بن عون المري إمام الجرح والتعديل ، ولد سنة 157 هـ /775م ، وسمع من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة ووكيع وغيرهم ، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود ، نال حدما وتقريظا لأمانته ومعرفته الشاملة بأحوال الرواة وأنسابهم ، خلف مكتبة ضخمة ، وتوفي بالمدينة سنة 233 هـ انظر : العسقلاني ، تهذيب التهذيب . مرجع سابق ، ج : 11 ، ص 281 - 288 .

يروي عن الحسن وابن سيرين وهو ثقة»[59] . ومن الخلف المحدثين ، عز الدين التوخي ، في مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي لمؤلّفه نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي . قال عنه عند تعليقه على هذا المسند : «.... ويشبه هذه السلاسل الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب ، وثلاثياته : أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عبّاس ، ورجال هذه السلسلة الربيعيّة من أوثق الرجال وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ، ولا إرسال ، ولا انقطاع ولا عضال .... إلى أن قال : ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدي وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سندا»[60] .

وأمّا القسم الثاني - وهم علماء الإباضيّة - فقد قدّر فيه صفات الراوية الأمثل ، من الضبط والعدالة . فقد قال في حقه التابعي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي شيخه - ومن كان أعرف بالتلميذ من شيخه - قال عنه عندما ذكره أبو طاهر بين يديه : «فقيهنا وإمامنا وتقينا»[61] .

وقال أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني عنه : «الربيع بن حبيب رحمه الله طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب الأطم ، ومن تشد إليه حبال الرواحل وتزم ، صحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر ، ولزم مجلسه فكان الأول والآخر ، روى عنه المسند المشهور ، المتعارف البركة على مر الدهور ، وله في الفروع كل قول ومذهب ، أجوبته من المعتمدة في المذهب»[62] .

وقال البدر الشماخي في سيره : «الربيع بن حبيب رحمه الله طود المذهب الأشم ، وبحر العلوم الأطم ، صحب أبا عبيدة فنال وأفلح ، ودصدر بعده على الأفاضل فأنجح»[63] .

(59) يحي بن معين ، التاريخ ، ص 160 . رقم 3811 .
(60) السالمي : شرح الجامع الصحيح مسند الربيع . مصدر سابق . ج : 3 . ص هـ ، و .
(61) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، (ت 670 هـ) طبقات المشائخ بالمغرب . (تحق : إبراهيم طلاي) . قسنطينة : مطبعة البعث ، لا . ت . ج : 2 . ص 276 .
(62) نفس المرجع ، ص273 .
(63) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت 928 هـ) . السير . (تصح : محمد بن يوسف الباروني) القاهرة : المطبعة الباروننية ، لا . ت . ص 102 .

وقال قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش في تكملته الخارجة عن المدوّنة الكبرى : «الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي – أزد عمان – الفرهودي ، وفرهود هي قبيلة منها الخليل بن أحمد . وهو من غطفان من عمان من أرض الباطنة ، وهو بحر العلم ، روى عنه الصحيح في الحديث محبوب ، ورواه عن محبوب ابنه محمد»[64] .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في اللّمعة المرضية من أشعة الإباضية : «وتلامذة أبي عبيدة لا يحصون عددا ، وأجلّهم قدرا الربيع بن حبيب البصري ، وإليه انتهت رئاسة العلم[65] بعد أبي عبيدة[66] .

وقال أبو إسحاق إبراهيم اطفيش[67] : «روى الإمام الحافظ الحجة الربيع في صحيحه عن ابن عباس : « على المقيم سبع عشرة ركعة ، وعلى المسافر إحدى عشرة ركعة»[68] .

وقال الشيخ محمد بن صالح التيني[69] : «هو الفقيه المحدّث الحافظ الثقة الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي من أئمة الحديث في آخر القرن الأول وأول القرن الثاني ، ومن الفقهاء المشهورين ... تخرج عنه كثير من أعلام الدين ، وأئمة الهدى ، أكثرهم من عمان والعراق وخراسان ، ومن آثاره كتاب المسند ، ويعرف بمسند الربيع بن حبيب ، هو من أصح كتب الحديث عندنا وأعلاها سندا»[70] .

---

(64) محمد بن يوسف اطفيش (ت 1332 هـ) ، تكملة خارجة عن المدونة . ورقة مخطوطة .

(65) بالنسبة للإباضية .

(66) السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية . الكتاب الرابع من مجموع ستة كتب . غرداية . لا . ط . لا . ت . ص 62 .

(67) انظر ترجمته في أول هذا الفصل ، الفقرة : 1 . 191 .

(68) أبو زكرياء يحي بن أبي الخير الجناوني ، كتاب الوضع . (تحقيق : أبي إسحاق اطفيش) . القاهرة : مطبعة الفجالة الجديدة . لا . ت ، ص 99 بالهامش .

(69) هو أحد المناضلين الجزائريين الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى تونس وحفيد رائد النهضة الجزائرية وباعث مجدها الإمام ضياء الدين التيني عبد العزيز صاحب كتاب النيل وشفاء العليل . وقد حقق له هذا الحفيد بعضا من تصانيفه ككتاب التكيل لبعض ما أخل به كتاب النيل ، والورد البسام . توفي بتونس في أواخر السبعينات .

(70) عبد العزيز الحاج إبراهيم التيني ، (ت 1223 هـ) الورد البسام في رياض الأحكام . (تحق : محمد بن صالح التيني) . تونس : المطبعة التونسية ، 1345 هـ ، ص 161 بالهامش .

وقال الأستاذ سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي[71] : «ومنهم (أي الإباضية) – وهو أشهرهم – الإمام العالم الباهر التقي الراوية المتقن أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي..»[72] .

وقال الأستاذ عبد الرحمن بن عمر بكلّي : «هو التابعي الجليل والمحدّث الكبير الإمام الحجة أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري صاحب الجامع الصحيح الثلاثي السند ، المشهور بمسند الربيع ، نشأ بالبصرة وتعلّم بها ، وتصدى لنشر العلم تحريرا وتدريسا ، وإفتاء حتى أصبح في ذلك العصر الذهبي ، وفي ذلك المجتمع الذي يزخر بأئمة الدين ، وأساطين العلم ممن يشار إليه بالبنان ، ويعمد إليه في حلّ المعضلات»[73] .

وقال الشيخ سالم بن حمد الحارثي عنه أيضا : «ومن علماء القرن الثاني الربيع ابن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصحيح الذي يرجع علماء الإباضية إليه في كل مكان»[74] .

تلك هي أقوال السلف والخلف من علماء الإباضية وغيرهم عالمين من علماء القوم ، جاءت كلها إشادة بعلم وعدالة وضبط وإتقان محدّثنا أبي عمرو الربيع بن حبيب . وقد يكون هناك من يقول : وهل هناك أي اعتبار لمثل هاته الهالة من الثناء ، والتقدير التي أحاط بها علماء الإباضية مكانة أبي عمرو الربيع بن حبيب في مجال الحديث ما دام لم يبادلهم جمهور علماء الأمة الإسلامية من غيرهم هذا الاعتبار وذلك التقدير والثناء ، وأنهم لا يعرفون عنه شيئا ؟!!.

---

(71) قالت الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف عنه : «الشيخ الجليل والقاضي الفاضل أبو هلال سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي . فهو فقيه ومؤرخ وشاعر ولغوي ، وهو يدعو بطريق مباشر وغير مباشر إلى تصحيح الروايات المدسوسة على الإسلام ، وإلى التقريب بين المسلمين». انظر : سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي ، أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج . (تحق : سيدة إسماعيل كاشف) . القاهرة : مطابع سجل العرب ، 1979م ، ص 6 – 9 .

(72) السيابي . المرجع نفسه ، ص 48 .

(73) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت 750 هـ) قواعد الإسلام . (تحق :بكلي عبد الرحمن بن عمر) غرداية : المطبعة العربية ، 1976م ج : 1 ، ص 79 – 80 بالهامش .

(74) السالمي ، العقد الثمين ، (تحقيق : سالم حمد الحارثي) ، القاهرة : دار الشعب ، لا . ت . ج : 1 ، ص 18 .

والباحث لا يشك إطلاقا في صحة تلك الأحكام التي أصدرها أولئك العلماء بضبط وعدالة وثقة أبي عمرو الربيع بن حبيب ، لأنهم جميعا من أولئك الذين لا يعرفون الحق بالرجال ، ولكنهم يعرفون الرجال بالحق ، وأنهم جميعا أيضا من إحدى فرق المسلمين التي يرى أتباعها مطلق الكذب كبيرة من الكبائر ، وهذا يحتم على كل منصف أن يعتقد الضبط والأمانة والعدالة فيمن وثقوه ، والضعف كل الضعف فيمن لم يعدلوه ولم يثقوا به .

ولعل ما ذكره أبو عمرو عثمان[75] بن خليفة المراغني السوفي من تحرى علماء الإباضية فيما يكتبونه من الحديث والفقه ، وفي صفة من يكتب لأكبر شاهد على دقة منهجهم في التحمل والأداء ، وصحة أقوالهم ونعوتهم فيمن يعدلون ويجرّحون . فهو يقول في صفة الديوان الذي يتولى به ، ويبرأ به ، ويؤخذ منه الفتوى : «أن يكتبه المتولّي العالم للمعنى ، أو يملي المتولي العارف بما يملي ، ويرقب كل واحد متوليان آخران خوف الزيادة والسقط ، والتصحيف والتحريف ، ويعرض على العالم الفقيه المسلم ، ويكون الديوان في يد ثقة خوف الزيادة والنقصان»[76] .

وحتى لا يدع الباحث مجالا للشك في صحة ما نعت به أبو عمرو الربيع بن حبيب فإنه سيقوم – بإذن الله وبعونه وتوفيقه – إن كان لعمره بقية ، ولبدنه وحواسه عافية وسلامة – بتخريج ما جاء في مسنده بجزأيه الأول والثاني من أحاديث على كتب السنة المعتبرة لدى جمهور هذه الأمة المسلمة . وسيكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم أولا ، وعاملا مهما لغرس بذور الثقة في نفوس طلبة العلم من أبناء المسلمين لكي يعتزوا بما خلفه السلف الصالح من الأجداد من تراث علمي وحضاري نفيس ، دون التأثر بتلك النزعات المذهبية ، أو الميل بالأهواء مع النعرات الطائفية التي كانت السبب المباشر في تفريق أتباع الملّة

(75) ذكره الدرجيني في طبقاته من علماء الطبقة الحادية عشرة . راجع : الدرجيني مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 483 .
(76) سالم بن يعقوب . «من بعض كتاب تاريخ المغاربة من الإباضية» ، مخطوطة بيد الباحث ، ص 27 .

الحنيفية ، وجعلت منهم طرائق قددا ، وصيرتهم شيعا وأحزابا أدّت إلى ضعفهم وذهاب ريحهم .

أما آن الأوان للباحثين من طلبة العلم المسلمين أن يكشفوا عن التراث الإسلامي الأصيل ويقدموه هدية خالصة مخلصة للمكتبة الإسلامية تنير السبيل أمام الحائرين في متاهات الزيف ، السادرين في صحارى الزيغ والتضليل حتى يفيئوا بذلك إلى كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم النقية الصحيحة تاركين وراءهم كل ما عداها من الانتماءات المضللة المفرقة .

5 – نماذج مما جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من الأحاديث ، وعدد ما يحتوي عليه هذا المسند منها

وإتماما للفائدة يستعرض الباحث في نهاية هذا الفصل نماذج من أحاديث المسند ، وإحصائية عددية تفصيلية لما روي عن كل صحابي من أحاديث في الجزأين الأول والثاني من هذا المسند .

أ – نماذج من الأحاديث :

1 – قال أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو البصري : حدثني أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي عن جابر بن زيد الأزدي عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **«نية المؤمن خير من عمله»** . وبهذا السند في رواية أخرى عنه عليه السلام قال : **«الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»** .

2 – قال الربيع بن حبيب : حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي يارسول الله؟ قال **«أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عنّي وقد وعيت ما قال ،**

وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول» . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ويفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا . قال الربيع : فيفصم عنه : أي ينجلي .

3 – قال الربيع بن حبيب : حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **«علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يتعلّم من علم الله هو»** .

4 – ...[77] أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«إذا قرأت القرآن فرتلّه ترتيلا ولا تغنوا به فإن الله يحب أن يسمع الملائكة لذكره»** .

5 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت»** .

ومن كتاب الطهارات جاء ما يلي :

6 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«لاتستقبلوا القبلة ببول ولا غائط»** قال جابر : فسألت عن ذلك ابن عباس قال : ذاك إذا كان في الصحاري والقفار ، وأما في البيوت فلا بأس لأنه قد حال بين الناس وبين القبلة حيال . وهو الجدار .

7 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن عبد الله بن عمر قال : دخلت على حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا لحاجته بين لبنتين مستدبر الكعبة مستقبلا بيت المقدس . قال أبو عبيدة : قال جابر : فمن أجل هذا أباح ابن عباس استقبال القبلة في البيوت .

8 – أبو عبيدة عن أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم

(77) يلاحظ في أول السند أنه يذكر اسم الربيع بن حبيب اكتفاء بذكره أولا باعتباره الراوية لهذا المسند .

قال وهو بمصر : والله ما أدري كيف أصنع بهذه الكرائس[78] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إذا ذهب أحدكم لبول أو غائط فلا يستقبل القبلة ولايستدبرها بفرجه»** . قال الربيع : قال أبو عبيدة : وقد أتينا على هذا الأمر في حديث جابر بن زيد ، وقد بينا ما قيل فيه وماروى . والله أعلم .

9 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : **«أنا لكم مثل الوالد أعلّمكم أمر دينكم»** وأمر أي يستنجى بثلاثة أحجار ونهى عن الروث ، والرمة وهي : العظام البالية .

10 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«من توضّأ فليستنثر ، ومن استجمر فليوتر»** .

ومن باب أحكام المياه .. جاء :

11 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله ليه وسلم قال : **«الماء طهور لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه ، أو رائحته»** .

12 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله ليه وسلم : **«إذا كان الماء قدر قلتين لم يحتمل خبثا»** . وفي رواية أخرى : **«قدر قلتين ماء لاينجسه شيء»** .

13 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السباع ترد الحياض وتشرب منها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«لها ما ولغت في بطونها ولكم ما غبر»** . قال الربيع : أي لكم ما بقي .

وفي كتاب الصلاة جاء :

14 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال : كذا نصلي الظهر

(78) الكرائس : الكتف .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخرج الإنسان إلى بني عمرو بن عوف فيجدهم يصلون العصر .

15 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم»** قال الربيع : فيحها : نفسها .

16 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : **«فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرّت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر»** .

ومن كتاب الصوم جاء :

17 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد فأفطر ، فأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

18 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا من صام ومنّا من أفطر ، فلم يعب الصائم من المفطر ، ولا المفطر من الصائم .

19 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«من أصبح جنبا أصبح مفطرا»** قال الربيع عن أبي عبيدة عن عروة بن الزبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي ، وجملة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من أصبح جنبا أصبح مفطرا ، ويدرأون عنه الكفارة .

وفي كتاب الزكاة جاء :

20 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : **«فيما سقت السماء والعيون العشر ، وما سقي بالدوالي**[79] **والغرب نصف العشر»** .

21 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«جرح العجماء جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفي الركاز الخمس»** .

ومن كتاب الحج :

22 – أبو عبيدة عن جابر زيد عن ابن عباس قال : كان الفضل بن العباس (رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم) فجاءت امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل بن عباس ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر . قالت : يارسول الله ! إن فريضة الله على العباد في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحجّ عنه ؟ قال : **«أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكنت قاضية عنه ؟»** قالت : نعم . قال : **«فذاك ذاك»** .

23 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة أن يهلّوا من ذي الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرنا ، ولأهل اليمن يلملم ، ولأهل العراق ذات عرق .

ومن كتاب النكاح :

24 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«لا طلاق إلاّ بعد نكاح ، ولا ظهار إلا بعد نكاح ، ولا عتاق إلا بعد ملك ، ولا نكاح إلاّ بولي وصداق وبينه»** .

25 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى

(79) الدوالي : الدلاء الصغار .

الله عليه وسلم «**الأيم أحق بنفسها من وليّها ، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها**» .

26 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه ، ولا يساوم على سوم أخيه**» .

ومن كتاب البيوع :

27 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**البيّعان بالخيار مالم يفترقا**» ، قال الربيع : قال أبو عبيدة : الافتراق بالصفقة أي يبيع هذا ويشتري هذا وليس كما قال من خالفنا بافتراق الأبدان . أرأيت إن لم يفترقا يومين أو ثلاثة أيام أو أكثر فلا يستقيم على هذا الحال بيع لأحد .

28 – أبو عبيدة عن جابر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من باع نخلا قد أبّرت فثمرتها للبائع إلاّ يشترطها المبتاع**» .

ومن باب في الربا :

29 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرّ بالبرّ والشعير بالشعير والملح بالملح يد بيد**» .

30 – أبو عبيدة عن جابر قال : بلغني عن طلحة بن عبيد الله أنّه التمس من رجل صرفا ، فأخذ طلحة الذهب بيده يقلّبه فقال : حتى يجيء خازني من الغابة ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضر يسمع كلامهما فقال ، والله لا أفارقكما حتى يتم الأمر بينكما فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء ، والبرّ بالبرّ ربا إلا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا إلاّ هاء وهاء**» .

ومن كتاب الأحكام :

31 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «**إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إليّ فأحكم بينكم ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من نار**» قال الربيع : ألحن : أقطع وألبغ وأحقّ .

32 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**البينة على من ادّعى . واليمين على من أنكر**» .

33 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**من حاز أرضا وعمرها عشر سنين والخصم حاضر لا يغيّر ولا ينكر فهي للذي حازها وعمّرها ولا حجة للخصم فيها**» .

ومن باب في الرجم والحدود :

34 – أبو عبيدة عن جابر قال : الرجم والاختتان والاستنجاء والوتر سنن واجبة فأما الوتر فلقوله عليه السلام لأصحابه : «**زادكم الله صلاة هي الوتر**» .

35 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عمر قال : إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أنّ رجلا منهم وامرأته زنيا : فقال لهم : «**أتجدون في التوراة في شأن الرجم**»؟ فقالوا : نفضحها ويجلدان ! فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم إنّ فيها للرجم آية فأتوا بالتوراة فاتلوها . قال فأتوا بها ونشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له ابن سلام : إرفع يدك ، فرفع يده فإذا آية الرجم تتلألأ ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال ابن عمر : فرأيت الرجل يجافي على المرأة يقيها الحجارة .

36 – أبو عبيدة عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص فقال : إنّ ابن وليدة زمعة هو ابني

فاقبضه إليك ، فلما كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال : ابن أخي ، وقد كان عهد إليّ فيه ، فقام إليه عبد بن زمعة فقال : أخي . ابن وليدة أبي ، وقد ولد على فراشه ، فتساوقاه إلى رسول الله صلى الله عله وسلم . فتكلم سعد بحجته ، وتكلم عبد بن زمعة بحجته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«هو لك يا عبد بن زمعة . الولد للفراش وللعاهر الحجر»** . ثم قال لزوجته سودة بنت زمعة : **«احتجبي عنه يا سودة»** لما رأى إشباهه عتبة . قالت عائشة . فما رآها حتى لقي الله . قال الربيع ، العاهر : الزاني ، ومعنى له الحجر : الرجم .

37 – أبو عبيدة عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **«القطع في ربع دينار فصاعدا»** .

38 – أبو عبيدة عن جابر عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد سارق في مجن فيمته أربعة دراهم . قال الربيع : المجن : الترس .

ومن باب الذبائح :

39 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أحلت لكم ميتتان ودمان ، فالميتتان الجراد والسمك ، والدمان الكبد والطحال» .

40 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد قال : كانت جارية لكعب بن مالك ترعى غنما له فأصيبت منها شاة فذبحتها بحجر ، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : **«لا بأس بها فكلوها»** .

41 – أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : سمعت ناسا من الصحابة يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «نهى من الذبح عن أربعة أوجه : الخزل ، والوخز ، والنخع ، والترداد» قال الربيع : الخزل : إدخال الحديدة في رقبة الشاة تحت الجلد واللحم ويذبح قبالته ، والوخز : الطعن برأس الحديدة في رقبة الشاة بعد الذبح . والنخع : كسر الرقبة . والترداد : الذبح بالحديدة الكليلة التي تتردد في اللحم .

ب – ما جاء من أحاديث في الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب :

يضم كتاب الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب الأزدي البصري بين دفتيه خمسة أحاديث وألف حديث (1005) . ونسخة هذا الكتاب المتداولة حاليا لدى الإباضية ليست هي النسخة الأصلية ، فأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد الوارجلاني (ت 570 هـ) هو الذي أعاد ترتيبها ، وعنونها ب (ترتيب المسند) ، وجعلها في أربعة أجزاء : الجزآن الأولان – وهما أصل الكتاب – في أحكام الشريعة من أولها إلى آخرها بالسند العالي ، وما جاء فيها عن :

1 – عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : ثمانية وستون حديثا . (68)
2 – عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : خمسون ومائة حديث . (150)
3 – أنس بن مالك رضي الله عنه : أربعون حديثا . (40)
4 – أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ستون حديثا . (60)
5 – أبي هريرة رضي الله عنه : اثنان وسبعون حديثا . (72)
6 – جابر بن زيد الأزدي : ثمانون ومائة حديث . (180)
7 – أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة : ثمانية وثمانون حديثا . (88)
8 – أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعبادة بن الصامت وابن مسعود الأنصاري وغيرهم : اثنان وتسعون حديثا . (92)

فيكون بذلك ماجاء في المسند الأصلي (الجزآن الأول والثاني) خمسون وسبعمائة حديث (750) . وأمّا الجزء الثالث والرابع فقد ضمها إلى المسند الأصلي المرتب الوارجلاني . فما جاء في الجزء الثالث : آثار احتج بها الربيع على مخالفيه في مسائل مختلفة من الاعتقاد وغيرها . قال السالمي : «وهي أحاديث صحاح يعترف الخصم بصحتها ، لأن الربيع رضي الله عنه ساقها مساق الاحتجاج على الخصم ، والاحتجاج به عليهم دليل تسليمهم له ، إذ لا يحتج على أحد بما لا يسلّمه ، فالاحتجاج بالحديث من العالم المتقن عند أهل الدرجة الأولى أقوى من ذكر سنده»[80] .

(80) أبو عمر الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ابن عمرو ، مصدر سابق ، ج : 3 ، ص 198 .

وعدد هذه الآثار أربعون ومائة حديث (140) .

وأمّا ما جاء في الجزء الرابع فروايات محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي عن الربيع بن حبيب ، وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي عن أبي غانم بشر ابن غانم الخراساني ومراسيل جابر .

وعدد هذه الآثار في هذا الجزء ثلاثة وعشرون ومائة حديث (123) .

ولا يفوت الباحث في خاتمة هذا الفصل أن يذكر أن المصادر التي بين يديه لم تشر إلى أن الأحاديث التي جاءت في مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب قد تعرضت إلى الفرز والتنقيح من قبله كما تعرضت له معظم الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح والمسانيد من طرف أصحابها عند جمعها ، ومنها – على سبيل المثال – أحاديث موطأ الإمام مالك . فقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي عن ابن الحباب أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ، ويخبرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة[81] .

وقال الكيا الهراسي في تعليقه في الأصول : إن موطأ مالك كان اشتمل على تسعة آلاف حديث ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعمائة[82] .

ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن الربيع قد أخذ كل ماجاء في مسنده سماعا أو إملاء عن الثقات من أشياخه الذين لا يعتريهم سهو أو غفلة ، ولا يتطرق إليهم وهم ، ولا يحوم ما يلونه عليه من أحاديث شك .

(81) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ) تنوير الحوالك . المقدمة .

(82) نفس المرجع .

الربيع بن حبيب الفقيه

مقدمة الفصل :

واكبت حياة الإمام أبي عمرو الربيع بن حبيب الفقهية تلك الفترة التي أطلق عليها علماء تاريخ التشريع الإسلامي[1] مطلع العهد الرابع من تاريخ التشريع الإسلامي ، الذي يبتدىء بالقرن الثاني الهجري ويمتدّ حتى منتصف القرن الرابع منه .

وفي هذه الأثناء نشأت المذاهب الفقهية بسبب اختلاف العلماء في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، ومردّ ذلك الاختلاف يمكن حصره في ثلاثة أمور رئيسة تتمثل فيما يلي[2] :

1 – تفاوت الفقهاء في الإلمام بالسنّة ، والوثوق بها وفهم المراد منها ، فقد يقف أحدهم على حديث لم يقف عليه غيره ، فيفتي بموجب هذا الحديث ، ويفتي غيره بإعمال رأيه ومحض اجتهاده ، ويبلغ أحدهم حديث فيقبله لصحة سنده عنده ، في حين أن غيره لا يقبل هذا الحديث لأنه وصله من طريق لم يثق فيه فتختلف الفتوى بذلك .

2 – اختلافهم في فهم المراد من الأدلّة الشرعية الظّنية ، فقد يكون الدليل ظنيّا يحتمل أكثر من معنى ، وهنا يختلفون في تعيين المراد منه ، وبذلك يختلف الحكم .

(1) انظر : محمد الخضري ، تاريخ التشريع الإسلامي . ط 9 القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى . 1970 م ، ص 127 .

(2) أ – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت 1332 هـ) . طلعة الشمس . القاهرة : مطبعة الموسوعات ، لا . ت . ج : 2، ص 13 وما بعدها .

ب – عبد العظيم شرف الدين ، تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعة والعقد . ط 3 منشورات جامعة قاريونس ، 1978 ، م، ص 161 .

3 – اختلافهم في المباديء العامة مثل :

أ) هل الحديث المشهور أو المستفيض يصلح مخصصا للعام من القرآن ، ومقيدا للمطلق منه أو لا يصلح ؟.

ب) أيحتج بما رواه الثقات مطلقا سواء أكانوا فقهاء أم غير فقهاء ؟ أو يحتج بما رواه الثقات الفقهاء فقط ؟

جـ) وهل يحتج بعمل أهل المدينة أو لا يحتج به ؟.

د) وهل يحتج بالحديث المرسل أو لا يحتج به ؟.

هـ) وهل يحتج بفتاوى الصّحابة الاجتهادية ؟ وهل تجوز مخالفتها ؟.

و) وهل القياس حجة شرعية ؟ وهل ينبني على العلل والأوصاف المناسبة ، أو ينبني على المصالح والغايات المقصودة ؟.

ز) وهل العام الذي لم يخصّص ظني الدّلالة أو قطعي الدلالة ؟.

ع) وهل المطلق يحمل على المقيّد عند اتحاد الحكم والسبب ، أو عند اتحاد الحكم فقط ؟.

ط) وهل الأمر المطلق يدلّ على الوجوب ، أو على مطلق الطلب والقرينة تعيّن المراد ؟.

ي) وهل النّص يدلّ على ثبوت الحكم في المنطوق ، وعلى نفي نقيضه عن مفهومه المخالف المسكوت عنه ، أو يدلّ على ثبوت الحكم في المنطوق فقط ؟.

ثم إلى جانب اختلاف هؤلاء الأئمة في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، هناك أيضا اختلافهم في المنهج التطبيقي لها . ففقهاء العراق رأوا أن الشريعة الإسلامية معقولة المعنى ، وأحكامها منوطة بعلل وأسباب بغية تحقيق المصالح ، وبذلك اتجهوا إلى النزعة المتحررة التي تميل إلى تحكيم الرأي ، ولم يتسكوا بحرفية النصوص ، أما فقهاء الحجاز فقد مالوا إلى النزعة المحافظة التي تعتمد على النصوص دون اللّجوء إلى إعمال الفكر .

ولعل السبب المباشر في ظهور هذين الاتجاهين يرجع إلى ما يلي :

1 – كانت الأحاديث النبوية الشريفة وفتاوى الصحابة متوفرة في مدرستي

مكة والمدينة بالحجاز ، فوجد فقهاؤه أمامهم ثروة غنية من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم فأفتوا بموجبها ، ولم يحاولوا التفكير فيها .

وأمّا فقهاء مدرستي الكوفة والبصرة بالعراق ، فلم يجدوا مثل هذه الثروة العلمية الفقهية فاضطروا إلى إعمال الفكر للوصول إلى علل الأحكام الشرعية لتطبيق النصوص الشرعية على ما جدّ من الحوادث عندهم ، وما لم يجدّ ، وبذلك نشأ عندهم الفقه الفرضي ، وسموا (بالأرأيتيين) أخذا من قولهم : أرأيت كذا ...؟.

2 – اختلاف البيئتين : فبيئة الحجاز لم تتغير عمّا كانت عليه أيام الصحابة ، وقلّما حدث لهم أمر لم يجدوا فيه نصا أو فتوى صحابي ، وبذلك كان اعتماد فقهاء الحجاز على فهم النصوص بحسب ظواهرها .

أمّا بيئة العراق فقد تغيرت كثيرا ، ودخلت فيها أنواع من المعاملات نتيجة اتصال العراقيين بالفرس وغيرهم من الشعوب ، مما اضطر فقهاء العراق إلى البحث والاجتهاد ، وبذلك تكونت فيهم ملكة البحث والموازنة ، وبدت لهم وجوه النظر في التشريع .

3 – كانت العراق مهد الفتن والثورات ، وملتقى الشعوبيين وأرباب البدع والأهواء ، وبذلك وجد فيه من استباح وضع الأحاديث تأييدا لنزعاتهم ومذاهبهم السياسية ، ممّا حمل علماء العراق على الشك فيما يروى لهم من الأحاديث ، فاشترطوا ثقة الرواة ، وإن وجدوا حديثا لا يتفق مع العقل تركوه أو أوّلوه .

أمّا الحجاز فقد سلم من هذه التيارات ، فكانت الثقة بالرواة فيه موفورة[3] .

تلك هي ملامح النزعة التشريعية الفقهية في الدور الرابع من أدوار تاريخ التشريع الإسلامي في مدرستي الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، والعراق (الكوفة والبصرة) التي عاصرها فقيهنا أبو عمرو الربيع بن حبيب وهو عراقي بصري المنشأ والفكر . فهل كان في نزعته الفقهية عراقيا يحكم الرأي ، أو حجازيّا يعتمد النص ؟.

(3) انظر . المرجع السابق ، ص 162 – 163 .

هذا ما سنعرض له في هذا الفصل من خلال النقاط التالية :

1 – معنى الفقه لغة واصطلاحا .

2 – الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفّر فيه .

3 – المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو عمرو الربيع بن حبيب .

4 – نماذج من فتاوى الربيع بن حبيب .

5 – بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجر بها العمل في المذهب الإباضي .

6 – وفاة الربيع بن حبيب .

1 – التعريف بالفقه

ا – الفقه في اللغة العربية :

لفظة الفقه من المصادر التي تؤدي معناها ، إذ أن كثيرا من المصادر يأتي منها متعلق كالعلم بمعنى المعلوم ، والعدل بمعنى العادل[4] . وقد جاءت في اللغة العربية بمعان مختلفة منها[5] .

1 – الفقه : الشق والفتح ، ومنه يجيء معنى حيّ فطري جنسيّ فيقال : فحل فقيه ، أي عالم بأحوال النياق المطروقة ، أو طبّ بالضراب ، حاذق .

2 – الفقه : العلم بالشيء والفهم له . يقال : فلان أوتي فقها ، أي فهما فيه . قال الله تعالى : ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين..**﴾[6] أي ليكونوا علماء به .

(4) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . الموسوعة الفقهية . القاهرة : مؤسسة/دار التحرير للطبع والنشر ، 1386 هـ ، ج : 1 ، ص 9 .

(5) انظر : أ) لسان العرب ، مادة : فقه :

ب) الطاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط . ج : 3 . مادة : فقه .

ج) أمين الخولي ، مالك بن أنس . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، لا . ت . ص 607 وما بعدها .

(6)التوبة : 122 .

3 – الفقه : الفطنة . قال عيسى[7] بن عمرو : قال لي أعرابي : شهدت عليك بالفقه ، أي بالفطنة .

4 – الفقه : إدراك الأشياء الخفية ، فلذا تقول : فقهت كلامك ، ولا تقول : فقهت السماء والأرض والبحر ، وعلى هذا النقل لا يكون مرادفا لألفاظ ، الفهم ، والعلم ، والطّب .

5 – فعل فقه بضم القاف ككرم يستعمل للنعوت ، تقول : فقه فهو فقيه ، وفقه ، والجمع فقهاء ، وتقول للأنثى : فقهت فهي فقيهة وفقهة ، والجمع فقهاء وفقائه[8] .

ب – الفقه في الاصطلاح :

كانت كلمة الفقه تطلق في صدر الإسلام على فهم الأحكام ، سواء كانت متعلقة بالإيمان والعقائد وما يتصل بها ، أم كانت أحكام الفروض ، والحدود ، والأوامر ، والنواهي ، والتخيير والوضع . فكانت بذلك مرادفة للكلمات : (شريعة ، وشرعة ، شرع ، دين) ، كما كانت تطلق على الأحكام نفسها ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «**ربّ حامل فقه غير فقيه**»[9] ، و «**ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[10] .

ثم تغير هذا الاستعمال فيما بعد ، ودخل التخصيص على اسم الفقه ، ونشأ له اصطلاحان : أحدهما اصطلاح الأصوليين ، والآخر اصطلاح الفقهاء .

(7) هو عيسى بن عمرو الثقفي بالولاء ، من أئمة اللغة وشيخ الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وعمرو بن العلا . أول من هذب النحو ورتبه . توفي سنة 149 هـ .

(8) الزاوي . نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(9) و (10) ابن عبد البر ، (ت 463 هـ) جامع بيان العلم وفضله . (تحقيق : إدارة الطباعة المنيرية) . القاهرة : الطباعة المنيرية ، لا . ت . ج : 1 ، ص 29 .

معنى الفقه عند الأصوليين

ذهب الأصوليون في تعريفهم لمفهوم الفقه إلى المعنى الوصفي ، أي الحال التي إذا وجد عليها الشخص سمّي فقيها ، ولم يعرضوا لمعناه الإسمي ، أي المسائل التي يطلق عليها اسم الفقه ، ولهم في ذلك ثلاث تعريفات :

أ) تعريف جمهور الأصوليين : وهو أن الفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاستدلال والاجتهاد ، وبقيد الاستدلال عندهم خرج عن أن يكون علم المقلّد بالأحكام الشرعية العملية فقها ، لأنه علم ليس عن استدلال ، وكذلك خرج العلم بشعائر الإسلام ، كوجوب الصلاة ، والصّيام ، والزكاة ، والحج وغير ذلك مما هو معلوم بالضرورة من غير استدلال . فهذا عندهم لايسمى فقها لحصوله للعوام والنساء والأطفال المميزين . فالفقه بمعناه الأخص عندهم : هو العلم الاجتهادي ، والفقيه هو المجتهد .

ب) تعريف صدر[11] الشريعة المنتزع من أصول البزدوي[12] مع شيء من التصرف وهو : إن الفقه هو العلم بكل الأحكام الشرعية العملية التي ظهر نزول الوحي بها وانعقد الإجماع عليها من أدلّتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها . وهذا التعريف يقتضي العلم بالأحكام الشرعية العملية المعروفة أخذًا من أدلتها قطعية كانت أو ظنّية ، وليس الاستدلال بمعنى الاجتهاد شرطا لحصول هذا العلم ، مع وجوب ملكة الاستنباط الصحيح من الأحكام الشرعية التي نزل بها الوحي ، أو انعقد عليها الإجماع . والفقيه على هذا من كان أهلا للاجتهاد ، وإن لم يقع منه الاجتهاد .

(11) صدر الشريعة الأصغر : هو عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي ، من علماء الحكمة والطبيعيات وأصول الفقه والدين . له عدة تصانيف منها : التنقيح في أصول الفقه ، وكتاب تعديل العلوم ، وعدة شروح . (ت 747 هـ) راجع : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط : 3 . ج : 4 . ص 354 .

(12) البزدوي : هو علي بن محمد بن الحسين نسبته إلى (بزدة) قلعة قرب نسف ، ومن سكان سمرقند ، فقيه أصولي من أكابر الحنفية ، له مؤلفات قيمة منها : المبسوط ، والوصول في أصول الفقه المعروف بأصول البزدوي ، وتفسير القرآن وغيرها . توفي سنة 482 هـ . راجع : المرجع السابق ، ج : 5 ، ص 148 .

ج) تعريف الكمال بن الهمام[13] : عرف الكمال بن الهمام في كتابه التحرير الفقه بتعريف لا يختلف عن تعريف صدر الشريعة إلا في بعض أمور ، أهمها ما يرجع إلى المراد من الأحكام الشرعية ، فقد ذهب الكمال هذا إلى أنها القطعية لا الظنيّة ، وأن الظن ليس من الفقه ، وأن الأحكام المظنونة ليست مما يسمى العلم بها فقها .

واختلاف الأصوليين في تعريفهم للفقه يرجع إلى المراد من الأحكام . فالجمهور أراد منها الظنية وحدها . والبزدوي ومن معه جعلوها شاملة للقطعية والظنية ، وأمّا ابن الهمام فأراد القطعية[14] .

2 - الفقه في اصطلاح الفقهاء :

اصطلح الفقهاء على معنيين لاسم الفقه :

أ) المعنى الأول : الفقه هو : حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب والسنّة ، وما استنبط منها ، سواء أحفظت مع أدلّتها ، أم حفظت مجرّدة عن هذه الأدلّة .

ب) المعنى الثاني : الفقه هو : مجموعة المسائل التي تحتوي على الأحكام الشرعية العملية التي نزل بها الوحي قطعية كانت أو ظنّية ، وعلى ما استنبطه المجتهدون على اختلاف طبقاتهم ، وعلى ما اهتدى إليه أهل التخريج والوجوه ، وعلى ما ظهرت روايته واشتهرت ، وما لم يكن كذلك ، وعلى ما أفتى به أهل الفتوى في الواقعات والنوازل ، وإن لم يقم على استنباط ، ولم يكن تطبيقا للأحكام المقررة ، وعلى بعض ما احتيج إليه من مسائل العلوم الأخرى ، كبعض أبواب الحساب التي ألحقت بالوصايا والمواريث ، وعلى ما رآه

(13) ابن الهمام : هو محمد بن عبد الواحد السيواسي الإسكندراني ، له مؤلفات كثيرة ، ومن كتبه : فتح القدير ، وشرح الهداية ، والتحرير في أصول الفقه . توفي سنة 861 هـ . راجع : نفس المرجع السابق . ج : 7 ، ص 134 .

(14) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 11 .

المتأخرون من الفقهاء الذين ليسوا من أهل الاجتهاد ولا التخريج من طريق ما سمّوه فقها ، أو استظهارا ، أو أخذا ، أو ما أشبه ذلك ، فكل هذا الذي ذكر قد اندمج بعضه ببعض وصار فقها[15] .

2 – الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفّر فيه

أولا : معنى الفقيه لغة واصطلاحا

ا) المعنى اللغوي للفقيه :

الفقيه اسم فاعل مشتق من الفعل فقه بضم القاف ، ومعناه : الشخص الذي صارالفقه له صفة وسجية ، وليس اسم فاعل من الفعل فقه بكسر القاف أي : فهم ، ولا من فقه بفتح القاف أي : سبق غيره إلى الفهم كما تقرر في علم العربية أن قياسه (فاقه)[16] .

ب) المعنى الاصطلاحي للفقيه :

أورد العلماء تعريفات عدة لمفهوم الفقيه اصطلاحا أمكن للباحث أن يستخلص منها المعنى التالي :

الفقيه : هو ذلك الشخص الذي منّ الله عليه بفضله ، « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم**»[17] ليكون من أعلم النّاس بما أحلّ الله وحرّم على عباده ، وأعرفهم باختلاف الفقهاء ، وأبصرهم بنور الحق إذا تباينت فيه آراؤهم ، وهو الذي لايقنط أحدا من رحمة الله ، ولاييئسه من روحه ، ولا يؤمنه من مكره ، ولا يحب إلاّ في الله ، ولا يبغض إلا في ذات الله ، ويقبل على

(15) نفس المرجع ، ص 12 .

(16) عبد الله بن أبي القاسم البيضاوي ، (ت 685 هـ) . منهاج الوصول في علم الأصول (شرح : محمد بن الحسن البدخشي) . القاهرة : مطبعة علي صبيح وأولاده ، لا . ت . ج : 1 ن ص 20 .

(17) الحديد : 21 .

نفسه فيكون لها أشدّ مقتا منه من الناس ، وأن يكون عالما بالأثر ، بصيرا بالرأي ، ويملك فوق ذلك كله القدرة والملكة على استنباط الأحكام واستخراجها .

وقد جاء من الأحاديث النبوية الشريفة وفي الآثار في هذا المعنى قدر كبير نورد منها ما يلي :

☆ عن أبي إسحاق عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟**» . قالوا : بلى . قال : «**من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه ، ألا لا خير في عبادة ليس بها تفقّه ، ولا علم ليس فيه تفهّم ، ولا قراءة ليس فيها تدبّر**»[18] .

☆ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يا عبد الله بن مسعود !**» قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : «**أتدري أي ابن الناس أفضل ؟**» قلت : الله ورسوله أعلم . قال : «**فإنّ أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا في دينهم**» قال : «**يا عبد الله بن مسعود !**» قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : «**أتدري أيّ الناس أعلم ؟**» قلت : الله ورسوله أعلم . قال : «**أعلم الناس أبصرهم بالحقّ إذا اختلف الناس...**»[19] .

☆ وعن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال : «لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ، ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتا منك من الناس»[20] .

☆ قال محمد بن عيسى : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول : «من لم

(18) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، ج : 12 ، ص 44 .

(19) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 43 .

(20) نفس المرجع ، ص 45 .

يعرف اختلاف القراء فليس بقاريء ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه»[21] .

☆ وعن عثمان بن عطاء من أبيه قال : «لاينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون ملما باختلاف الناس فإنه إن لم يكن كذلك ردّ من العلم ماهو أوثق من الذي بين يديه»[22] .

ثانيا : الصفات التي ينبغي أن تتوفّر في الفقيه

للفقيه المفتي في الإسلام منزلة عظيمة ، ومكانة سامية جليلة باعتباره مبلغا عن الله ورسوله ، موقعا عنهما فيما يحلّ ويحرم شرعا ، ولا يمكن لشخص ما أن يصل إلى هذه الدرجة إلاّ إذا توفّرت فيه صفات وشروط معينّة تخولّه أن يتبوأ هذا المنصب الخطير ، ومن هذه الشروط والصفات التي رآها العلماء[23] .

1 – أن يكون الفقيه المفتي مسلما .

2 – مكلفا .

3 – عدلا ثقة ومأمونا .

4 – منزها عن أسباب الفسق وخوارم المروءة .

5 – فقيه النفس ، سليم الذهن ، رصين الفكر ، صحيح التصرف والاستنباط .

6 – قويّ الضبط متيقظا .

7 – عارفا بنصوص الكتاب والسنة وفيما يتعلّق بالأحكام .

8 – عارفا بمسائل الاجماع لئلا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه ، إن كان ممّن يقول بحجية الاجماع ويرى أنه دليل شرعي .

(21) نفس المرجع ، ص 64 .

(22) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(23) عبد الباسط بن موسى العلوي (ت 981 هـ) . المعيد في أدب المفيد والمستفيد . دمشق : مطبعة الترقي . سنة 1349 هـ . ص 85 .

9 – متمكنا من اللغة العربية – التي هي لغة التشريع – حتى يكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنّة .

10 – له دراية بعلم أصول الفقه ، لأنه هو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

11 – له معرفة بالناسخ والمنسوخ سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية المطهّرة حتى لا يقع في الحكم بالمنسوخ[24] .

ولعله من لمفيد أن نورد هنا ما قاله ابن قيم الجوزية من الشروط فمن يبلّغ عن الله ورسوله ، قال : «ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلّغ ، والصدق فيه ، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلاّ لمن اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالما بما يبلغ ، صادقا فيه ، ويكون مع ذلك حسن الطريقة ، مرضي السيرة ، عدلا في أقواله وأفعاله ، متشابه السّر والعلانيّة في مدخله ومخرجه وأحواله ، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحلّ الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيّات ، فكيف بمنصب التوقيع عن ربّ الأرض والسماوات ؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته ، وأن يتأهّب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من الحقّ والصدع به ، فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب ؟ فقال تعالى : ﴿**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب**﴾[25] ، وكفى بما تولاّه الله بنفسه شرفا وجلالة ، إذ يقول في كتابه : ﴿**قل الله يفتيكم في الكلالة**﴾[26] . وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله»[27] .

(24) محمد بن علي الشوكاني (ت 1255 هـ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول . بيروت : دار الفكر ، لا . ت . ص 250 – 252 .

(25) النساء : 127 .

(26) النساء : 186 .

(27) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ت (751 هـ . إعلام الموقعين عن ربّ العالمين . (تعليق . طه عبد الرؤف سعد) بيروت : دار الجيل ، 1973 م ، ج : 1 . ص 10 – 11 .

هذا و ليس هناك فرق – بتلك الشروط والصفات والمواصفات المذكورة آنفا – بين الفقيه المفتي المسلم الحر والعبد ، والمرأة والأعمى والأخرس إذا كتب أو فهمت إشارته[28] .

3 – المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها الفقيه أبو عمرو الربيع بن حبيب

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث إلى أنّ أبا عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي قد التحق – عند مجيئه من عمان إلى البصرة بالعراق – بمدرسة أو حلقات دروس التابعي الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وتتلمذ عليه لفترة وجيزة إذ كان جابر بن زيد رضي الله عنه حينئذ في أواخر أيام حياته ، وما لبث إلا يسيرا بعد التقائه بالربيع حتى لاقى ربّه سنة 93 هـ وبذلك كان أكثر ما أخذه الربيع من العلوم الدينية والعربية عن تلاميذه الكبار الذين كانوا يمثلون آراءه ومذهبه حق تمثيل ، ويترسمون خطاه وينتهجون سبيله في الدعوة إلى العودة بالمسلمين إلى الإمامة العادلة وشورويّة البيعة وحريّة الاختيار للحاكم كما كانوا عليه زمن الخلافة الراشدة ، من أمثال : أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة ، وضمام بن السائب ، وجعفر بن السماك ، وأبي نوح صالح الدهان وغيرهم .

أخذ أبو عمرو الربيع بن حبيب من هذه المدرسة علومه الدينية وآراءه الفقهية ، فهي وإن كانت إحدى مدارس البصرة الشهيرة بالعراق إلاّ أنها لم تذهب مع الرأي ذلك المذهب الذي بلغه الحنفية والمعتزلة ، فإمامها أبو الشعثاء قد اعتمد نصيحة شيخه الصحابي الجليل أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إذ قال له : «يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة ، وستستفتين فلا تفتين إلا بكتاب ناطق أو

(28) عبد الباسط بن موسى العلوي . مرجع سابق ، ص 85 .

سنة ماضية»[29] . وفي رواية أخرى قال جابر بن عبد الله : «يا ابن زيد ! إنك من فقهاء البصرة ، إنك ستستفتى فلا تفتين إلاّ بقرآن ناطق أو سنّة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت»[30] ، عمل أبو الشعثاء بهذه النصيحة في بناء أصوله الفقهية ، وإجراء أحكامه الشرعية على كتاب الله العزيز وسنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

ويمكن وضع هذه المدرسة الفقهية الجابرية (أو ما سمّي فيما بعد بالمذهب الإباضي) في المنزلة أو الشريحة التي تقع – إن صح التعبير – بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة ، والحنفية من جهة أخرى ، فهي تعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض وعلى الآحادي ، وعلى مرسل الصحابة والتابعين ، وإذا تعارض الحديث والقياس رجّح جانب الحديث ولو كان أحاديًا أو مرسلا للطبقة السابقة ، ولا يردّ الحديث الأحادي إلا إذا عارضه دليل قطعيّ . وتقول – أيضا – بالقياس والاستصحاب ، والمصلحة المرسلة[31] .

ولعلّه من المفيد أن يثبت الباحث أصول هذه المدرسة أو بعبارة أدق أصول المذهب الإباضي التي كان أبو عمرو الربيع بن حبيب أحد رواد تقعيدها وتأصيلها .

أ – أصول الإباضية في التشريع :

مصادر التشريع عند الإباضية هي : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهّرة ، والإجماع والقياس ، والاستدلال ويندرج تحته ، الاستصحاب ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة . وقد يطلقون على الإجماع والقياس والاستدلال كلمة (الرأي) فيقولون عندما يتحدثون عن مصادر التشريع هي : الكتاب ، والسنة ، والرأي ، وبسبب ذلك أخطأ بعض من كتب عنهم فظن أنهم ينكرون الإجماع .

(29) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية ، لا . ت . مج : 2 ، القسم الثاني من الجزء الأول ص 204 .
(30) أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير (ت 774 هـ) البداية والنهاية (شرح وتحقيق : مكتبة المعارف) ط 3 . بيروت : مكتبة المعارف ، 1980 م ج : 9 ، ص 94 .
(31) علي يحيى معمر (ت 1980 م) الإباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة : مطابع سجل العرب ، 1976 م ، هي 357 – 357 .

ب – آراؤهم في بعض مسائل الأصول :

1 – شرع من كان قبلنا شرع لنا إذا لم ينسخ وقصه الله تبارك وتعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم علينا على جهة التشريع[32] .

2 – الإجماع القولي حجة قطعية والإجماع السكوتي حجة ظنيّة[33] .

3 – الحديث الأحادي يفيد العمل ولا يفيد العلم فلا يحتج به في العقائد[34] .

4 – عمل أهل المدينة أو إجماعهم ليس حجة على غيرهم[35] .

5 – مذهب الصحابي ليس حجة على غيره[36] .

6 – إذا تعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم وعمله ، ولم يمكن الجمع بينهما فالقول أقوى لأنه أساسا موجّه إلينا ، والعمل يحتمل الخصوصية[37] .

7 – ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب[38] .

8 – لا خيار للناس في حكم ثبت بنص القرآن ، ويدخل في هذا قضية التحكيم[39] .

9 – في عدالة الصحابة ثلاثة أقول[40] .

القول الأول : الصحابة كلّهم عدول إلاّ من فسقه القرآن الكريم كالوليد بن عقبة ، وثعلبة بن حاطب .

القول الثاني : الصحابة كلّهم عدول وروايتهم جميعا مقبولة إلاّ في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاضها .

القول الثالث : الصحابة كغيرهم من الناس من اشتهر بالعدالة فكذلك ، ومن لم يعرف حاله بحث عنه .

---

(32) أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 60 .
(33) نفس المرجع ، ص 66 .
(34) نفس المرجع ، ص 15 .
(35) نفس المرجع ، ص 69 .
(36) نفس المرجع ، ص 64 .
(37) علي يحيى معمر : (ت 1980 م) الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة . مخطوطة : الورقة 14 .
(38) نفس المرجع ،ص .
(39) نفس المرجع ،ص .
(40) أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، المرجع السابق ، ج : 2 ، ص 42 – 43 .

10 – الأعمال التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض العبادات لسبب عارض ، أو فعلها ولم يعد إليها ، أو لم يثبت أنه داوم عليها ، لا يعتبرونها سنة ، وإنما يرونها واقعة حال يمكن الإتيان بها في ظروف مشابهة فقط اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فهم لا يقولون بسنية المسائل الآتية[41] :

☆ القنوت في الصلاة
☆ رفع الأيدي عند التكبير
☆ تحريك السبابة عند التشهد .
☆ الجهر بكلمة آمين بعد قراءة الفاتحة في الصلاة .
☆ زيادة (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر .

11 – إذا اختلف المجتهدان في القطعيات فأحدهما مصيب ، والآخر مخطيء آثم ، وإذا اختلفا في الظنيّات (أي في الفروع ، فإباضية المغرب وابن بركة من أئمة المشرق يرون أن أحدهما مصيب له أجران – وأن الآخر مخطيء وله أخر واحد جزاء اجتهاده . أمّا إباضية المشرق وأبو يعقوب الوارجلاني من أئمة المغرب فيرون أن كلا المجتهدين مصيب[42] .

جـ – القواعد الفقهية التي تراعي في تفريعاتهم الفقهية[43] :

للإباضية تفريعات فقهية تنضوي تحت القواعد الفقهية الأساسية نذكر منها مايلي :

---

(41) أ – علي يحيى معمر ، نفس المرجع ، ص 15 .
ب – سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية . سوريا ولبنان : دار اليقظة العربية ، لا . ت ، ص 291 – 292 .
(42) أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي . نفس المرجع ، ص 279 .
(43) راجع : ضياء الدين عبد العزيز الثميني (ت 1223 ه) النيل وشفاء العليل (تعليق : بكلّي عبد الرحمن بن عمر) . ط 2 . الجزائر : المطبعة العربية ، 1969 م . ج : 1 ، ص 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، وج : 2 . ص : 659 ، 660 ، 661 ، وج : 3 ، ص 1099 ، 1100 ، 1101 ، 1102 .

☆ كل مكان دخل إليه بإذن تجوز فيه الصّلاة ولو بلا إذن .
☆ لا يصح لغاصب أن يوطن بيتا غصبه .
☆ المسافر يقصر الصلاة ما دام على نيّة السفر .
☆ كل مالا ينقض الصلاة سهوا يفسدها عمدا إن لم يكن لإصلاحها .
☆ الأصل في المقبرة أن تكون للجميع إن لم تعرف لخاصة .
☆ كل ما لايصلّى به لا يصلّى عليه .
☆ شهادة العدلين توجب عملا لا علما .
☆ الاستثناء في اليمين ينفع في المستقبل لا في الماضي .
☆ الخلوة توجب العدّة والصداق الكامل .
☆ الولد تابع لمن أسلم من أبويه .
☆ كل مجمع على تحريمه حرام بيعه وأكل ثمنه .
☆ الأمور بمقاصدها .
☆ اليقين لا يزول بالشّك .
☆ الأصل براءة الذمة .
☆ البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر .
☆ البيّنة حجّة متعديّة ، والإقرار حجّة قاصرة .
☆ الخراج بالضمان ، والأجر والضمان لا يجتمعان .
☆ لا ضرر ولا ضرار ، والضرر يزال .
☆ الضرورات تبيح المحظورات ، والحاجة تنزل منزلة الضرورة .
☆ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .
☆ المشقة تجلب التيسير .
☆ الثابت بالبرهان كالثابت بالعيان .
☆ الجواز الشرعي ينافي الضمان ، وكل وصية لم تتبين رجعت للأقرب .
☆ كل مال يورث فحرام غنيمته ، وكل مال يغنم فحرام ميراثه ..
وأمثالها كثيرة في كتب الأصول وكتب الفقه .

نماذج من فتاوى أبي عمرو الربيع بن حبيب

لقد استطاع الباحث أن يجمع عددا من فتاوى الربيع وإجاباته عن أسئلة في مختلف أبواب الفقه لأبي عمرو الربيع بن حبيب ، التي جاءت متناثرة ومتفرقة هنا وهناك في كتب الفقه الإباضي ، حيث إنه لم يعثر – فيما وصلت إليه يداه من مؤلفات الإباضية وفي قائمة مصنفاتهم التي ذكرها العالمان : أبو القاسم إبراهيم البرادي في كتابه (الجواهر المنتقاة)[44] ، وأبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في رسالته (اللمعة المرضية من أشعة الإباضية)[45] – على مصنف قائم في الفقه لهذا الإمام .

ولعلّ أكثر ما جاء عن الربيع من فتاوى وآراء فقهية في كتب وآثار الإباضية إنما هو مأخوذ من المدونة الكبرى لتلميذه العلامة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني الإباضي التي جمعها عن سبعة[46] من أشياخه تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهم – عدا أبي عمرو الربيع – وائل بن أيوب الحضرمي ، وأبو المؤرّج ، وعبد الله بن عبد العزيز ، ومحبوب بن الرّحيل القرشي ، وحاتم بن منصور ، وأبو غسان مخلد بن العمود وغيرهم من علماء التابعين[47] .

وفيما يلي أمثلة ونماذج من تلك الإجابات والفتاوى موزعة على مختلف أبواب الفقه :

أ) في باب الطهارات :

سئل أبو عمرو الربيع عن :

(44) راجع : أبو القاسم إبراهيم البرادي . الجواهر المنتقاة . القاهرة : مطبعة حجرية ، 1388 هـ . ص 218 – 281 .
(45) انظر : موسى وعلي بكير بن علي . مجموع ستة كتب . غرداية : المطبعة العربية ، لا . ت ص 67 – 77 .
(46) راجع سير هؤلاء الأشياخ : أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي . السير . القاهرة : مطبعة الأزهار ، لا . ت ، ص 102 ، 105 ، 111 ، 110 ، 117 ، 119 .
(47) أبو غانم بشر بن غانم ، المدونة الكبرى . (ترتيب : محمد بن يوسف اطفيش لبنان – سوريا : دار اليقظة العربية ، 1974 م ، ، ج : 1 ، ص 4 .

1 – رجل يرى في ثوبه أثر الاحتلام وهو يصلّي ؟.

أجاب : انتقضت صلاته وينصرف يغسل ثوبه ، ثم يصلي به ، أو يأخذ غيره ويصلّي به[48] .

2 – وإذا كان احتلاما جافا فحكها حتى أذهبها ، أيصلّي بذلك الثوب ؟.

أجاب : لا يعجبني أن يصلّي به حتى يغسلها[49] .

3 – عمن رأى في ثوبه دما ؟.

أجاب : إن كان يقدّر مالو اجتمع سال فهو نجس ، وإن كان لو اجتمع لم يسل فلا بأس[50] .

4 – عن دم في البزاق والنخامة ؟.

أجاب : إن قلّ فلا بأس ، وإن كان كثيرا سائلا توضأ[51] .

ب) باب في الوضوء والاغتسال :

1 – أيعيد الرجل الوضوء إذا مسّ الجذب أو ظهر كلب ؟.

أجاب : أمّا الجنب فلا يعيد منه الوضوء ، وأما ظهر الكلب فإن كان رطبا من بلل فعليه إعادة الوضوء[52] .

2 – رجل توضأ للصلاة فقبّل جاريته أو امرأته أو لامسها ، أو باشرها ، أو غمزها أو مسّ جسدها كل ذلك بشهوة منه ، أو غير ذلك أيعيد الوضوء ؟.

أجاب : لا يعيد الوضوء في شيء من ذلك إلاّ أن يمذي ، فإن لم يمذ فلا إعادة عليه في شيء من ذلك[53] .

3 – أيتوضأ الرجل من الإناء الذي ولغ فيه الكلب أو السّبع ؟.

(48) أبو غانم بشر بن غانم . المدوّنة الكبرى . مرجع سابق . ص 5 .
(49) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(50) نفس المرجع ، ص 6 .
(51) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(52) نفس المرجع ، ص 8 .
(53) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

أجاب : ليغسله ثم يتوضأ منه ، ولا يتوضأ منه حتى يغسله[54] .

4 – أتوقت في الإناء ثلاثا أو سبعا كما قال الكوفيون ؟.

أجاب : لا أوقت في ذلك وقتا دون حسن النقاء والغسل ، فإن نقاه في مرة واحدة فليتوضأ به[55] .

5 – رجل يتجشأ فيخرج من جوفه شيء إلى حلقه ؟.

أجاب : يتم وضوءه ، وإن خرج إلى فيه فليتوضأ وإنما التطهّر مما يخرج وليس ممّا يدخل[56] .

6 – عن كيفية الوضوء ؟

أجاب : سألت أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن الوضوء والصلاة فقال : «تبدأ فتغسل كفيك ثم تستنجي ، ثم تمضمض فاك ، ثم تستنشق بالماء ، وتغسل وجهك وذراعيك إلى المرفقين ، وتمسح برأسك وأذنيك ظاهرهما وباطنها ، وتغسل رجليك إلى الكعبين[57] .

7 – أرأيت مسح الأذنين والمضمضة والاستنشاق واجبات هن ؟.

أجاب : نعم . من ترك من ذلك شيئا لم يتم وضوءه[58] .

8 – رجل ضحك وهو إمام قوم فقهقه ؟.

أجاب : بطلت صلاته ووضوءه ، أما الذين من خلفه يعيدون صلاتهم ، ولا يعيدون وضوءهم إلاّ أن يكونوا ضحكوا معه[59] .

9 – قال الربيع : كل شيء من الكلام خبيث ينقض الوضوء[60] .

(54) أبو غانم بشر بن غانم . المدونة الكبرى . مرجع سابق . ص 9 .
(55) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(56) نفس المرجع ، ص 10 .
(57) نفس المرجع ، نفس الصحة .
(58) نفس المرجع ، ص 11 .
(59) نفس المرجع ، ص 13 – 14 .
(60) عامر علي الشاخي . الإيضاح . ط 2 . بيروت : مطبعة الوطن . 1971 م ، ج : 1 ، ص 129 .

ج) باب في التيمّم :

1 – هل يجدد التيمم عند كل صلاة ؟.

قال الربيع بتجديد التيمم عند كل صلاة إلا إن جمعت فإنه يجتزأ بتيمم واحد ، وعلّل ومن على رأيه ذلك بثلاث علل :

إحداها : إن التيمم لايرفع الحدث وإنما هو مشروع لاستباحة أقل ما يمكن له من الصلاة .

والثانية : إنه لا يتيمم قبل وقت الصلاة .

والثالثة ، إن تكرار طلب الماء واجب لكل صلاة ، فإذا لم يوجد الماء عدل إلى التيمم[61] .

د) باب أوقات الصلاة :-

1 – ما حكم من أخر الصلاة عن وقتها ؟.

قال الربيع : كل صلاة بوقتها حتى إنه يحكم بكفر من أخّر عمدا صلاة إلى وقت صلاة بعدها ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : **«وقت صلاة الظهر مالم يحضر العصر ، ووقت صلاة العصر مالم تصفر الشمس ، ووقت صلاة المغرب مالم يسقط نور الشفق ، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل ، ووقت صلاة الفجر مالم تطلع الشمس»**[62] ، وقال : **«لولا أن أشق عليكم لأمرتكم بصلاة العشاء في آخر نصف الليل»**[63] وكان يقول : **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر – ويروى لثلاث عشرة – وفرقوا بينهم في المضاجع»**[64] ، [65] .

(61) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت 750 هـ) . قواعد الإسلام . (تحق : بكلي عبد الرحمن بن عمر) غرداية : المطبعة العربية سنة 1976 م ، ج : 1 ، ص 193 .

(62) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ج : 2 ، ص 104 .

(63) لم أعثر على حديث بهذا اللفظ ، وقد جاء في كتاب الايضاح الجزء الثاني صفحة 387 للشماخي ، وفي نيل الأوطار للشوكاني الجزء الأول صفحة 413 من رواية أحمد وابن ماجة والترمذي مانصه : **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه»** .

(64) أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزوي ، (ت 606 هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول . (تحق : عبد القادر الأرناؤوط) ، لا . ب . مطبعة الملاح ، لا . ت ، 5 ، ص 187 .

(65) أبو غانم بشر بن غانم . مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 41 .

هـ) باب الأذان والإقامة :

1 – هل على المرأة أذان أو اقامة ؟.

أجاب : لا[66] .

2 – إن تكلّم المؤذن في أذانه وإقامته أيتم على ما مضى من أذانه وإقامته أم يستقبل[67] ؟.

أجاب : أحبّ إليّ ألاّ يتكلّم من حاجة لابدّ منها ، فإن لغير حاجة لم أر عليه الإعادة ، ويبني على ما مضى من أذانه وإقامته[68] .

و) باب القراءة والإقامة في الصلاة :

1 – ما حكم رجل يدرك الإمام وهو راكع ؟.

أجاب : إذا أدركه ولم يرفع رأسه من الرّكوع فليكبّر التكبيرة التي تفتتح بها الصلاة ثم يركع وليصل معه وليعتد بها ، وإذا أدركه ساجدا فليكبر ويسجد[69] .

2 – أيؤم الرجل النسوة وليس معهن رجل غيره ؟ وإن دخل عليه في صلاته تلك رجل واحد ؟.

أجاب : نعم ، وإن جاء رجل واحد فليقم إلى جنب الإمام عن يمين الإمام[70] .

3 – أيقرأ الرجل في صلاة التطوع بأمّ القرآن وحدها ؟.

أجاب : لا ، إلاّ ومعها سورة من القرآن[71] .

4 – أيقرأ الرجل في الأولى والعصر بشيء من القرآن غير فاتحة الكتاب ؟.

أجاب : لا ، إلاّ بفاتحة الكتاب سرًا فيما بينه وبين نفسه[72] .

(66) نفس المرجع ، ص 45 .

(67) أي : يستأنف .

(68) نفس المرجع ، ص 46 .

(69) نفس المرجع ، ص 74 .

(70) نفس المرجع ، ص 75 .

(71) نفس المرجع ، ص 77 .

(72) نفس المرجع ، ص 78 .

5 – أيقرأ في أربع الركعات كلهن بفاتحة الكتاب وحدها ؟.
قال : نعم ، ذلك أحب إليّ وبه نأخذ[73] .

ز) باب السلام من الصلاة:-

1 – كيف يسلم الرجل إذا أراد أن ينصرف من صلاته ؟.
أجاب الربيع : عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تسليمه واحدة ، ثم ينصرف بوجهه إلي يساره حتى يرى من على يساره خده[74] .

ح) باب في صلاة المسافر :-

1 – أيتطوع الرجل وهو مسافر قبل الصلاة وبعدها ؟.
أجاب : نعم يتطوع قبل الصلاة وبعدها[75] .
2 – أيصلي الرجل التطوع وهو على ظهر دابته ويسجد ؟.
أجاب : نعم ولا بأس بذلك ، ولكن لا يسجد بل يوميء برأسه إيماء ، ولا يضره إن كان وجهه لغير القبلة[76] .

ط) باب الصلاة على الجنازة :

1 – أيصلّى على الرجل والمرأة إذا ماتا جميعا صلاة واحدة ؟ وإذا كان الرجال والنساء أكثر من اثنين فكيف تتم الصلاة عليهم ؟.
أجاب : إن الرجل يكون أمام المرأة ، والمرأة مما يلي الإمام ، فإن أكثر من ذلك رجالا ونساء فيكون الرجال مما يلي القبلة ، والنساء مما يلي الإمام . وبهذا قال أبو عبيدة[77] .

(73) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(74) نفس المرجع ، ص 96 .
(75) نفس المرجع ، ص 188 .
(76) نفس المرجع ، ص 189 .
(77) نفس المرجع ، ص 214 .

2 – امرأة توفيت مع قوم في سفر ليس معهم نساء ، ومعهم أبوها أو أخوها أو ابنها أيغسلونها ؟.
أجاب : يغسلها زوجها ، وإن لم يكن زوجها وكان أبوها أو أخوها أو غيرهما من القرابة فليغسلوها من وراء الثياب فإن الموت كربه[78] .

ي) ومما جاء عن الربيع في باب الزكاة :

1 – إذا كانت الأرض خراجا ليس فيها عشر ، لأنه لا يجتمع الخراج مع العشر[79] .
2 – ما زاد على المائتين درهما ففي كل أربعين درهما درهم ، وما زاد على العشرين مثقالا ذهبا ففي كل أربعة مثاقيل عشر المثقال ، ولو بلغت القناطير ، وما دون الأربعين درهما فليس فيه شيء وكذلك ما دون أربعة مثاقيل[80] .

ك) ومما جاء عنه في باب الصوم :

1 – من أخذ في قضاء ما عليه من شهر رمضان ثم أفطر من غير عذر ، فإنه يستأنف ما قد كان عليه من القضاء ، وإن مات ولم يصم ما عليه من شهر رمضان صام عنه وليه ، وإن لم يصم عنه وليه أطعم عن كل يوم لم يصه مسكينا[81] .
2 – إذا أصبح المسافر صائما في رمضان ثم أفطر ، بطل ما صم من الشهر إذ ليس لمسافر أن يصوم رمضان في السفر ويفطر ، فإمّا أن يفطر ، وإمّا أن يصل صومه ، وإن صام وأفطر ثم وصله بعد ذلك . وعليه أن يستأنف رمضان ، إلاّ أن يكون صام أياما بعدما أفطر ثم وصله بعد ذلك . فأمّا ما كان صام قبل أن يفطر فإنه حين أفطر بطل ما كان صام وليس عليه كفارة[82] .

(78) نفس المرجع ، ص 218 – 219 .
(79) عامر بن علي الشاخي . الايضاح ، مرجع سابق ، ج : 2 . ص 42 .
(80) نفس المرجع ، ص 45 – 46 .
(81) أبو غانم بشر بن غانم ، مرجع سابق ، ج : 1 ، ص 277 .
(82) نفس المرجع ، ص 345 – 346 .

ل) ومما جاء عنه في باب الحج :

1 – إن الرجل إذا ملك زادا وراحلة واستطاع الحج وهو يخاف على نفسه من العنت من قبل النساء ، فإن كان في أيام الحج أو أشهر الحج فليحجّ ، وإن كان في غير أيام الحج وهو يرجو إن تزوج بهذه الدراهم التي عنده أن الله سيرزقه فيما بينه وبين أيام الحج فليتزوج إن خاف على نفسه العنت[83] .

2 – من وجب عليه الحج ولم يحج ولم يوص به مات كافرا[84] .

م) ومما جاء عنه في باب النكاح :

1 – إذا تزوج الرجل المرأة واختلفا في المهر ، وقد دخل وليس بينهما بينّة فلها ما سمّى الزوج وليس لها غير ذلك[85] .

2 – الفداء طلاق ، فإذا فادى الرجل امرأته ثلاث فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره[86] .

3 – إذا قال الرجل لزوجته أمرك بيدك . فقالت : طلقت نفسي ثلاثة فقد بانت عنه بينونة كبرى ولا يسأل عن نيته في التخيير في واحدة أو اثنين أو ثلاثة[87] .

4 – إذا شهد شاهد على رجل أنه طلق امرأته واحدا ، وشهد آخر أنّه طلقها اثنين ، يقع عليها من ذلك تطليقة واحدة ، لأنها اجتمعا عليه[88] .

ن) ومما جاء عنه في المعاملات :-

1 – إذا اشترى الرجل سلعة فطعن فيها بعيب قبل أن ينقد الثمن ، لا أقبل شهوده على العيب حتى ينقد الثمن[89] .

---

(83) عامر بن علي الشاخي . المرجع السابق ، ص 231 .
(84) نفس المرجع ، ص 234 .
(85) أبو غانم بشر بن غانم ، نفس المرجع ، ج : 2 ، ص 13 .
(86) نفس المرجع ، ص 46 .
(87) نفس المرجع ، ص 53 .
(88) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(89) نفس المرجع ، ص 103 .

2 – إذا كان لرجل على رجل دين وكفله عليه رجل آخر ، فإنّ للطالب أن يأخذ أيهما شاء فإن كان حوالة لم يكن له أن يأخذ الذي أحاله لأنه قد أبرأه[90] .

3 – إذا استكرى الرجل ليحمل عليها مكيلا معينا فحمل عليها أكثر من ذلك فعطبت الدابة فهو ضامن لقيمتها كلها ولا إجارة عليه[91] .

4 – إذا رهن رجل لرجل رهنا وضعه على يد عدل فهلك الرهن وكان قيمته والدين سواء ، فالدّين على الراهن كما هو ، والرهن من ماله لأنه لم يكن في يد المرتهن إنما هو موضوع في يد غيره[92] .

5 – إذا شهد الرجل على شهادة شاهد تقبل شهادته[93] .

ع) ومما جاء عنه في الحدود :

1 – إذا عدا رجل على مال رجل فسرقه مما يجب فيه القطع ، فأخذه الرجل المسروق منه فقطع يده فإنه يؤدب لأنه لا يقيم الحدود إلا الأئمة[94] .

2 – إذا تزوج رجل امرأة فدخل بها ولم يجامعها ثم زنى فإنه لا رجم عليه حتى يمسّها[95] .

3 – إذا استكره الحر الحرة فعليه الحد ، وصداق مثلها ، ولا حدّ على المرأة[96] .

4 – رجل يقذف رجلا فيجلد ثم يعود المجلود إلى القذف لمن جلد له ، فقد حدثنا جابر بن زيد عن ابن عباس قال : لا حدّ عليه مرة أخرى ، وقد قال ابن عباس أيضا : لو افترى أبو بكرة على المغيرة بن شعبة مائة مرة ما كان إلاّ الحدّ الأول[97] .

---

(90) نفس المرجع ، ص 104 .
(91) نفس المرجع ، ص 111 .
(92) نفس المرجع ، ص 151 .
(93) نفس المرجع ، ص 200 .
(94) نفس المرجع ، ص 243 .
(95) نفس المرجع ، ص 244 .
(96) المرجع السابق ، ص251 .
(97) نفس المرجع ، ص 253 .

ف) ومما جاء عنه في الديات :

1 – رجل يأمر عبده أن يقتل رجلا أو يضربه ، فهو القاتل أو الجارح ، وهو بمنزلة من تولى الضرب بيده لأن مملوكه سوطه الذي يعذب به[98] .

2 – رجل أعور فقأ عين رجل ليس بأعور ، فأحب المفقوءة عينه أن يفقأ عين الأعور ، فله ذلك ، فإن فقأ عينه رد عليه فضل خمسمائة دينار ، لأن عين الأعور تعدل عينين[99] .

3 – الرجل البالغ والغلام الذي لم يحتلم يجتمعان على رجل فيقتلانه عمدا ؟ فيقتل البالغ منها وتغرم عاقلة الغلام لورثة القتيل نصف الدية ، لأن عمد الغلام وخطأه خطأ تعقله العاقلة[100] .

4 – رجل كان فوق البيت فزجره رجل وروّعه بصوته حين زجره فوقع فمات ؟ فعلى الذي زجره الديّة[101] .

تلك هي نماذج من فتاوى أبي عمرو في مختلف أبواب الفقه ، نكتفي بها للتدليل على مكانته الفقهية دون التعرضّ إلى مناقشتها لأننا لسنا بصدد دراسته كفقيه حتى نلم بمنهجه ، ونناقش آراءه مالها وما عليها فذلك شأن من يتصدى لمثل هذا العمل في بحث خاص بالربيع الفقيه لا في فصل ملحق كهذا الفصل ، ومع ذلك فإنّه من خلال ما عرضناه من الفتاوى يمكننا أن نبدي بعض الملاحظات حول منهج الربيع في الفتوى عموما ..

☆ معظم فتاوى أبي عمرو تعتمد على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وأثرو رأي .

☆ تتسم بالاختصار دون سوق الأدلة والنصوص المعتمدة في الفتوى – على عادة شيخية أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهاء عصره من التابعين وتابعيهم .

(98) نفس المرجع ، ص 265 .
(99) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(100) نفس المرجع ، ص 266 .
(101) نفس المرجع ، ص 269 .

☆ الاعتماد الكبير بعد الكتاب الكريم في السنة على سند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

☆ الاقتصار في كثير من الإجابات على كلمتي : نعم ، أو لا . دون تعليل أو تأصيل .

☆ التحفظ عن إطلاق كلمة (حرام أو محرم) بقوله: «ذلك لا يعجبني» في بعض الأحيان ، هذا وسنورد بعض فتاوى الربيع وأقواله التي لم يجر بها العمل عندنا فيما يلي :

5 – بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجر بها العمل في المذهب الإباضي

فأبو عمرو الربيع بن حبيب وإن كان من الأئمة المعتمدة آراؤهم وفتياهم في المذهب الإباضي إلاّ أن هناك بعض أقواله لم يجر العمل بها ومنها :–

أ – تغليظه على من قال : عليّ عهد الله وميثاقه ، أو كافر أو يهودي أو نصراني[102] .

ب – عدم تحريمه نكاح المتعة[103] .

ج – تنزيل الأم منزلة الأب عند عدمه[104] .

د – المكاتب عبد مابقي عليه شيء مما كوتب عليه[105] .

هـ – الاستنجاء بالماء ليس مما يراه واجبا[106] .

(102) عامر بن علي الشماخي ، مرجع سابق ، ج : 2 . ص 364 – 365 .
(103) سالم بن حمد الحارثي . العقود الفضية في أصول الإباضية ، سوريا ولبنان : دار اليقظة العربية لا . ت . ص 156 .
(104) نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(105) ضياء الدين عبد العزيز الثيني ، مرجع سابق ، ج : 2 ، ص 359 .
(106) سالم حيد الحارثي ، المرجع السابق ، ص 156 .

و – إجازة سجود السهو في كل صلاة[107] .

ز – إن الصلاة لا يقطعها شيء[108] .

ح – كل صلاة انفردت بوقتها[109] .

هذا ونقف عند هذا مما سقناه من فتاوى الربيع المعمول بها وأقواله التي لم يجر العمل بها في المذهب الإباضي شاعرين أننا غير مستوفين حق الربيع في هذا الجانب الفقهي تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه لمن يريد البحث والتحقيق من شبابنا العلماء المتعطشين إلى إحياء تراثهم الإسلامي الفقهي .

وبخاتمة هذا العمل نأتي إلى نهاية حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب .

6 – وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب

انتقل الأمام أبو عمرو الربيع بن حبيب إلى جوار ربّه بعد جهاد كبير وكفاح مرير خاضها دفاعا عن الإسلام وانتصارا للحق والحقيقة ، وإعلاء لكلمة الله عن طريق النضال العلمي المتمثل في أفواج الطلبة العلماء الذين تخرجوا على يديه فأناروا بعض بقاع العالم الإسلامي بعلمهم ، وفي تدوين السنة النبوية المطهّرة الصحيحة منذ فجر تدوينها ، وفي قيادة الحركة الإسلامية التي رسم منهجها شيخاه أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة بالعراق – إلا أنه لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد – كما هو الشأن في تاريخ ولادته وإن ما ذكره المستشرق الألماني (كارل بروكلمان)[110] ومن كان مثله – من أنه توفي عما 170 هـ الموافق 786 م لا نميل إلى صحته بل و نستبعده ، لما ثبت عندنا أنّ الإمام الربيع قد كان موجودا بعد هذا التاريخ في البصرة ، ولا أدل على ذلك من أن الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي تولى الإمامة –

(107) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، مرجع سابق ج : 1 ، ص . 290 .

(108) نفس المرجع ، ج : 1 . ص 253 بالهامش . (109) نفس المرجع ، ص 236 .

(110) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي . (تر : عبد الحليم النجار) ط 4 القاهرة : دار المعارف ، 1977 م ، ج : 7 ، ص 161 .

على ما حققّه سليمان الباروني[111] رحمه الله – سنة 171 هـ ، وأن هذا الإمام قد بعث برسالة إلى أبي عمرو الربيع بن حبيب وعلماء الإباضية بالمشرق يستفتيهم بخصوص ما ادعاه ابن فندين – أحد المتمردين على الإمام – من الشرط في الإمامة ألاّ يقضي أمرا دون جماعة ، وإجابة أبي عمرو على هذا السؤال[112] ، ووجود أبي عمرو الربيع ابن حبيب أيضا بعد ما حلّ هذا الإمام في جبل نفوسة بليبيا – بعدما استتب الأمن واستقر له الأمر في تاهرت – في طريقه لأداء فريضة الحج ، وعدوله عن هذا القصد لإلحاح علماء نفوسة وأهل الرأي منهم عليه بعدم الذهاب لعدم أمن الطريق بالنسبة له لمناهضته للدولة العباسية التي كان الحرمان الشريفان خاضعين لها حينئذ ، ومن هناك (أي من جبل نفوسة) بعث إلى أبي عمرو الربيع بن حبيب بالبصرة وإلى محمد بن عباد بمصر يستفتيهما ، فأخذ بفتوى الربيع التي تقضي بإنابة من يحج عليه ، فأرسل رجلا من (تمزدة) نيابة عنه[113] .

فإذا قدرنا أن الإمام عبد الوهاب – على أقل الاحتمالات – قد بقي بتاهرت بعد سنة 171 هـ التي تولى الإمامة ثلاث سنوات استطاع فيها أن يخمد الثورة ويبعث بوفده إلى المشرق – على بعد المسافة وصعوبة الاتصال وعدم أمن الطريق – وعودة ذلك الوفد ، ثم سفره إلى جبل نفوسة بليبيا ، وإرساله برسالة أخرى إلى أبي عمرو يستفتيه كما أشرنا لا تقل هذه المدة عن أربع أو خمس سنوات بعد توليه ، وإذا فرضنا أن الربيع قد توفي مباشرة بعد رجوع رسول الإمام إليه ، فلا تقل سنة وفاته عن عام 176 هـ إذا صح هذا الفرض ، وقد ثبت أيضا أنه صلى عليه تلميذه موسى بن أبي جابر المتوفى عام 181 هـ[114] وكان مدفنه رحمه الله في موطنه الأصلي في عمان[115] والله أعلم .

(111) سليمان عبد الله يحيى الباروني (ت 1940 م) . كتاب الأزهار الرياضية في أئمة الإباضية ، القاهرة ، مطبعة الأزهار البارونية لا . ت . ص 101 .

(112) انظر : الباب الثاني الفصل الثالث من 188 .

(113) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي . مرجع سابق ، ص 159 .

(114) سالم بن حمد الحارثي ، مرجع سابق ، ص 149 .

(115) راجع ، ناصر بن محمد المرموري ، سند الإمام الفراهيدي (محاضرة بملتقى السنة بالجزائر) . الجزائر : مديرية البحوث الإسلامية والملتقيات . النقطة 11 . سنة 1982 م ص 2 .

خاتمة البحث

بعد عرض الباحث لما تضمنه موضوع بحثه من خلال الأبواب الثلاثة التي حصره فيها ، أمكنه أن يخرج بالنتائج التالية :

1 – ففي الباب التمهيدي الأول تبين له ما يلي :

أ – إنّ السنّة النبوية وحي من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم غير متلو . بدليد قوله عز وجلّ : ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**﴾ (سورة النجم : الآية 3 ، 4) ، وقوله أيضا في (سورة النساء : الآية 113) ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة**﴾ ، وقد فسر بعض العلماء (الحكمة) بالسنّة . (النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، جـ : 4 . ص 165 ، رقم : 2 بالهامش) . ولقوله عليه الصلاة والسلام (فيما أورده الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الدراية ، ص : 8) : «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**» .

ب – تعتبر السنة النبوية الصحيحة المصدر التشريعي الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية ، تالية لكتاب العزيز في حجّيتها ، والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، والسنة الرضية ، وإجماع الأمة ، والتسليم ببيانها لكثير مما تنزل من آيات القرآن مجملة غير مفصلة ، أو مطلقة لم تكن مقيدة ، أو عامة ليست مخصصة . فلو لم تكن السنة البيانيّة حجة ودستورا وجب اتباعه لما أمكن تنفيذ كثير من فرائض القرآن ، ولا اتباع الكثير من أحكامه ، مما ورد عاما ، أو مطلقا ، أو مجملا ويراد به غير ذلك سواء كان ذلك في العبادات أو المعاملات .

فالقول بالاكتفاء بالكتاب عن الرجوع إلى السنة تنكّر صارخ لأصل من أصول الإسلام ، وهدم لأهم معالمه وركائزه العملية .

ج – إقبال الصحابة الكبير على تلقي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسكهم بتعالمها ، والعمل بما جاء فيها ، وتطبيقها كان له أثره الكبير في المحافظة عليها جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم .

د – نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابه السنة لم يكن عامّا ، والإباحة لكتابتها لم تكن عامة أيضا في أول الإسلام ، فحيثما تحققت علّة النهي منعت الكتابة ، وحيثما زالت أبيحت الكتابة ، وعندما حفظ المسلمون قرآنهم ، وميّزوه عن الحديث نسخ النهي بالإباحة عامة ، ولو لم يكن إذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذنا عاما لذهبت تلك الفائدة العمية التي تحققت من كتابة السنة وتدوينها للتشريع الإسلامي ، مما جعله تتسع نصوصه ويواكب كل ما استجد ويستجد في حياة الإنسان من وقائع وأحداث ونوازل يلجأ إليها – إذا لم تسعفه نصوص القرآن الكريم – إلى السنّة النبوية المطهرة لكشف أسرارها ، وإجراء أحكامها ، وتحقيق مقاصدها وفق ما تقتضيه الحكة ، وتتطلبه المصلحة ، وينشده العدل . فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره آخر الرسل ، وخاتم النبيين ، وشريعته هي خاتمة الشرائع والأديان وناسختها لابد وأن يأمر بما فيه صالح البشرية ، وخيرها ودوام سعادتها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هـ – في عهد الخلفاء الراشدين استمرت الحال على ما هي عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بخصوص عدم تدوين السنة النبوية تدوينا رسميا . لانشغال الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه بحروب الردّة وتوجيه إمكانات الكتابة لجمع القرآن الكريم في كتاب واحد من مصادره المختلفة عندما استمّر القتل في عدد كبير من حفظة القرآن العزيز في أثناء حروب الردة . وتحفظ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والخليفة الثالث عثمان بن عفان من كتابة السنة خشية انصراف المسلمين عن كتاب الله ، وأمّا الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فهو الآخر لم تسعفه الظروف للاهتمام بتدوين السنّة لانشغاله المتواصل بحروب المنشقين عن خلافته طيلة حياته الخلافية .

و – التدوين الرسمي للسنّة المطهرة كان في زمن الخليفة الأموي العادل

عمر بن عبد العزيز . أما تقييدها وحفظها – بصورة فردية – فقد مارسها الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبقي الأمر كذلك حتى ذلك الزمن (أي زمن التدوين) ، وخير دليل على ذلك ، الصحيفة الصادقة التي دوّنها الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص ، وصحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكتب ابن عباس ، والصحيفة الصحيحة التي دونها همام بن منبه من شيخه أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيرها .

ز – بداية وضع الحديث ، واختلاق الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بطلع العقد الخامس من القرن الأول الهجري بسبب الفتنة الكبرى التي نجم عنها مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ثم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، وانقسام المسلمين على أنفسهم شيعا وأحزابا ، وفرقا ومذاهب ، ومحاولة كل فريق أن يدعم رأيه وما يدعيه بالقرآن والسنة ، ولما لم تحتمل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف جميع ما تدعيه تلك الفرق ، وتزعمه هاتيك الأحزاب لجأ بعضهم إلى تأويل على غير حقيقته ، وتحميل نصوص السنّة ما لا تتحملّه ، وأن يضع البعض الآخر أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل الأشخاص ومناقبهم ، وفي المثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وغيرها في العبادات والمعاملات المختلفة ، وفي الأطعمة ، والآداب ، والزهد ، والذكر ، والدعاء ، وفي الطب ، والمرض ، والفتن ، والمواريث وغيرها .

ح – لقد بذل علماء الحديث وجهابذة الجرح والتعديل جهودا كبيرة لتخليص السنة النبوية الرضية من شوائب الوضع ، وأدران الكذب والاختلاق ، وذلك بالتشديد في طلب الإسناد من الرواة وألزموه في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتبروه للخبر كالنسب للمرء ، والتوثّق من صحة الأحاديث ، ونقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب ، ووضع قواعد عامة لتقويم الحديث وتمييزه من حيث السند والمتن .

ط – ليس هناك بين المحدثين خلاف في الحديث الصحيح المتواتر لفظا

ومعنى من أنه يوجب العلم القطعي اليقيني والعمل . وأمّا حكم الحديث المشهور أو المستفيض فإفادة الطمأنينة والظن القريب من اليقين والعمل .

والحديث الأحادي يوجب العمل فيما يدل عليه دون العلم ، والحديث الضعيف لا يمكن العمل بمضمونه .

2 – وفي الباب الثاني تبيّن ما يلي :

أ) هناك عوامل أدت إلى عدم تعرض رجال الحديث للربيع بن حبيب كمحدث ، أو تقويم إنتاجه كفيره من علماء السّنة وتتمثل في :

☆ عزلة فرضها الربيع على نفسه بغلقه الباب في وجوه طلبة العلم من غير أصحابه ، وامتناعه عن رواية الحديث لمن سواهم خشية أن يشيع أمره فيطلب لما هو أعظم أو يفتن .

☆ ظلم الحكام وسياستهم الجائرة بما أملوه في نفوس الجماهير من الكراهية ضد أولئك الذين أسموهم خوارج ومنهم الربيع هذا .

☆ انعدام مصادر تاريخ الإباضية بصفة عامة ، وذهابها ضحية الظلم ، والفتن ، والتعصب من مناوئيهم .

☆ احتفاظ الإباضية بمصنفاتهم مخزونة في مكتباتهم دون أن يمكّنوا أحدا غيرهم من الاطلاع عليها أو إذاعتها ، وأنه لم يتح لها منهم من يتبنى نشرها وإظهارها إلى حيّز الوجود – كغيرهم – لعموم الأمة الإسلامية .

☆ اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج المبتدعة ، ولمّا كان الربيع بن حبيب هذا أحد زعماء الحركة الإباضية وأعلامها المفكرين ربما اعتبره أهل الحديث مبتدعا داعيا لبدعته وتجنبوا الرواية عنه ، ولم يهتموا بسنده ، لانطباق أحد الشروط التي وضعوها لعدم قبول الرواية عليه .

☆ عدم مصانعة الربيع بن حبيب للسلطات الحاكمة الجائرة التي لاقى منها علماء الأمّة وأئمة الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين كل عنت واضطهاد ، وبذلك أهملت أعماله وأعمال أضرابه ، وطمست أخبارهم وبالتالي لم تر مصنفاتهم طريقها إلى عالم النشر .

ب) عمان هو الموطن الأصلي لأبي عمرو الربيع بن حبيب وإن كان قد نسّبه أكثر المؤرخين إلى البصرة ، لأنه عاش فيها أكثر حياته .

ج) مولد أبي عمرو الربيع بن حبيب (بودام) إحدى قرى السّهل الساّحلي من الباطنة بعمان ، وسنة ميلاده لم تتحقق مع الباحث على وجه التحديد إلاّ أنه غلب على ظنه أنه قد ولد في منتصف العقد الثن من القرن الأول الهجري زمن الخليفة الأموي عبد الملك أي حوالي سنة 75 هـ أو قبلها أو بعدها بقليل .

د) يستبعد أن يكون الربيع بن حبيب قد روى أحاديث عن عبادة بن الصامت ، وأبي مسعود الأنصاري وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الإمام أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ومن بعده الأستاذ بكلي عبد الرحمن بن عمر ، لأن هؤلاء الصحابة الثلاثة قد لحقوا بربهم قبل التاريخ المظنون لميلاد الربيع .

هـ) كان مقدم الربيع من عمان إلى البصرة قبل سنة 93 هـ التي توفي فيها شيخه أبو الشعثاء حيث أدركه وأخذ عنه قليلا من العلم وروى عنه في المسند حديثا ونزل في محلة يقال لها : (الحربية) .

و) لم يقتصر الربيع بن حبيب في تلقيه الحديث والفقه على مشائخ وأئمة أهل الدعوة (الإباضية) بالبصرة، ولكن تنقل بين حلقات دروس لمشائخ غيرهم من علماء الأمة على عادة من عاصره من العلماء ، وكان عدد شيوخه خمسة وعشرين شيخا ، أشهرهم أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان ، وضام بن السائب الندبي .

ز) أبو الشعثاء جابر بن زيد هو الشيخ الأكبر للربيع من كبار التابعين وصاحب ابن عباس رضي الله عنه ، ومن أوائل من دوّن الحديث والفقه في كتاب أسماه الديوان وقد أشار إليه الحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ، ولكنه لم يعط عنه أية تفصيلات ، ولم يذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته عن هذا الكتاب . وقد تولى تنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية) على ما استنتجناه من المعلومات الواردة في المصادر الإباضية في زمن ولاية عبيد الله

ابن زياد للعراق (57 – 64 هـ) ثم تولى بعد وفاته سنة 93 هـ تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة – شيخ الربيع الثاني – الإمامة الروحية والرئاسة العلمية للإباضية منذ سنة 95 هـ واتسعت في عهده حركة الإباضية على يد تلاميذه الذين حملوا العلم عنه إلى المغرب والمشرق، حيث تأسست بعد استشارته إمامة الإباضية في طرابلس سنة 140 هـ على يد أبي الخطاب المعافري، وإمامة عبد الله بن يحي طالب الحق في حضرموت واليمن ثم استولى على مكة والمدينة سنة 129 هـ وقد سلم أبو عبيدة في حياته وعندما وهن عظمه أمر الدعوة لأبي عمرو الربيع بن حبيب لثقته فيه. «إذ قال في حقه» فقيهنا وإمامنا وتقينا وأميننا وثقتنا».

ح) أسهم أبو عمرو في الحركة العلمية بالبصرة سواء بإعداد الرجال أو التأليف، فقد تخرّج على يديه حملة العلم إلى عمان وخراسان وحضرموت وعدد من العراقيين. وأشهرهم: أبو المنذر وبشير بن المنذر النزواني ومنير بن النير الجعلاني، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي، ومحمد بن المعلى الكندي، وأبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي، وهاشم ابن عبيد الله الخراساني.

ونلاحظ أنه لم يكن للربيع بن حبيب تلاميذ من المغرب كما كان لشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ولعل السبب في ذلك – في نظرنا – يرجع إلى أمرين:

1 – لمّا ظهرت إمامة الإباضية في طرابلس بزعامة أبي الخطاب، وكان ماكان من قتال بينه وبين عمّال العباسيين، ثم بينهم وبين من جاء بعد أبي الخطاب كأبي حاتم الياروزي، وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمامة بتاهرت، أصبح الذهاب إلى البصرة بالعراق مهد الحركة الإباضية غير ميسور وشاقا، وبذلك لم يتسنّ لطلبة العلم المغاربة الالتحاق بمدرسة الربيع بن حبيب التي عاصرت تلك الأحداث.

2 – قيام حركة علمية واسعة في أجزاء من ليبيا وتونس والجزائر على يد

حملة العلم الخمسة إلى المغرب من تلاميذ أبي عبيدة مسلم العائدين من البصرة بحيث لم يكن هناك حاجة لبعثات علمية إلى العراق.

وأمّا في مجال التأليف فقد كان أبو عمرو الربيع بن حبيب من الرواد في تدوين الحديث النّبويّ الشريف، والفقه، فكان ما وصل إلينا مما دوّنه – عدا الذي عبثت به أيدي التلاشي –: الجامع الصحيح مسند أبي عمرو الربيع بن حبيب في الحديث وأغلب روايته عن شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتاب آثار الربيع، وقد رواه عن شيخه ضمام بن السائب الندبي عن جابر بن زيد مقطوعا، وقد جمعه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة ولم يطبع بعد، وكتاب فتيا الربيع بن حبيب، وإجابات وفتاوى في مختلف أبواب الفقه وردت في المدونتين الكبرى والصغرى لأبي غانم بشير بن غانم الخراساني من علماء القرن الثالث.

ط) أجمعت المصادر التاريخية الإباضية على أن أبا عمرو الربيع بن حبيب كان يتمتع بمكانة عالية جدا في الأوساط العلمية والاجتماعية الإباضية في جميع تلك الأقطار الإسلامية التي انتشرت فيها دعوتهم، وبذلك صاروا لا يقطعون أمرا – مهما كان نوعه – دون الرجوع إليه، باعتباره الإمام الروحي، ووارث مكانة شيخيه أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة اللذين يرجع إليهما الفضل في تأسيس وتنظيم حركة أهل الدعوة (الإباضية).

3 – وفي الباب الثالث تبين ما يلي:

أ) أئمّة وعلماء الإباضية كانوا من أوائل من أسهموا بجهودهم المخلصة في تدوين الحديث والسنة المطهرة ومنهم على سبيل المثال: أبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبو عمرو الربيع بن حبيب، وثور بن زيد الدّيلي المدني وداود بن الحصين، وهذان الأخيران شيخا مالك بن أنس الأصبحي، وغيرهم كثير، وقد وثق هؤلاء العلماء علماء الحديث ورجالات الجرح والتعديل، فقال عنهم الإمام مالك: «لأن يخروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا»، وقال عنهم أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله: «لا يعرف عن أحدهم الكذب قط».

ب) أقصر أبو عمرو الربيع بن حبيب جهوده في رواية الحديث على أشياخه من أهل الدعوة (الإباضية) دون غيرهم من محدثي الأمة لاطمئنانه وثقته الكبيرة فيهم لأنهم يرون الكذب مطلقا كبيرة ، فهم بذلك أولى من يتحاشى الافتراء والاختلاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جـ) جاء ما رواه الربيع في مسنده من أحاديث بسند ثلاثي قصير قريب الاتصال بالينبوع المحمّدي ، واشتهر رجاله بقوة الحفظ والضبط ، وكمال الصدق والصيانة والأمانة ، وهم : أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وجابر بن زيد الأزدي ، والبحر عبد الله بن عباس شيخ جابر وغيره من الصحابة .

د) يتصف الربيع بن حبيب بصفات الراوية الأمثل من الضبط والعدالة ، وقد أجمع علماء الإباضية قديما وحديثا على عدالته وثقوه ، وحسبه ما قاله في حقه شيخه أبو عبيدة مسلم – ومن أعرف بالتلميذ من شيخه – «فقيهنا وإمامنا وتقينا» ، ووثقه غير الإباضية من السلف : يحي بن معين في كتابه التاريخ إذ قال : **«الربيع بن حبيب بصري يروي عن الحسن وابن سيرين وهو ثقة»** . ومن الخلف وثقة المرحوم عز الدين التنوخي فقال في معرض حديثه عن رجال مسند الربيع بن حبيب : **«ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال ، وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ، ولا إرسال ، ولا انقطاع ، ولا إعضال ... إلى أن قال : ثلاثيات الربيع ابن حبيب الأزدي ، وأحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سندا»** .

هـ) المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو عمرو الربيع بن حبيب هي تلك المدرسة التي أسّس أصولها وآراءها الفقهيه أبو الشعثاء جابر بن زيد أو ما سمّي فيا بعد (بالمذهب الإباضي) ،فهي وإن كانت إحدى مدارس البصرة بالعراق إلا أنها لم تذهب مع الرأي ذلك المذهب الذي بلغه الحنفية والمعتزلة ، ويمكن وضعها في الشريحة التي تقع بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة والحنفية من جهة أخرى . فهي تعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض ، وعلى الأحادي ، وعلى مرسل الصحابة

والتابعين ، وإذا تعارض الحديث والقياس رجّح جانب الحديث ولو كان أحاديا أو مرسلا للطبقة السابقة ، ولا يرد الحديث الأحادي إلاّ إذا صادمه دليل قطعي ، وتقول أيضا بالإجماع والقياس والاستصحاب والمصلحة المرسلة .

و) لم يكن هناك للربيع بن حبيب مصنف قائم بذاته في الفقه ، وإنما جاءت آراءه الفقهية وفتاويه متناثرة هنا وهناك في كتب الفقه الإباضي ، ولعل أكثر ما جاء منها تضمنته المدونة الكبرى لتلميذه أبي غانم بشر بن غانم الخراساني التي جمعها عن سبعة من أشياخه تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

ز) منهج أبي عمرو الربيع بن حبيب في الفتوى يتمثل فيما يلي :

☆ معظم فتاويه تعتمد على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وأثر ورأي .

☆ تتسم بالاختصار دون سوق الأدلة والنصوص المعتمدة في الفتوى أحيانا .

☆ الاعتماد الكبير بعد القرآن الكريم في السنة على مسند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن صحابة رسول ﷺ .

☆ الاقتصار في كثير من الإجابات على كلمتي : نعم ، أو لا ، دون تعليل أو تأصيل .

☆ التحفظ عن إطلاق كلمة (حرام أو محرم) بقوله : «ذلك لا يعجبني في بعض الأحيان» .

ح) هناء بعض أقول وآراء في الفقه لأبي عمرو الربيع بن حبيب لم يجر العمل بها في المذهب الإباضي .

ط) ما ذكره بعض المؤرخين من أن وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب كانت سنة (170 هـ) غير مسلم به إذ أنه ثبت بالدليل القاطع أنه كان موجودا بعد هذا التاريخ بسنوات والذي ترجح لدى الباحث أن وفاته كانت بعد سنة (175 هـ) والله أعلم .

هذا وإني أرجو أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ما سعيت من أجله من وضع أبي عمرو الربيع بن حبيب في مكانته اللائقة به بين المحدثين والفقهاء .. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مصادر ومراجع البحث

1 – القرآن الكريم .

2 – أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة . شرح عبد الله دراز . بيروت : دار المعرفة .

3 – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تقييد العلم . تحقيق : يوسف العش . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، 1974م .

4 – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث . تحقيق : محمد سعيد الخطيب . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية .

5 – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الدراية . بيروت : المكتبة العلمية .

6 – أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وزميله ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1979م .

7 – أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب . تحقيق : يوسف سعد داغر . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الأندلس ، 1978م .

8 – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم . القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

9 – أبو حفص عمرو بن جميع ، مقدمة التوحيد . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم اطفيش . الطبعة الثانية . .

10 – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، 1371 هـ .

11- أبو الربيع سليمان الباروني ، مختصر تاريخ الإباضيّة . الطبعة الثانية . تونس : المطبعة السلفية .
12 - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم . تحقيق : إسماعيل العربي . الجزائر : المطبعة الوطنية ، 1979م .
13 - أبو زكرياء يحي بن أبي الخير ، كتاب الوضع . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم اطفيش . القاهرة : مطبعة الفجالة .
14 - أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . مطبعة الملاح ، 1973م .
15 - أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قناطر الخيرات . تحقيق : عمرو خليفة النامي . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ، 1965م .
16 - أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قواعد الإسلام . تحقيق : بكلّي عبد الرحمن بن عمر . غرداية : المطبعة العربية ، 1976م .
17 - أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب . تحقيق : إبراهيم طلاي . قسنطينة بالجزائر : مطبعة البعث .
18 - أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي ، السير . تصحيح : محمد بن يوسف الباروني . القاهرة : مطبعة الأزهار الباروني .
19 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : إحسان عباس . بيروت : دار صادر ، 1978م .
20 - أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد . شرح : محمد أحمد شاكر . الطبعة الثانية . مصر : دار المعارف ، 1955م .
21 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين . تحقيق ، مطبعة عبد الرؤوف سعد . بيروت : دار الجيل 1973م .
22 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، المنار . القاهرة : دار إحياء السنة النبوية .

23 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، 1967م .
24 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .
25 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، شرح البخاري بحاشية السندي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
26 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، معرفة علوم الحديث . تصحيح : السيد معظم حسين . الطبعة الثالثة ،بيروت : دار الآفاق .
27 - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) ، سنن ابن ماجة . تحقيق : إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة : المطبعة المنيرية .
28 - أبو العلا علي أبو العلا وزميله ، دراسات في علوم الحديث . القاهرة : دار التراث العربي ، 1973م .
29 - أبو عمرو الربيع بن حبيب ، الجمع الصحيح مسند الربيع بن حبيب . تصحيح عبد الله بن حميد السالمي . بيروت : دار الفتح ، 1388 هـ .
30 - أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1978م .
31 - أبو عمرو يوسف بن عمرو بن عبد البر ، التمهيد لما جاء في الموطأ من المعاني والأسانيد . تحقيق : هيئة العلماء بالمملكة المغربية المحمدية : مطبعة فضالة .
32 - أبو عمرو يوسف بن عمرو بن عبد البر ، جامع العلم وفضله . تحقيق إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة : المطبعة المنيرية .
33 - أبو غانم بشر بن غانم الخراساني ، المدوّنة الكبرى . ترتيب : محمد بن يوسف اطفيش . لبنان : دار اليقظة ، 1974م .
34 - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل . طبعة الثانية بيروت : دار المعرفة ، 1975م .

35 – أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير ، البداية والنهاية . الطبعة الثالثة ، بيروت : مكتبة المعارف ، 1979م .
36 – أبو الفدا إسماعيل بن عمرو بن كثير ، الباعث الحثيث . بيروت : دار الفكر .
37 – أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري . القاهرة : طبع دار الشعب ، 1970م .
38 – أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم ، كتاب الفهرست للنديم . تحقيق : رضا تجدد . طهران : 1971م .
39 – أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات . طبعة حجرية مصورة . القاهرة : 1884م .
40 – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت ، دار صادر ، مصورة عن دار السعادة 1328 هـ .
41 – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، حيدرآباد مطبعة مجلس دائرة المعارف ، 1325 هـ .
42 – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الطبعة الثانية . بيروت : دار المعرفة .
43 – أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) ، لسان العرب . القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف .
44 – أبو الفضل عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، شروط الأئمة الخمسة .
45 – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . تحقيق : أبي إسحاق إبراهيم اطفيش . القاهرة : مطبعة الشباب 1350 هـ .
46 – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي . طلعة الشمس . القاهرة : مطبعة الموسوعات .
47 – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، العقد الثمين . تحقيق : سالم حمد الحارثي . القاهرة : دار الشعب .

48 – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، اللّمعة المرضية من أشعة الإباضية . الكتاب الرابع من مجموعة ستة كتب . غرداية : المطبعة الرييعة .
49 – أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي ، من حاشية الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية ، 1327 هـ .
50 – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .
51 – أحمد أمين ، فجر الإسلام . الطبعة العاشرة . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1969م .
52 – أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، 1977م .
53 – أمين الخولي ، مالك بن أنس ، القاهرة : دار الكتب العربية .
54 – تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .
55 – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . القاهرة : المطبعة الخيريّة .
56 – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنّة . الطبعة الثالثة . المدينة المنورة ، مطابع الرشيد ، 1979م .
57 – حاجّي خليفة ، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون .
58 – الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) ، المفردات في غريب القرآن . إشراف : محمد أحمد خلف ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
59 – خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الثالثة . بيروت .
60 – زكي الدين شعبان ، أصول الفقه الإسلامي ، الطبعة الرابعة . منشورات جامعة قاريونس ، 1979م .
61 – سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضيّة في أصول الاباضية . لبنان : دار اليقظة العربية .

62 – سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، تحقيق : سيدة إسماعيل كاشف . القاهرة : مطابع سجل العرب ، 1979م .
63 – سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي ، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان . بيروت : مطابع الكتب الإسلامية ، 1984 هـ .
64 – سالم بن حمّود بن شامس السيابي السمائلي ، أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج . تحقيق : سيدة إسماعيل كاشف . القاهرة : مطابع سجل العلب ، 1979 م .
65 – سالم بن يعقوب الجربي ، مقتطفات من كتاب رفض شبهات المؤرخين لأبي إسحاق إبراهيم اطفيش . (مخطوطة) .
66 – سليمان عبد الله الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية .
67 – صالح باجيه ، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى . بحث تاريخي ، إشراف : علي الشابي . تونس : دار السلامة للطباعة ، 1976م .
68 – صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . الطبعة السادسة . بيروت : دار العلم للملايين ، 1971م .
69 – ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم الثيني ، النيل وشفاء العليل . تحقيق : بكلّي عبد الرحمن بن عمر . الطبعة الثانية . الجزائر : المطبعة العربية 1979م .
70 – ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم الثيني ، الورد البسّام في رياض الأحكام . تحقيق : محمد بن صالح الثيني ، تونس : المطبعة التونسية ، 1345 هـ .
71 – الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط . الطبعة الثالثة . بيروت : الدار العربية للكتاب ، 1980م .

72 – ظفر أحمد التهانوي ، قواعد في علوم الحديث . تحقيق : عبدالفتاح غدة . الطبعة الثالثة .بيروت : مكتبة المطبوعات الإسلامية .
73 – عادل رضا ، عمان والخليج . مصر : دار الكتاب العربي ، 1969م .
74 – عامر بن علي الشاخي ، الإيضاح ، الطبعة الثانية . بيروت : مطبعة الوطن 1971م .
75 – عبد الباسط موسى العلموي ، المفيد في أدب المفيد والمستفيد . دمشق : مطبعة الترقي ، 1349 هـ .
76 – عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) ، شرح نهج البلاغة .
77 – عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت : دار الآفاق الجديدة .
78 – عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، كتاب الجرح والتعديل .
79 – عبد العظيم شرف الدين ، تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكيّة والشفعة . الطبعة الثالثة . منشورات جامعة قاريونس ، 1978م .
80 – عبد القادر زلّوم ، عمان والإمارات السبع . بيروت : مكتبة الحياة .
81 – عبد الله بن أبي القاسم البيضاوي ، منهاج الرسول في علم الأصول . شرح : محمد بن الحسن البدخشي ، القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .
82 – عبد الله بن أحمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل . دمشق : المكتبة الأموية .
83 – عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، سنن الدارمي . حيدرآباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف . 1952م .
84 – عبد الله بن يحيى الباروني ، سلم العامة والمبتدئين . تحقيق : سليمان عبد الله الباروني . القاهرة : مطبعة الأزهار البارونية .
85 – علي بن سلطان القاري الهروي ، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع . تحقيق : عبد الفتاح غده . الطبعة الثانية . بيروت . مؤسسة الرسالة ، 1978م .

86 – علي بن محمد بن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ .
87 – علي مصطفى المصراتي ، مؤرخون في ليبيا . الشركة العامة للنشر ، 1977م .
88 – علي يحيى معمّر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة : مطابع سجل العلب 1976م .
89 – علي يحيى معمّر ، الإباضية مذهب من المذاهب المعتدلة . (مخطوطة) .
90 – علي يحيى معمّر ، الإباضية في موكب التاريخ . القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي ، 1964م .
91 – عمرو خليفة النامي ، أجوبة ابن خلفون . بيروت : دار الفتح ، 1974م .
92 – عمرو خليفة النامي ، دراسات في الإباضية . دكتوراه من جامعة كمبردج 1971م .
93 – عمر مولود عبد الحميد ، حجيّة القياس في أصول الفقه الإسلامي . منشورات جامعة بنغازي (سابقا) .
94 – عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية . عمّان : مطابع دار الشعب 1978م .
95 – فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي . ترجمة : فهمي أبي الفضل ومن معه . القاهرة : دار المعارف ، 1977م .
96 – كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي . ترجمة : عبد الحليم النجار . الطبعة الرابعة . القاهرة : دار المعارف ، 1977م .
97 – مالك بن أنس ، الموطأ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
98 – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية . القاهرة : مؤسسة التحرير للطبع والنشر ، 1386 هـ .
99 – مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معجم ألفاظ القرآن الكريم . طبع القاهرة .
100 – مجهول ، الديوان المعروض على علماء الإباضية . نسخة مصورة من مجموع بحيازة يوسف محمد الباروني بجربة .

101 – محمد بن أحمد ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد . بيروت : دار الفكر .
102 – محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
103 – محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة . تحقيق : أحمد محمد شاكر . القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1940م .
104 – محمد إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام . مراجعة : محمد خليل هراس . القاهرة : مطبعة عاطف وشركائه .
105 – محمد تقي الحكيم ، الأصول العامة للفقه المقارن . الطبعة الثانية . بيروت : دار الأندلس ، 1979م .
106 – محمد الخضري ، تاريخ التشريع الإسلامي . الطبعة التاسعة . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، 1970م .
107 – محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر ، 1958م .
108 – محمد عبد الله السالمي وناجي عساف ، عمان تاريخ يتكلّم . دمشق : المطبعة العمومية . 1963م .
109 – محمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث علومه ومصطلحه . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الفكر ، 1975م .
110 – محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1963م .
111 – محمد بن علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1963م .
112 – محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول . بيروت : دار الفكر .
113 – محمد بن علي الشوكاني ، الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة ، تحقيق : عبد الرحمن المعلى . القاهرة : مطبعة دار إحياء السّنة النبوية 1978م .

114 – محمد بن يوسف اطفيش ، تكملة خارجة عن المدونة الكبرى بعد ترتيبها (مخطوطة) .
115 – محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد . مطبعة حجرية ، 1326 هـ .
116 – محي الدين أبو زكرياء يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين . تعليق : السيد علي مالك وزميله . القاهرة : مطبعة الفجالة الجديدة ، 1960م .
117 – مصطفى حسني السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي . القاهرة 1961م .
118 – مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب . الطبعة الثالثة ، 1979م .
119 – موسى وعلي بكير بن علي ، مجموع ستة كتب . غرداية : المطبعة العربية .
120 – ناصر بن محمد المرموري ، مسند الإمام الفراهيدي . محاضرة بملتقى السّنة بالجزائر . الجزائر : مديرية البحوث الإسلامية والملتقيات . النقطة الحادية عشرة ، 1982م .
121 – النعمان بن محمد بن العراق ، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر . تحقيق : محمد حميد الله . إسلام آباد : مطبعة معهد البحوث الإسلامية ، 1973م .
122 – نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث . الطبعة الثانية . دمشق : دار الفكر ، 1979م .

ملك جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لنشر التراث

الفهرس

مقدمة البحث 11
أسباب اختيار الموضوع 12
طريقة البحث 15
خطة البحث 18

الباب الأول

الفصل الأول : السنة مفهومها وطرق تلقيها 25
مقدمة الفصل 25
مفهوم السنة لغة واصطلاحا 26
أقسام السّنة 30
الفرق بين السنة والحديث 32
علاقة السنة بالقرآن الكريم 33
أدلة حجّية السنة 39
السنة وكيفية تلقي الصحابة لها عن رسول ﷺ 43

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في تدوين السنة ومقاومتهم للوضع فيها 49
مقدمة الفصل 49
الأسباب التي حلت دون كتابة السنة في عهد الرسول ﷺ 50

السنة في عهد الخلفاء الراشدين 56
التدوين الرسمي للسنة 61
تسرب الوضع في الحديث 64
جهود علماء المسلمين في مقاومة الوضع في السنة 68

الفصل الثالث : الحديث النبوي الشريف 79
مقدمة الفصل 79
معنى الحديث لغة واصطلاحا 79
علاقته بالخبر 81
علاقته بالأثر 82
الحديث القدسي 84
الفرق بين الحديث القدسي والقرآن 85
الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي 86
مراتب الحديث 87
الشروط التي ينبغي توفرها في رواة الحديث وفي قبول الرواية 91
الألقاب العلمية لرواة الحديث 94

الباب الثاني

الفصل الأول : حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب 101
مقدمة الفصل 101
صعوبة الكتابة عن حياة أبي عمرو الربيع بن حبيب وأسبابها 101
الأسباب التي أدت إلى عدم ذكر الربيع بن حبيب 105
عمان موطن الأول لأبي عمرو الربيع بن حبيب 109
الحياة العقلية بعمان 114

الربيع بن حبيب مولده ونسبه وأسرته 120
نشأته 124
تحول الربيع بن حبيب من عمان إلى البصرة لطلب العلم 126

الفصل الثاني : شيوخ أبي عمرو الربيع بن حبيب 129
مقدمة الفصل 129
شيوخ لم يرو عنهم الربيع في مسنده 129
شيوخ روى عنهم الربيع في مسنده 131

الفصل الثالث : تلاميذ أبي عمرو الربيع بن حبيب 157
مقدمة الفصل 157
أسباب انقطاع طلبة العلم الإباضيين بشمال أفريقيا من مدرسة
الربيع بن حبيب بالبصرة 164
إنتاج أبي عمرو الربيع بن حبيب العلمي 168
مكانته الاجتماعية والعلمية 171

الباب الثالث

الفصل الأول : الربيع بن حبيب المحدّث 183
مقدمة الفصل 183
مساهمة علماء الإباضية في تدوين الحديث النبوي والسنة المطهرة ..184
نشاط أبي عمرو الربيع بن حبيب في رواية الحديث 191
جهود أبي عمرو الربيع بن حبيب في أداء ما تحمل في الحديث 200
عدالة أبي عمرو الربيع بن حبيب وضبطه وما قيل في حقه 202
نماذج مما جاء في الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب من الأحاديث
وعدد ما يحتوي هذا المسند منها 207

الفصل الثاني : الربيع بن حبيب الفقيه.....217
مقدمة الفصل.....217
التعريف بالفقه لغة واصطلاحا.....220
الفقيه والصفات التي ينبغي أن تتوفّر فيه.....224
المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها الفقيه أبو عمرو الربيع بن حبيب..228
نماذج من فتاوى أبي عمرو الربيع بن حبيب.....233
بعض أقوال أبي عمرو الربيع بن حبيب التي لم يجر العمل
بها في المذهب الإباضي 243
وفاة أبي عمرو الربيع بن حبيب.....244
خاتمة البحث.....247
مصادر ومراجع البحث 257

المطبعة العربية
نهج طالبي أحمد غرداية

الايداع القانوني رقم 86 05 1994